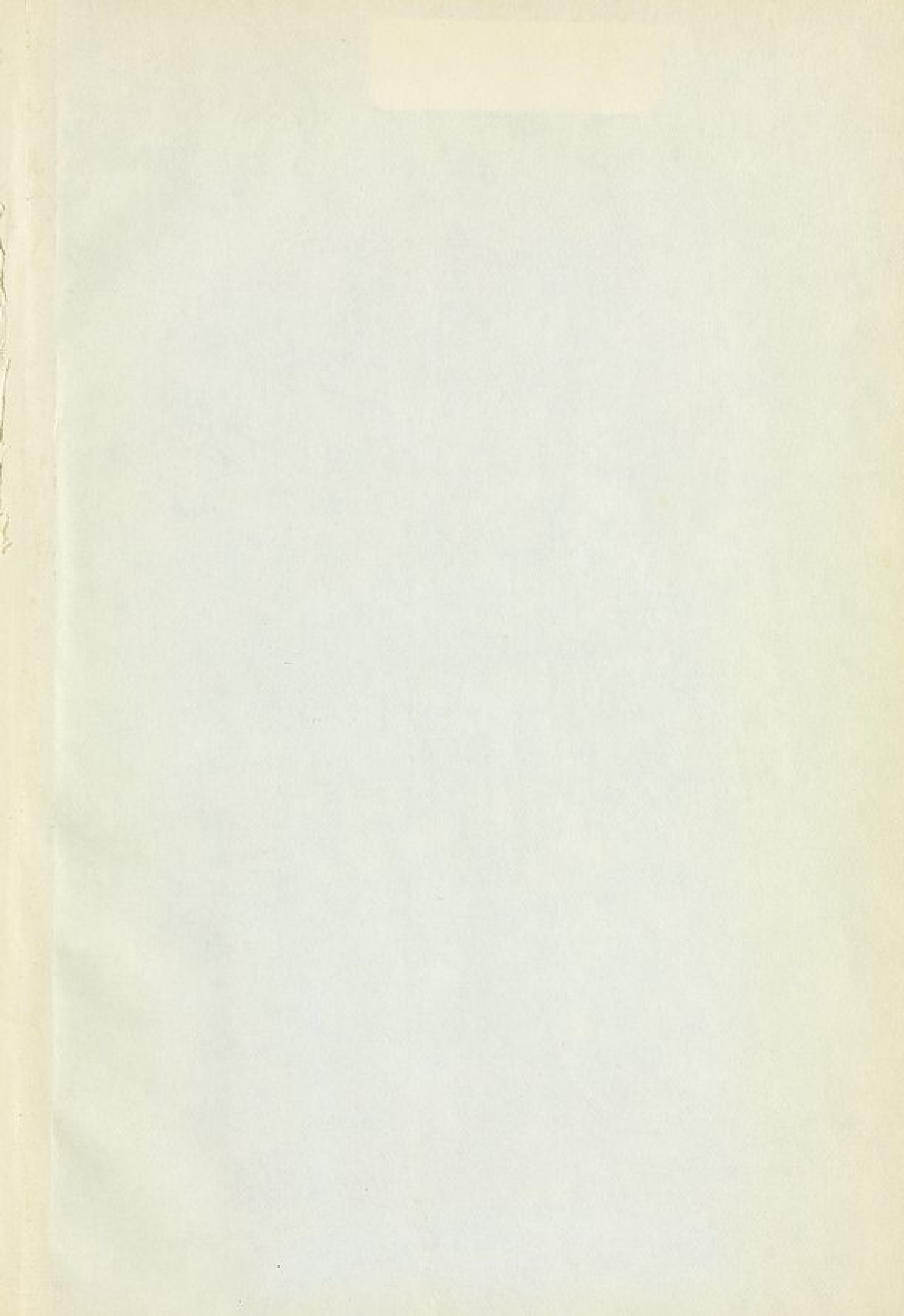
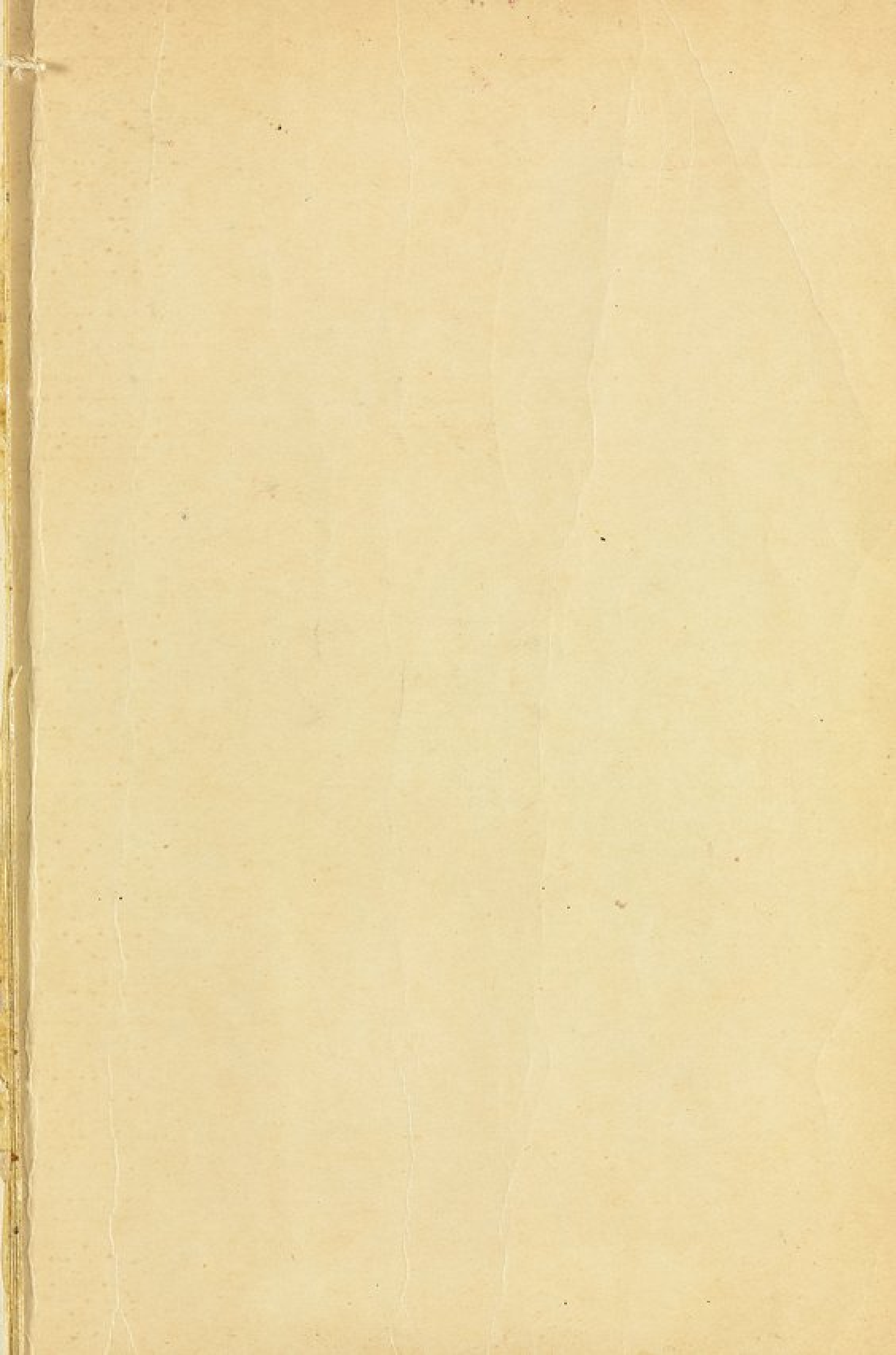


DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE


Princeton University Library
32101 046801856




نصر من الله وفتح قريب
جهاد
نصف قرن
للأمير سعيد آل عبد القادر الجزائري



أنور الرفاعي

جهاد نصف قرن

لسمو الأمير سعيد آل عبد القادر الجزائري

المطبعة العمومية بدمشق



يجتاز الشرق العربي منذ قرنين من الزمان ، مرحلة هامة ، من مراحل تاريخه المجيد ، فقد اخذ يزيح شيئاً فشيئاً ذلك الستار الكثيف المظلم الذي حجبه عن الغرب منذ النهضة الاوربية والفتح العثماني واكتشاف طريق الهند حول القارة الافريقية ، وشهد الشرق العربي في القرن الماضي ، ولا يزال يشهد ، حركة عنيفة ذات تيارات متباينة ، بعضها شديد ، وبعضها اقل شدة ، ولكنها جميعها تدفع به الى الامام ليبني له مستقبلا اعز واكرم .

وتحتاج هذه الفترة العصيبة التي اخذت فيها الحياة تدب بجسم الوطن العربي ، الى تاريخ وتسجيل كل حركة من حركاتها ؛ فلا يزال اكثر نواحي هذه النهضة الباكية غامضاً ينقصه البحث والتدقيق . وما كتب عن النهضة العربية من نواحيها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية . . لا يزال شحيحاً لا يروي غلته ، ولا ينير سبيله .

فالواجب الوطني يدعو شباب الجيل الحاضر الى تسجيل ما يرونه لهم من هم اكبر سناً ممن عاصروا الاحداث القريبة الماضية حتى لا تطوي بانقراضهم صفحة مشرقة من صفحات تاريخنا القومي . ولعل الدافع الوحيد لي على اخراج هـذا الكتاب هو هذه الفكرة التي عرضت لي حينما تعرفت على الامير سعيد في العام الماضي عندما كنت اطبع كتابي (فتح الجزائر وجهاد الامير عبد القادر) ، ورأيت عنده مجموعة من الصحف والمجلات التي يعود تاريخ بعضها الى العهد العثماني ، وسمعت منه اخباراً عن اسرته واعمالها في اواخر الحكم العثماني وفي الحرب العالمية الاولى وما تلى ذلك من احداث ، ورأيت فيها جميعها وجهة نظر ، يمكن عرضها على الاقل ، الى جانب وجهات النظر الاخرى العربية والاجنبية ليستطيع مؤرخ المستقبل الحيادي ان يجد فيها لوناً من اهم الاخبار الدنيوية تبين وجهة نظر صاحبها ، فهي شبيهة بمذكرات خاصة ، ليس لي منها سوى العرض ، والعرض

فقط ، فجميع ما فيها من اخبار وحوادث انما هي اخبار وحوادث الامير نفسه ، رواها او دونها ، وما فيها من استشهاد ، انما هو من الصحف التي حررها بنفسه ، لم ادخل عليها شيئاً اكثر من التقرب التاريخية لكل حادثة ، وترتيبها وتبويبها وسردها متتابعة بحوادثها الزمنية . وقد رأيت فيها عندما اطلعت عليها كل مهتم بالتاريخ ، ليقارن على طريقته الخاصة بينها وبين ما كتب عن معلومات تؤيدها او تخالفها ، وكم اتمنى لو يعمد رجال الامة الوطنية الذين ساهموا في سير الحوادث الماضية ان يدونوا خواطرهم وذكرياتهم ووجهات نظرهم ، ليضعوا تحت أعين الناقد المدقق مختلف وجهات النظر ، فيستطيع ان يحكم حكما مجرداً . والله ولي العاملين المخلصين .

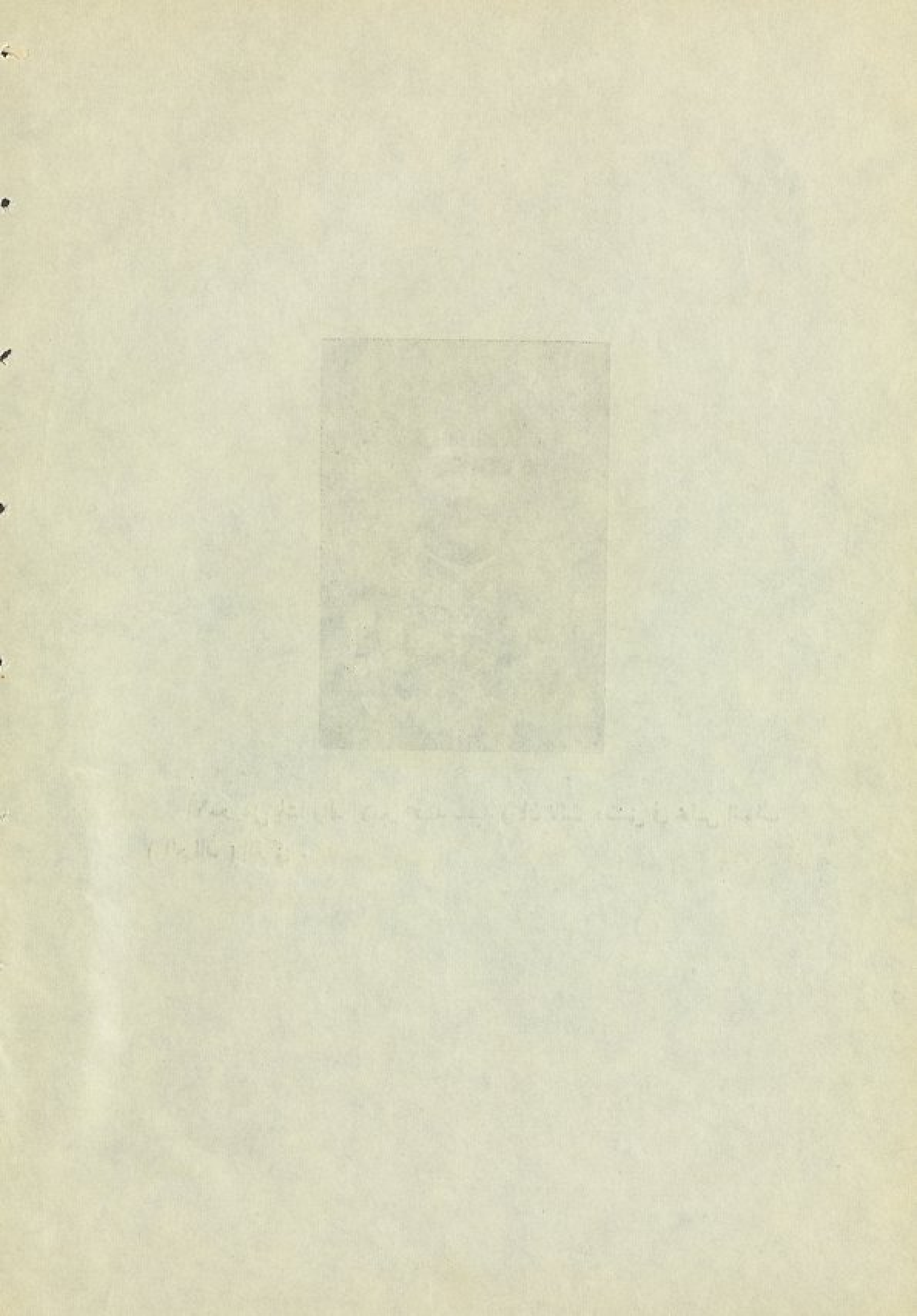
انور الرفاعي

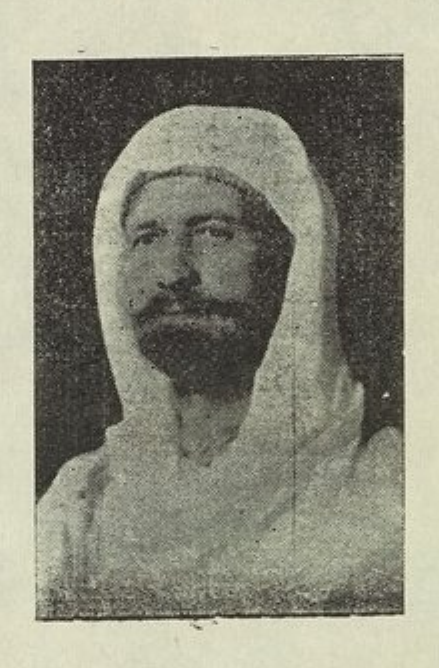


جد الاسرة الهاشمية المغربية الذي ناضل نضال الابطال في سبيل استقلال بلاده زهاء
سبعة عشر عاماً ضد اعظم دولة في القرن التاسع عشر وهي دولة فرانسا بعهد النابوليون
الذي دوخ العالم .

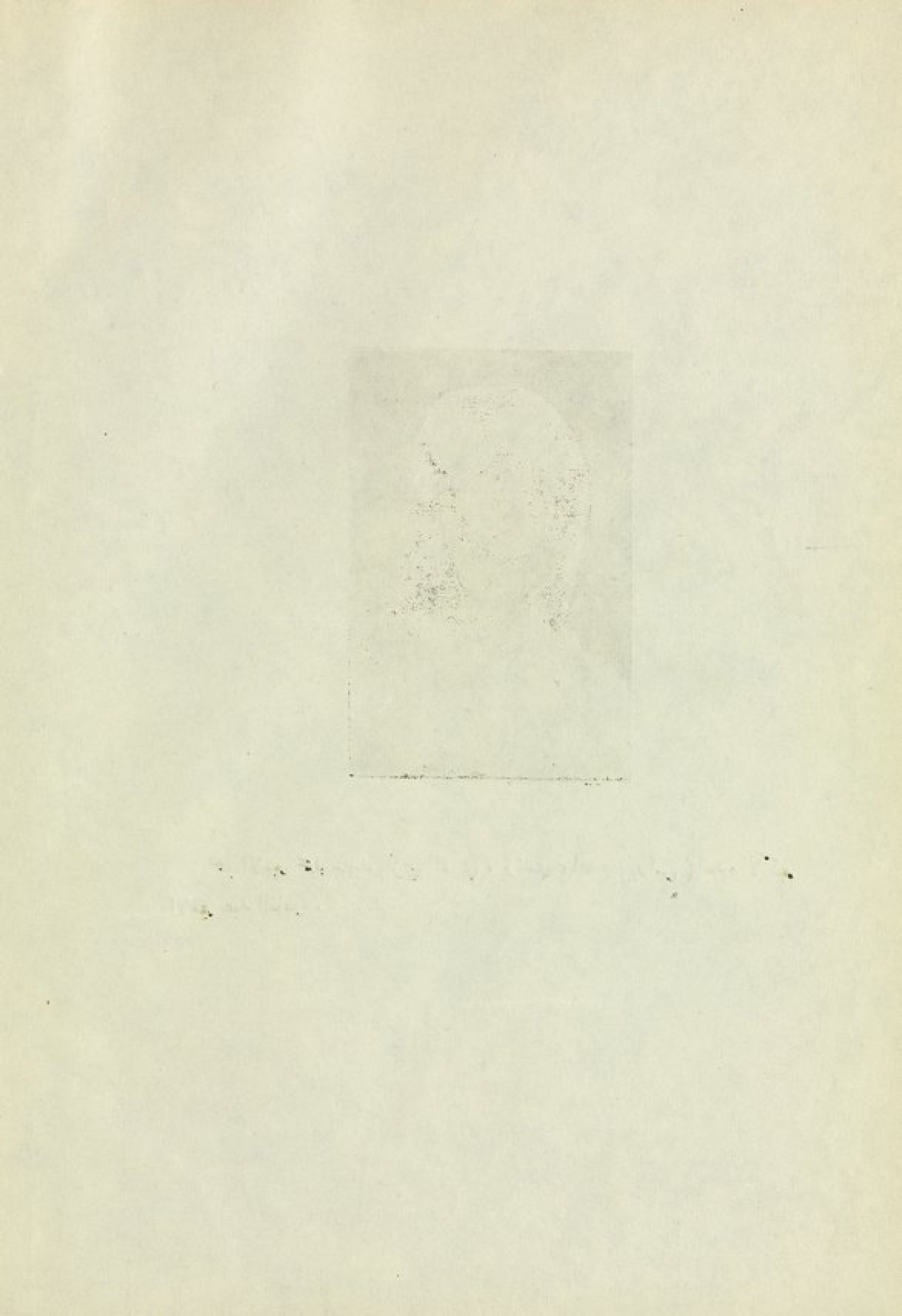


الامير علي باشا والد الامير محمد سعيد وكان نائب دمشق في مجلس النواب (البرلمان) التركي .





سمو الامير محمد سعيد بالزي المغربي ، يرتدي عباءة و (برنس) جده الأكبر
الامير عبد القادر .



نشأة أمير

أفاقت الدولة العثمانية في القرن الماضي من غفوتها وشعرت انها تسير الى الهاوية، فحاولت الاصلاح ، وقضت على الجيش الانكشاري الذي كان عماد قوتها في أيام تأسيس الامبراطورية العثمانية واصبح مصدر بلائها بعد ذلك ؛ وأنشأت جيوشاً نظامية مدربة على النظم الاوربية الحديثة ؛ واصدر سلاطينها الفرمانات الاصلاحية كخط شريف كولخانة والخط الهمايوني ، واعلنوا مساواة جميع الرعية في الدولة العلية ، في نظر القانون ، لا تفرق بينهم الاديان ، ولا الاجناس ، ولا اللغات والعادات، وقرروا تقسيم البلاد اداريا الى اقسام جديدة واشراك الاهالي بحكم انفسهم في الاقاليم وما اشبه ذلك ، وكان القصد مداواة تلك الدعاية السيئة التي كان ينشرها الاوربيون بين اتباع الدولة العثمانية لاستثمارهم الخلافات الدينية والمذهبية، وتشجيعهم الحركات الثورية الانفصالية ؛ وادعاء الساسة الاوربيين بأن هذا الرجل المريض لا يرجى شفاؤه .. وكانت اوربا قد شعرت بروح الجدة والنشاط تدب في كيان الدولة ، فحثت الخطى للوقوف في وجه الاصلاح، وأسرعت لاعلان الحروب تلو الحروب ضد الدولة ، حتى لا تجد الوقت للعناية بشؤونها الداخلية ، وكان اختلافها فيما بينها على اقتسام تركة الدولة العثمانية من عوامل خلافها وتنافسها بل وحروبها ، فما كادت الجيوش العثمانية تنهزم امام الروس وتظفر بعقد معاهدة مجحفة في عام ١٨٧٦ م ، حتى اجتمع مندوبو الدول في مؤتمر عقدوه في برلين عام ١٨٧٨ لاعادة النظر في مواد المعاهدة السابقة ، وكانت الحالة في استانبول عاصمة آل عثمان

على غاية من الحرج والاضطراب ، فلقد هب احرار تركيا ومفكروها العاملون على مداواتها بالدواء الناجع الى عزل السلطان عبد العزيز وتعيين السلطان مراد ثم عزله وتعيين السلطان عبد الحميد الثاني الذي كلف بطل الحركة التحريرية مدحت باشا بوضع الدستور ، والذي عقد المجلس النيابي وطمن العالم ان الدولة العثمانية آخذة بالنظم البرلمانية الدستورية ، وانتهى مؤتمر برلين بتأييد الدولة ، والاعتراف باستقلالها وسلطتها المطلقة على رعاياها ، وعاد العلم التركي يخفق فوق ربى ومدن البلقان في اوروبا الجنوبية كما كان يرفرف فوق البلاد العربية .

في هذه الفترة من تاريخ الدولة العثمانية ، كان الامير عبد القادر الجزائري المعظم ، الذي نقش اسمه بأحرف بارزة عن بطولته وشهامته ، فلا تذكر البطولة الا وتذكر اعمال الامير عبد القادر في الجزائر ووقوفه ذلك الموقف في زمن الاحتلال الافرنسي ، لا يكلّ ولا يملّ يقاتلهم طيلة ثماني عشرة عاما وينتصر على جيوشهم ، ويحفظ العهد بينما كانوا يخونون العهود ، ولا تذكر الشهامة الا ويذكر موقف الامير في دمشق ، بعد ان ارتضاها موطنا ثانيا ، يوم اثارت دول الغرب النعرات الدينية في لبنان وسوريا لغايات سياسية ، وسلطت الاوباش والمساجين في دمشق الهادئة الوادعة على الاحياء ينهبون ويقتلون ، فوقف الامير برجاله يخالف نوايا ذوي الغايات السياسية الدنيئة ، ويحمي المساكين والمستضعفين . نعم في هذه الفترة من تاريخ الدولة العثمانية ، كان الامير عبد القادر المعظم يقضي ايام شيخوخته في دار واسعة من دور حي العمارة وحوله اولاده وزوجته ، يقضي نهاره في استقبال علماء ووجوه المدينة وكرام نزلائها ، ويسبغ على الناس من كرمه وعلمه وفضله ، ويقضي شطراً من الليل منعكفاً في غرفة خاصة يناجي ربه ويتعبده ؛ وكان ابنه الامير علي من احب ابنائه اليه ، وقد عقد له على زوجة من كرام النساء واشرفهن حسباً ، وارجحهن عقلا وتدبيراً . وفي يوم من ايام ربيع عام ١٨٨٣ ، بينما كان الامير عبد القادر جالساً في مضافته يشاطر زوّاره احاديثهم وعلائم الاهتمام على وجهه ، فكان

يلتفت دائماً الى باب الغرفة كأنه ينتظر خبراً هاماً ، اتى ابنه الامير علي وقبل يده باحترام وقال له : «انعم يا والدي الكريم فقد ولدت زوجتي ولداً ذكراً» ، فافترّ ثغر الامير عن ابتسامة حلوة لطيفة فيها الحنان والعطف ، واتكأ على يد ابنه الشاب ، واستأذن ضيوفه ودخل في الحال الى غرفة المولود الجديد وحمله بين ذراعيه وسمى بالله تعالى وقرأ الفاتحة وأذن بصوت خاشع والتفت الى المولود وقال له : «جعلك الله يا بني من ابناء السعادة» . ثم عاد فالتفت الى الوالدين وقال : «ان ابني هذا سيكون سعيداً» ، وكان اسم المولود الجديد «سعيداً» .

أقامت عائلة الامير عبد القادر الاحتفالات ابتهاجاً بمولد امير جديد يضاف الى افراد الاسرة ويعمل على منهجها الذي سارت عليه من دفاع عن الحق ، ونصرة المظلوم ، وينادي بخدمة الاسلام ، كيف لا ؟ وهي اسرة مباركة ترجع بنسبها الشريف الى الرسول عليه الصلاة والسلام .

وكان الجد الامير عبد القادر يشعر بميل غريب الى سعيد الطفل ، والاجداد احن على احفادهم من حنانهم على اولادهم والناس يقولون : «احب من الولد ولد الولد» فكان لا يطيب له عيش الا برؤيته صباح مساء .

وكان الجميع يعطفون على المولود الجديد ويحبونه لعطف جده وحبه . وازداد حبهم وعطفهم ان رب عائلتهم ، قد انتقل الى الرفيق الاعلى بعد شهرين من ولادة الامير الصغير ، فكان من البر ان يعطفوا على من كان عميدهم يعطف عليه ، وبذلك نشأ الامير الصغير بين حنان ابويه وعطف العائلة جميعها .

وعهد بالامير الصغير الى شيخ من مشايخ الجزائر وعالم فاضل من علمائها هو الشيخ محمد المبارك ليعلمه القرآن واصول الدين الحنيف . فكانت عادة العائلات الاسلامية الشريفة ، ان تعلم ابناءها القرآن واصول الاسلام قبل ان ترسلهم الى المدارس الابتدائية ليتعلموا القراءة والكتابة ، وكثيراً ما كان الاطفال يبدأون

بالكتابة في الكتاتيب بعد حفظهم للقرآن عن ظهر قلب ، وكذلك كان شأن الامير سعيد الطفل ؛ فقد دخل مدرسة الريحانية بعد ان استظهر ما تيسر من آي الذكر الحكيم ، وما انهى المدرسة حتى ارسله ابوه الى الآستانة ليتلقى العلم عن جهابذة الاتراك والاساتذة الاجانب فيها . فدخل مدرسة غلطه سراي الثانوية وتعلم فيها الى جانب العربية والتركية اللغتين الافرنسية والانكليزية .



الجامعة الاسلامية

عرف السلطان عبد الحميد كيف يستغل مركزه كخليفة للمسلمين احسن استغلال ، فقد تبنى فكرة الجامعة الاسلامية، واخذ يقرب اليه رجال الدين والعلماء على اختلاف قومياتهم، واصبح شيخ الاسلام ابو الهدى الصيادي من رجال البلاط البارزين ، واشرأبت اعناق المؤمنين الى السلطان عبد الحميد ، في املاكه وفي العالم الاسلامي قاطبة ، من الهند واندونوسيا الى افريقيا الشمالية والوسطى ، واخذ عبد الحميد يهدد بريطانيا خاصة باثارة مسلمي الهند ضدها ، باعتباره الزعيم الروحي للمسلمين جميعاً ، وكانت دعوة الجامعة الاسلامية سلاحا قويا بيد عبد الحميد، عرف كيف يستعمله ويستخدمه في احتفاظه بسلطانه المطلق داخل الدولة ، وتمسك المتعصبين من المسلمين بحكمه ، وفي اعتراف الدول الاوروبية بسلطانه وحكمه .

وكانت الدول الاوربية وقد أثارت النعرات الدينية عند الاقوام المسيحية التابعة للعثمانيين ، عملت على اثارة النعرات القومية عند الاقوام المسلمة التابعة لهم، وكان الشباب الاحرار والطلاب الذين تلقوا العلم في اوربا ودرسوا تاريخ القرن الماضي ، قد آمنوا بفكرة القومية وأخذوا يدعون الى جامعات قومية ، وكان طبيعياً ان يحتدم الجدل بين المتنورين من افراد الشعب حول اي الدعوتين خير للبلاد . وكان طبيعياً ان تكون المدارس الثانوية والجامعات أنشط الاماكن التي نشأت فيها مثل هذه القضايا ، وكان الامير سعيد في العاصمة التركية ، واتم تحصيله

الثانوي في ارقى مدارسها، والتحق بكلية الحقوق، واستمع الى محاضرات اساتذتها خلال عامين تامين وكان بحكم تلمذته مضطراً للخوض بمثل هذه المواضيع وابداء رأيه واستماع آراء معارضيه، وكان بحكم تربيته الاولى، وحكم تقاليد اسرته الشريفة منضما الى الفريق المؤيد لفكرة الجامعة الاسلامية. وبما انه اوتي منذ نعومة اظفاره حظاً وافراً من البيان المنطقي، وقوة الحجة، وسلاسة الاسلوب في الكتابة، وكان يشعر بحيوية فياضة، وميل للعمل المستمر، وكان يشعر ايضاً وهو لا يزال يتابع تحصيله الثانوي، ان عليه ان يرفع من شأن الاسرة القادرية، وان يتابع جهادها المقدس ضد كل ظلم واستبداد، ورفع راية الحق دون خوف من سلطان، وان يصبح عما قريب عماد العائلة؛ وخليفة الجد الامير عبد القادر العظيم الذي امتاز لانجاله سنة التفاني في الخدمة العامة، ولما كانت هذه المواهب والميول مجتمعة في شخص الامير الشاب فقد اندفع اندفاعاً غريباً نحو تأييد فكرته، وهي الدعوة للاسلام، وكان بطبيعة الحال يرى وجوب نصرة الدولة العثمانية لانها دولة اسلامية، ووجوب مقاومة الدول الاوربية لانها دول استعمارية تتظاهر بميلها للاسلام وهي تضمر الحقد والشر لاهله، ولا تبغي غير الاستعمار، وهو قد تعلم درساً من اعمال فرنسا في الجزائر، وعرف اخبار جده العظيم مفصلة، وآمن انه يجب ان لا يلدغ المؤمن مرتين. فأخذ يدعو لفكرته الاسلامية، ويبث دعوته بين اخوانه ومعارفه، ويتصل بالمؤمنين الداعين للفكرة الاسلامية، وكان ينكب على قراءة كتب فلاسفة الاسلام القدماء والحديثين.

ولما عاد الى دمشق، مهبط رأسه، وسافر الى بيروت مرات متتالية، اخذ ينشر في الصحف، كالرأي العام لطه مدور والبلاغ لمحمد الباقر والمشكاة لتوفيق عطار حسن، والمهاجر لابن شطا، المقالات الطوال وفيها جميعها يؤيد الدولة العثمانية ويدعو للفكرة الاسلامية، وكانت مقالاته تثير ضجات عظيمة وتلاقي تأييداً من فريق وانتقاداً من فريق، ولكنها على كل حال كانت تثير الموضوع، وتنقله من الخاص الخاص الى عامة الشعب الذين يطلعون على الصحف. ومن يعود الى الصحف العربية في دمشق وبيروت يرى العناوين الضخمة لمقالاته. ومن هذه المقالات ما يلي:

تسنى لها قتل المسلمين دفعة واحدة لما احجمت ابداً .

(([illegible]

ان نفخر كثيراً بخصمنا الباسل . وكل انتصاراتنا عائدة لاتحادنا فلو كان الشرق متحداً لساوى اوربا بالفخر والعلاء ولجر عليها ذيول القوة والسيطرة ، فالى الاتحاد الاسلامي . الاتحاد الاسلامي فليس لنا بعد اليوم فكرة غير هذه اذا تحققت بلغنا مراقي العليا .»

دمشق

امير زاده   محمد سعيد

وهذا المقال الذي نشر في نفس الجريدة بتاريخ ١٢ شعبان ١٣٣١ :

كيف يستعمرون

البلاد الاسلامية

« لم تكد تنتشر مقالاتنا التي تحتوي على انتقاد سياسة فرنسا في مستعمراتها بافريقيا الشمالية حتى دوت لها الارض وتناقلتها الصحف وذكرتها شركة روتر وهافاس واراد بعض من يعبدون الدرهم والدينار ويرجحون المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، ان يقلبوا لنا ظهر المجن ، ويلبسوا الحق بالباطل مدعين أن تلك المقالات لم يقصد منهـا الا الطعن والتحامل على الدولة الفرنساوية ، وما حملهم على ذلك الا حب التمويه والتضليل حتى تبقى الحقائق مكتومة والامة الاسلامية مخدرة الاعصاب غائصة في سبات عميق لايحرك لها ساكن ولا يبدو منهـا حركة تدل على الشعور ، وهكذا اراد الاعداء منهم ان يخنقوا صوتنا في مهده متخذين في سبيل ذلك كل الوسائل ؛ غير أن صوت الحق لا يقف امامه حاجز فهو يدوي دوي الرعد في السماء ؛ فكان لأقوالنا وقع عظيم في النفوس وكيف لايريدون ان يؤثر الكلام الصادر من ضمير حي ووجدان طاهر ، مع ان من له اطلاع على امهات الصحف الافرنسية لاسيما جريدة الطان يرى في خـــلال سطورها الحملات العنيفة على سياسة دولة فرنسا في الجزائر ولا اتصور أن أحداً ينتقد علينـا هذا

الدفاع المجيد ما دام اكثر المفكرين من الشعب الفرنساوي يشعرون بسوء السياسة في المستعمرات الاسلامية واما الذين يحذرون من وصول صوتنا الى محله فما هم الا من الطبقة التي يهمها قبل كل شيء تأمين منافعها والبقاء في وظائفها التي استؤجرت..»

ثم يتابع الامير في مقاله رأيه في الجامعة الاسلامية وفي الوسائل التي تساعد المسلمين على النهوض متحدين .

واليك هذا المقال الذي نشر في جريدة (الرأي العام) العدد ١١٤ وتاريخ ٦ محرم ١٣٣٢

المسيو هانوتو ازاء تقسيم تركيا

لحضرة المسلم الغيور صاحب السعادة الامير محمد سعيد بك الجزائري

«كتبت تصفير أفكار ، في قسم السياسيات بعددها المؤرخ في ٩ ذي الحجة مقالة افتتاحية تحت عنوان : (الجنايات المدنية) جاء فيها بانه استلفت نظرها بعض اسطر محدودة في جريدة المانية بقسم البرقيات نقلتها ملخصة عن جريدة (الفيغارو) الافرنسية وهي من تصريحات الموسيو هانوتو احد ساسة فرنسا المشهور بعداوته للاسلام والمسلمين قال : — نحن الآن ازاء تقسيم تركيا — وقد علقت الجريدة التركية المشار اليها على هذه التصريحات الجارحة بقولها : — ان بعض التمنيات التي تترجم عن حرص سياسي يفوه به رئيس وزارة وناظر للخارجية او سفير يمكنه التصريح بها ولو كانت تتألم منها روح امة ، ولكن مادبجه يراع ذلك المحرر الذي كانه يلعب بحياة ومقدرات امة في الوقت الذي يمكن ان يكون حائزا على مقام ممتاز من مسموعي الكلمة لايعد بنظرنا الا جناية من الجنايات المدنية .

نحن لم نر مقال الموسيو هانوتو برمته ولكننا مديونين بالشكر لتلك الجريدة الالمانية التي ذكرت تلك الكلمات باسطر محدودة .

ولنكن الدلائل والاسباب التي استند عليها الموسيو هانوتو بتصريحاته كما شاء بيد ان حركته هذه لايمكن ان تعتبر بنظرنا الا جناية مدنية . اه

هذه نبذة مما جاء في جريدة تصفير افكار التي ختمتها بقولها : ليهدأ روع الموسيو فان هذا الوطن لا يتزلزل وسيعيش الى الابد ان شاء الله .

اما نحن فنقول بان هذه التصريحات هي خفيفة بالنسبة لما سبق لهذا الوزير من التحامل على الاسلام والمسلمين ولا يصح لنا ان نذكر امتنا الاسلامية فيما مضى من عداوة هانوتو لان في ذلك تحريكاً للعواطف واثارة لكوامن الحقد .

بيد اننا نقول للموسيو هانوتو واضرابه ان اليوم العتيد الذي يقرر فيه تلاشي آخر دولة للاسلام هو ذلك اليوم الذي يتلاشى به بنو البشر من البسيطة وتقف حركة الارض من الدوران وتتصادم الافلاك بعضها ببعض حيث تنتهي انفاس المخلوقات .

اغتر الموسيو هانوتو بسكون المسلمين في المستعمرات الاسلامية التي اغتصبتها دولته حتى هان عليه القضاء على البقية الباقية وذهل عن فكره ان اقل عاصفة في صحراء افريقيا تحرق الارم وتذهب بالاخضر واليابس وتحصد كلما يعتور طريقها.
سكون المسلمين يا هذا واستسلامهم للاقدار لم يكن ناشئاً الا عن سبب التعزية بوجود دولة اسلامية لم تزل تحمي بيضة الاسلام وتذب عن حياضه، والعالم الاسلامي يشخص ببصره نحو هذه الدولة من مشارق الارض الى مغاربها وهو يراقب ما يجري حول هذه المملكة بكل اهتمام ، فابراز خيالات الموسيو هانوتو من عالم التصور الى حيز الفعل يتوقف على افناء ثلاثمائة مليون وخمسين الف مسلم منتشرين في اطراف الكرة الارضية .

فاذا كان لديه قوة تقدر على محق هذه النفوس التي ترى الموت والحياة على حد سواء عندما يمس شعورها الديني فليقدم على هذا الامر العتيد ليربح ويستريح !!..

ان هدم باب جامع من احدى ممالك الهند قد زلزل الارض يا مسيو هانوتو وانتشر خبره في انحاء البلاد لانتشار التلغراف اللاسلكي ، وحرك عواطف المسلمين لدرجة لم يخفهم فيها قصف المدافع ولا صلصلة السيوف ولا رمي البنادق ولا ندري

ماذا تكون الحالة اذا اصيب الاسلام في قلبـــه او عرض العرش الذي يحمي الحرمين للخطر ؟؟

لعمر الحق ان القلب ليخفق والفؤاد ليهلع والكبد ليكاد ينفطر أسا وأسفاً على الانسانية التي يريد بعض الاغرار ان يضحيها على مذبح مطامعهم الاشعبية !

اسرد هذه الحقائق الراهنة وانا على يقين بان بعضهم يظن بي الغلو والمبالغة في الامر ، ولكن من يعرف ان المسلمين حملتهم الغيرة الدينية على ان يحضروا الى ساحة القتال في طرابلس الغرب من آخر المغرب الاقصى وواحات السودان وهي مسافة لاتقل عن اربعة اشهر لوافقني على هذا الرأي ولتحقق لديه ان المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً أو كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وكما ان امة طرابلس الغرب قدرت ان تقف امام دولة ايطاليا وهي خالية من العدد والمعدات بسبب تضافر ابنائها المسلمين ، كذلك دول البلقان فانهم لم يتغلبوا على الدولة العثمانية الا بنبذ العداوة الكامنة في قلوب ابنائها واتحادهم باسم الدين .

ومن يعلم شدة العداوة المتأصلة في قلوب دول البلقان يتأكد لديه بانه لم يقدر هؤلاء الساسة ان يوحدوا بين القلوب المتنافرة الا بواسطة الدين ومن هنا يستدل على ان الاسلام لايمكن ان ينفك عن بعضه او يتقاعس عن القيام بواجباته عند مسيس الحاجة .

وهنالك ادلة وبراهين كثيرة تثبت ماندعيه بالحجة واما مايدعيه المسيو هانوتو عن ان الباعث على تغلب دول البلقان على الجيش العثماني لم يكن من قصور في الاسلحة الالمانية وعدم تدرب الجندي المسلم . فان هذا قول فارغ دحضته الوقائع الاخيرة على ان اكثر الصحف العالمية تعزو السبب الاول في تقهقر الجيش الى امور جوهرية لانود ان نذكرها لنمنع استثارة العواطف او انفجار بركان التأثر والغضب .

وأما المظاهر التي كانت تقوم بها الدولة الفرنساوية لتوهم العالم بان لها حقوقاً فقد كان له تأثير سيء في نفوس المسلمين بل كان داعيا لازدياد نفورهم واشمئزازهم.

ولو سبرت هذه الدولة غور الحقائق لعلمت بان كل شيء بلغ الحد انتهى الى الضد ، فالدولة الفرنساوية تناهت في كل شيء وليس بامكانها الا ان تجاري السنن الطبيعية فلا تختلق الاسباب التي تورثها النكال فان اعظم قوة لديها تستعملها للفتح هي تلك القوى الاسلامية التي غلبت على امرها فاذا هبت العاصفة ولم تتحرك تلك القوى او بذلك الجيش الاسلامي الكامل العدد والعدد فلا بد له الا ان يذعن مضطرا اذ لايمكنه الوقوف امام تيار جارف ، فلتمد الدولة الفرنساوية يدها لمن يريد السلام فانها تجد من دول الغرب من يوافقها على هذا الفكر والا كانت معرضة نفسها للخطر . وحراجة مركزها لايخفى امره على احد فليكن اكبرهم لديها تحسين اخلاق الامة فاننا بينما نرى نفوسها تتناقص بسرعة نجد نفوس خصمها يزداد بكثرة وبينما نرى بحارة الالمان على غاية الاداب الكاملة والاخلاق الجيدة يوم يزورون بلادنا اذ نجد بعض البحارة الفرنسيين على درجة متناهية من انحطاط الاخلاق . هذا مانلفت اليه انظار الموسيو هانوتو القائل بتقسيم المملكة الاسلامية ليتدبر الامر ويتبصر في العواقب ولله عاقبة الامور »

وهذا المقال ايضاً الذي نشر في ٨ رجب ١٣٢٩

نحن مسلمون قبل كل شيء

لحضرة الامير الجزائري

يعلم كل محقق ومراقب للحركات الحربية التي نشبت فيما بيننا وبين دول البلقان وسبب الخذلان والتقهقر اللذين انتابا الامة كل ذلك بباعث ضعفنا في الدين وتمسك اولئك بعرى الوحدة الجنسية والروابط الدينية القوية ولو سئلت اي فرد من افراد عساكر البلقان ماالذي يحملك على محاربة العثمانية لاجابك على الفور اننا نقوم بواجب

تخليص أبناء جلدتنا الذين هم تحت سيطرة الاسلام من الذل والهوان وقد اصبح معلوماً لدى الخاص والعام ان هذا الحرب كان عبارة عن احتكاك الصليب بالهلال حتى ان ملوك البلقان صرحوا بذلك في مناشيرهم يوم اعلانهم الحرب وقد اطلعت مراراً في مجلة الالوستراسيون الافرنسية على صور الحرب فرأيت ان اكبر هم عند ملوك البلقان بينما يدخلون للبلاد التي افتتحوها هو زيارة الكنائس واحترام رجال الاكليروس ، ولم اعلم اذا كانت تلك المظاهر بباعث العصبية الدينية ام لتحريك العواطف العامة التي بسبب هيجانها العام تمكنوا من التغلب على تلك الدولة الفخيمة التي لم يسبق لها مثل هذا التقهقر امام التاريخ؛ وكيفما كان الحال فان دول البلقان لم يتمكنوا الى قهرنا الا بسبب عصبيتهم الدينية ورابطتهم القومية واذا علم سبب تغلب الاعداء علينا فان رابطة الدين هي أعظم رابطة قومية تقود الى اقصى درجات المجد والفخار والسؤدد والشرف فلم ادر ما الذي حمل جماعة المؤتمرين ان يلقوا بانفسهم باحضان من لا يريدون لهم نجاحاً ولا يرضون لهم اصلاحاً وهم علة شقائنا ومصدر بلائنا وباعث انحطاطنا لانهم لم يتركوا سهماً الا وصوبوه في نحورنا فبينما تراهم يتعامون عن بقية المدن التي هي أكثر همجية وأعظم انحطاطاً وما الفرق بيننا وبينهم لالكون اولئك اخوانهم في الدين والجنس ونحن اعداؤهم في كل شيء .

كل المداوة قد ترجى مودتها   الا عداوة من عاداك في الدين

وربما يتهمنا البعض بهذه التصريحات للتعصب غير ان الحقيقة لا ينبغي ان تكتم وقد برهن لنا التاريخ ان المتعصبين هم أرجح وأوفق من المتسامحين لان المتعصب يضطره دينه ان يحافظ على شريعته ، والشريعة منحت جميع الاديان المساواة في كل شيء ، ولا خفي ما في ذلك من الراحة والطمأنينة لكل العناصر وبالعكس قلة الدين فان عواقبها تكون سيئة اذا عمت الفوضى وعبثت الايدي باخلال الامن ، وبينما نرى ان الشريعة الاسلامية السمحاء تطلق لبقية العناصر حرية الاديان نرى بعض الدول يضيقون على خناق المسلمين حتى حملهم التعصب الى سلب

حربهم الدينية وبذل المساعي الى تجنيسهم بجنسيتهم حتى يأمنوا من غوائل المستقبل على زعمهم غير عالمين مافي ذلك من الخرق في الحقوق الدينية والشرائع السماوية ،
وهل يلومنا بعد ذلك احد اذا حملتنا الحمية الدينية على نصيحة اخواننا بان يرجعوا الى رشدهم ويلتفوا حول لوائهم وماضر هؤلاء المؤتمرين لو اتفقوا مع اشراف البلاد ورجال المملكة وتداولوا في امر ماتحتاج اليه البلاد من الاصلاح حتى اذا اتفقت الآراء واجتمعت الكلمة ذهب وفد من هؤلاء الى عاصمة السلطنة وطالبوا الحكومة بما ينفع الدولة والامة والله وما يعود على المملكة العثمانية بالخير والسعادة ،
وكأني بهم يقولون ان ليس لنا امنية ، كما ان الحكومة لاتقوم بمطاليب الامة فأقول ان الدولة لايمكنها الوقوف أمام تيار الاصلاح الذي تشعر به ايضاً متى علمت أن أفكار العامة والخاصة مجمعة عليه . وخلاصة القول : ان كل عمل يخالف الشريعة ويأتي بخلاف الاوامر الالهية لاتكون عاقبته الا شراً وويلا على القائمين به ولست أرى لزوماً لبيان ماورد بعدم مشروعية وجود المؤتمر في باريز لان ذلك صريح لاجدال فيه ومن أنكر هذا فانا مستعدون لاقناعه بالبرهان لابالمغطة وشقشقة اللسان واذا كان طلاب الاصلاح هم من ارباب النيات الطيبة فانهم ولا شك يرجعون الى رأينا واذا رأينا صدوداً من دولتنا فعندئذ نعمل بقوله تعالى : (وان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله) وهذا هو رأينا نبديه ونحن نتنزه عن الغرض والتحزب والسلام .

« جريدة الرأي العام البيروتية بتاريخ ٨ رجب ١٣٣١ »

وقد أكثرت الصحف من الحديث عن الامير سعيد وعن دفاعه عن الاسلام ونكتفي بذكر المقال التالي الذي نشرته جريدة المهاجر بعنوان :

العالم الاسلامي والامير سعيد

« كما أن العالم الاسلامي شرقاً وغرباً وحيث ماأجلت النظر في هذه الكرة من

أقصاها الى أدناها أصبح لا يرى رابطة تضمن له البقاء والوقاية من الاضمحلال الا بالتمسك بمقام الخلافة العظمى التي يمدها العثمانيون عموماً والمسلمون خصوصاً دولتهم الكبرى وفخرهم السرمدي فكذلك لم يبق واحد في هذا العالم الاسلامي الا وهو مشرأب النظر الى ذلك النور الساطع الذي ملأ حاشية الزمان هيبة وجلالا لانبعاثه من النور النبوي ومن تألف به بيت المجد والعلاء وافتخر بوجوده الوقار والحلم وخفق عليــه لواء التقوى والعلم واعني به حضرة الامير محمد سعيد بك نجل الامير الخطير علي باشا وحفيد الامير عبد القادر

نهض هذا الامير الفخيم مدافعاً عن الجامعة الاسلامية ببيانه الخلاب وحكمه اللؤلؤية متوخياً الاخلاص وجمع قلوب الاسلام في سلسلة نورانية وتوحيد كلمهم للسعي في اعلاء شأن الخلافة العظمى والسلطنة العلية العثمانية وانتشال ممالك الاسلام الواقعة تحت نير الاجانب من ذلك الحضيض الاوهد فهزت نهضته جميع أطراف الكرة ودوى صوته في أرجاء الكائنات حتى وطن في اذن الفلك فابتسم ثغر الاماني وترقرقت في النفوس نشوة الرجاء وادركت اوروبا انه مادامت الامم الاسلامية عقول تفقه وسواعد مفتولة وعزائم معقودة الاطراف وفي افواهها السنة تنطق وعلى رأسها مثل هذا الامير الفخيم يذود عن كرامتها ويدافع عن مجدها ويطالب بحقوقها فهي لن ترضخ للضيم ولن تخضع لمن يدفع بها في وهاد الذل والاستسلام . كيف لا .

وقد ارآنا التاريخ الذي هو مرآة الحوادث الكونية ما لطلاب المجد من جلائل الاعمال لاستقبالهم وجهة الشرف ولانهم يأبون الضيم سواء لهم او لابنــاء قومهم فلا يسرهم ان يروا القوم من الاقوام شيئاً من العزة والشرف والرقي والتقدم حتى يكون لبني قومهم ماهو أفضل وأعلا وأسمى وأغلا وهذا أعظم ماتسمو اليه المساعي وتسمو له الهمم العوالي وتوضع لاجله قواعد العمران وتفسح في سبيله دوائر الطلب فكل امة حية تدافع عن روحها بكل قواها وتكافح عن حقوقها بمجموع

مرائرها وتنضوي تحت لواء العامل على اسعادها خشية ان يتطرق اليها الاعتداء من جهة فيجد من خلاله الضعف متعلقا ،والسل متسلقا ،ويكون ذلك مبدأ الهواية وثنية الوداع ،فهي تفدي عند الاقتضاء حتى لاجل القليل من ارضها ، والتامة من حقها بالغزير من دماء اولادها وبالنفيس من جواهر اكبادها ،لالمساواة ذلك الحق بذاك الثمن في ذاته بل لغلاء المزة في ذاتها وغلاء ثمن الاستقلال بنفسه، كما وضح ذلك مفصلا حضرة الشهم الغيور الامير محمد سعيد في مقالة ضافية نشرتها جريدة الرأي العام تحت عنوان حياة سعيدة او موت سعيد وتناقلتها جرائد العالم في سائر المعمور وقد انبري للرد عليها اذ ذاك بعض الخونة المارقين من مأجوري الاجانب الذين تطيروا من صوت الحق واجمعوا على ان من رابع المستحيلات ارجاع ادرنه الى الدولة العلية ،فأبى الله إلا ان يتم نوره ويرد كيدهم في نحورهم،فالحمد لله الذي نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده وجعل كلام هذا الامير النبيل مؤيداً بالالهام بالرغم عن انوف اعدائه اللئام .

على أننا لو فرضنا ان امة صغيرة كالبلجيك او الدانمارك هاجمتها امة عظيمة كامة الفرنسيس او الالمان ، لما تأخرت هذه الامة الصغيرة عن مقاومة تلك الامة العظيمة بما استطاعت ،ولما قعدت طرفة عين عن الذب بكلما في وسعها ولهبت رجالا ونساء ،ونفرت خفافاً وثقالا ،ووردت حياض الموت الزؤام ذوداً عن استقلالها.ولا يرون ذلك عجباً ولا يحسبونه عبثاً ،وذلك لان الامة الصغيرة لها حق البقاء كالامة الكبيرة والدول المستقلة كلها في الحقوق شرع بدون نظر الى القلة والكثرة والضعف والقوة .

فاذا كان هذا الحال في صغار من الامم لم يعرف لها التاريخ إلا أثراً ضئيلا فماذا تجب ان تكون الحال مع الامة العثمانية العظيمة القائمة منذ ستمائة عام في وجه اوروبا باسرها والصائلة بجندها وحده مراراً متعددة على دول اوروبا المجموعة المتماسكة بعضها مع بعض لتثخن فيهم الى اواسط بلادهم وتحصرهم في بحرهم وبرهم

وتقوم اخادع الاعزة الجبابرة من قياصرهم ،ونقوم بخزائم المهانة انوف السلاطين بالشمم الاقعص من ملوكهم ،ويلوذ بجناح عظمتها كل قديم المجد من سلاطينهم ، كملك فرنسا وملك السويد وملك بولونيا وصاحب اوستريا وغيرهم ، فكيف بعد هذا توهن عزائم الامة فترضى بتسليم اقاليمها وترضخ الذل والى يومنا هذا يبايع صاحب هذه الدولة اربعون مليونـــاً من العثمانيين من كل لسان وامة فيهم اشد قبائل الارض سطوة ، وأصعبها بأساً وصولة ، وأطيبها بقاعاً وأحصنها بلاداً وأمنعها أغواراً وأنجاداً ، وبوالبهم نحو ثلاثمائة مليون من المسلمين ينظرون من اربع زوايا المعمور الى دار الخلافة بعين الوقار ويرون في امير المؤمنين انه حمى الله في بلاده وظله الممدود بين عباده ، فهل بعد هذا يتصور عقل عاقل ان امة هذا شأنها ودولة ذاك سلطانها ترضى بالخضوع للاجانب ، وتركن الذين ظلموا من الاغيار الكاشحين العاملين على هضم الحقوق واغتصاب الممالك واستعباد الامم ومحاربة الاسلام حرباً دينيـــاً في قالب سياسي ؟

لقد اشتد الضغط على الامم الاسلامية التي اوقعها سوء الحظ تحت نير الاجانب ، ومثل الشدائد كمثل البراكين التي لا يشهر انفجارها الا بعد الضغط ، فكم من شدة نزلت بالامم فايقظتها بعد سباتها ونبهتها بعد غفلتها وحركتها بعد سكون عميق ، فالشدائد مهما عظمت تعد مفاتيح سعادة الامم ودلائل حياتها ، وان الشعب الذي يثقل عليه الوطأة لا يلبث ان يثور كالبحر الزاخر غير مبال بمـا يصادف من الاهوال الرائعة والخطوب المدهشة ، ولذلك ترى المدافعين عن مجد الاسلام الحامين لذماره الذابّين عن حوزته لا يثنيهم عن القيام في سبيل تخليص بلادهم بذل الحياة لانهم عاهدوا الله ان لا يدخروا وسعاً في خدمة الامة مادامت فيهم عروق تنبض ودماء تجري وارواح تحرك نفوسهم وارادة تسير افئدتهم . ولما كان حضرة الامير محمـد سعيد في مقدمة اولئك الابطال الذين لا يطأطئون رؤوسهم بعد ان رفعوهـا عالية ، ولا يعبأون بالكوارث وان عظمت ، بل تزيدهم قوة على قوة ، وتبعث فيهم آمالا

جساما فوق آمالهم ،وكان جهاده العظيم قد ارهب قلوب الاعداء، لم يسعهم الامحاربة صولته الرهيبة بسلاح التمويه والاختلاق ولكنه وقف بثبـاته المشهور واقدامه المهيب وقفة الاسـود الضاريات ورمى تلك السهام المحرقة ،وأراش نبالا صائبة اخترقت احشاء المتمخرقين، وكانت العاقبة للمتقين . فعلى اخواننا الاعزاء من مهـاجري الجزائر ان يقتـدوا باميرهم وكما اظهروا اخلاصهم لذاته المحترمة وتفانيهم في محبته واعجابهم بتقواه ونسكه وشجاعته وتعاهدهم على الاذعان لاوامره ننصح اليوم بان لا يغتروا بهذيان سماسرة السوء من المأجورين الاجانب ، وان يقدروا نعم الله تعالى عليهم حيث قيض لهم هذا الامير الجليل وهذه الدولة العليـة التي منحتهم الاراضي وغمرتهم في نعمها ،فحذار حذار من الانخداع لدسائس المفسدين وتضليل الضالين المضلين الذين يزعمون ان دولة العدل والمســـاواة ستوزع عليهم عشرة آلاف ليرة او انها ستخصص لهم في بلادها المخصصات الى غير ذلك من التخيلات الخنفشارية والاقوال المزركشة بلطف الموعد ، ومن الامور المسلمة ان المروق من هذه الجامعة العثمانية يعد مروقاً من الدين . فمن ذا الذي يرضى ان ينتقل من احضان دولة الاسلام التي هي واسطة الارتباط لهويتهم الدينية ومن تحت رعاية متبوع رحيم مشفق الى أسر ضابط خش فظ فتتلاشى تلك الرابطة ولا تقوم لاحد منهم قائمة وكأني بمهاجري الجزائر وقد ادركوا الحقيقة فاصبحوا على مافعلوا نادمين والفضل في جمع كلمتهم لحضرة الامير سعيد فلا زال قرة لأعين الموحدين ولا برح قائمـــاً باعلاء كلمة الدين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .»

البديع

وكان الامير صديقاً حميماً للكاتب السوري الذائع الصيت معروف الارناؤوط الذي كان يؤيد الجامعة الاسلامية ويكتب عنها دائماً ونرى في ايراد احدى مقالاته في جريدة المهاجر فائدة تاريخية قال الارناؤوط :

وكانت الجامعة الاسلامية ولا تزال غاية المسلمين القصوى التي يرمون الى تحقيقها ويبذلون النفس والنفيس في سبيل اعلاء منارها واجلال ذكرها ؛ ليظهروا بها حيال التيار الاوربي بمظهر القوي المتيد وهم مابرحوا الى اليوم بالرغم من تراكم المصائب على دولة الخلافة الاسلامية يجوبون الاقطار الملائي بالملايين المديدة من المسلمين للتبشير بهذه الدعوة الحقة ولتعزيز مركزها وصيانتها من كل خطروشر، ولقد نجح والحمد لله القائمون بهذه الدعوة نجاحاً كبيراً وادركوا فوزاً مبيناً فان البلاد التي وطئتها أقدامهم كان أهلها يتسابقون الى الانخراط في سلك هذه الجامعة ويقبلون على معاضدتها وهم مرتاحون الى الغاية الشريفة التي يتوخاها زعماؤها .

ففي الصين الآن جامعتان يرأسها السيد محمد تشين يوكغ رئيس مجلس النواب الصيني وعدد اعضائها اكثر من الفي نفس ، وفي الصين حركة شديدة دينية سياسية يقصد بها ايجاد رابطة وثيقة تجمع بين مسلمي العثمانية ومسلمي الصين . لان عدد المسلمين هنالك يزيد عن الستين مليوناً جلهم من الاتراك المغول .

وفي اليابان جامعة يرأسها وزير الخارجية السابق عمر يوكا هاما الذي لا نزال نذكر عهد قدومه الى بيروت وذلك منذ ثلاثة سنوات ولعل القراء لايزالون يذكرون تلك الحفلة التذكارية التي اقامتها جمعية الاتحاد والترقي لهذا الرجل العظيم وكيف انه خطب يومئذ باللغة الانكليزية شارحاً ماللدين الاسلامي من الفضل على المدنية الحديثة . ويبلغ عدد المسلمين في مملكة الشمس المشرقة سبعة ملايين وهم يابانيون واكثرهم من الاشراف ، وذوي المقامات العالية في حكومة الميكادو، ولهم هنالك جمعيات عديدة ترمي الى نفس الغاية التى تشرئب اليها اعناق مسلمي الصين

وقد تمكن الاعيان المسلمون اليابانيون من اقناع الحكومة بضرورة احتلال جزائر الفيلبين التي تحكمها الولايات المتحدة اليوم، لان فيها ستة ملايين من المسلمين، ولذلك كنا نرى اليابان دائبة في التحرش بحكومة الولايات المتحدة وهي تزعم انها تطالب بحقوق اليـــابانيين الموجودين هنالك غير ان الحقيقة هي ان اليابان تطمح الى تحقيق رغائب شعبها .

هذا عدا ما في الهند، والافغان، وافريقيا الشمالية، من الجمعيات الساعية وراء انماء هذه الحركة المباركة التي سوف تكون سهماً حاداً يمزق احشاء غلاة الغربيين وأشياعهم هنا في بلادنا السورية الاسلامية .

حدا بنا الى ذكر هذه التوطئة ما كتبته بعض الصحف بشأن الجامعة الاسلامية واظهار عدم الاعتداد بها والحط من شأنها ولقد كان بودنا ان لا نحفل بما جاء في تلك الصحيفة، بيد ان الكثيرين من اصدقائنا رغبوا الينا ان نكتب شيئاً قليلاً عن هذا الامر كما ان ضميرنا طلب الينا ايضاً ان نصرح للمسلمين بان اليد التي كتبت تلك الاسطر السامة ليست يداً مسلمة ليزول بعض الارتياع الذي قد يلحق بالمسلمين !!

بل ليزول اثر السخط الذي لحق بالامة الاسلامية من جراء وجود تلك المقالة التي كتبتها يد غريب في جريدة اسلامية تحسب في مقدمة الذين يدافعون عن الجامعة الاسلامية .

إن مسلمي الصين، واليابان والهند والروسيا وافريقيا الشمالية والعجم، قد شعروا الان بوجوب التضامن حيال التيار الاوربي وهم وان كانوا الآن لا يظاهرون اسرارهم فانهم يعملون في الخفاء على تحقيق رغباتهم، فاذا علم كاتب تلك المقالة هذا السر، واحاط علما بتلك القوى الهائلة ادرك اساءته ان ظنه كان وهماً، وان صرخة من الهند وافريقيا الشمالية تكفيان لهز عروش واسقاط ممالك، بل ان اقل حركة يأتي بها مسلمو الشرق كافية لارجاع الغرب الى حظيرة الوحشية التي كان يتدرج بها في سالف العصور .

ذكرت تلك اليد الغريبة خبراً مآله ان حكومة الاستانة وزعت منشوراً على الشعب العثماني تدعوه فيه الى مقاومة مقررات اوربا . وقفت على ذلك بقولها : « اننا لانستطيع مقاومة أقل دولة » وكل عباراتها ظهرت بمظهر المزدري الساخر والشامت بانكسار الدولة بل الهازئ بقوي الاسلام والمسلمين .

ولو علم ذلك المغرور الذي دس تلك السطور السوداء المملوءة بالحقد والبغض بان المسلمين ليسوا عاجزين عن درء الخطر الذي يحيق بهم بسلاحهم وان مسلمي الهند وافريقيا قادرون على اذلال اوربا وجعلها قاعاً صفصفاً في مدة صغيرة لارتدع عن غوايته ولتأكد له ان صرخة من الهند وافريقيا تؤثران على اوربا وتحملانها على التقهقر والاندحار .

كان يجب على تلك اليد ان تمسك عن الازدراء بقوى العالم الاسلامي لان ليس من شأنها الخوض في مباحث لايجوز لاحد غير المسلمين البحث فيها .

ان قوى العالم الاسلامي كبيرة متفرقة ولكنها كادت تصبح مجتمعة بمساعي مسلمي الشرق الاقصى ، ولئن اتاح لها القدر ان تجتمع في مدة قصيرة فان الغرب لايلبث ان يرتجف هلعاً وفرقاً ويرجع بحالة اليأس . سخرت تلك اليد بقوة الدولة والصقت بها العجز والخوار مع انها لو تدبرت الحقيقة لتأكد لها ان الدولة قادرة على ارجاع كرامتها وقوتها برؤوس الحراب ، سيما وان اوربا عاجزة عن ارجاعها الى حدودها الاصلية لوجود التباين في الافكار في رؤوس معتمدي الدول الاوربية فهي ستحافظ على ادرنه وتسفح آخر نقطة من دماء ابنائها في سبيل الاحتفاظ بها .

لقد كان الانخذال والانكسار مؤكداً فيما لو كانت وزارة الامس مكان وزارة اليوم الجريئة ، ولكن لحسن حظ المسلمين ان امور الحكومة مناطة اليوم بأناس شغلهم الشاغل ارجاع مكانة العالم الاسلامي .

ولقد جاء في تلك المقالة وصف لحالة مسلمي الهند وافريقيا وهي حالة ـ كما يزعم كاتب المقالة ـ موجبة للاشفاق مع ان الحقيقة خلاف ذلك فان مسلمي الهند قد

اظهروا في آخر الحرب البلقانية استعداداً للمروق من الحكم الانكليزي باطلاقهم القنابل على دار حاكم الهند ، مما دلنا دلالة واضحة على ان اقوامهم المعنوية ، والروحية قد ترقت كثيراً ، وان نفوسهم تأبى الرضوخ لحاكم اجنبي جل قصده ان يحدث العراقيل في سبيل تقدم دولة الخـــلافة الاسلامية . ومن كانت هذه حالته ومبلغ مطامعه لا يعقل ان يكون خاذلا دليلا ، ثم ان الانكليز ليسوا في الدرجة التي يتصورها من القوة فقد اظهرت لنا الحرب الافغانية الانكليزية ان الجنود الانكليزية لا تحسن الوقوف في موقف القتال فقد كانت الخسائر تتراكم على الجيش الانكليزي بتوالي الايام وفي النهاية آب الى بلاده خاسرا بعد ان اضطرت الحكومة البريطانية الى اعطاء امير الافغان مبلغاً عظيماً كغرامة حربية وليست الحرب السودانية بعيدة عنا فان فشل الجند الانكليزي ظهر هنالك بتمامه ولولا الجيش المصري لم يتم الفتح لانكلترا.

فاذا كانت هذه حالة انكلترا وهي سيدة شعوب اوربا واكثرها مالا واوفرها رجالا ، فكيف هي حالة فرانسا وبقية الدول بازاء الشرق والشرقيين الذين سيدركون ثأرهم في القريب العاجل .»

م



الانقلاب العثماني

أخلص الأمير سعيد للسلطان عبد الحميد واندفع بتأييده اندفاعاً قلبياً ، لانه كان رمز الوحدة الاسلامية والجالس على كرسي الخلافة ، والداعي الى الجامعة الاسلامية ، وكان شبان الترك الذين درسوا في الجامعات الاوربية ينتقدون حكم عبد الحميد الاستبدادي ، وأسسوا جمعيات سرية معروفه أشهرها « الاتحاد والترقي » التي اتخذوا مركزها في سالونيك . ولم يؤيد الامير سعيد في اول الامر هذه الجمعية او أضرابها من الجمعيات التي تعمل ضد عبد الحميد ، لان عملها في رأيه خروج على السلطان ونقض للبيعة ، وقد تكتل الاتحاديون ، وقاموا بحركتهم التحريرية ، بعد ان سمعوا باجتماع ريفال سنة ١٩٠٧ بين ملك الانكليز وقيصر الروس واتفاق العاهلين على اقتسام أملاك الدولة العثمانية ، وتحصن طلعت وانور في مكدونيا ، وابرقوا الى عبد الحميد باعلان الدستور ، فاعلن عبد الحميد الدستور ؛ واطل على مظاهرات الفرح والابتهاج التي قامت بالعاصمة التركية وقال مخاطباً شعبه : « هذه هي الامنية التي كنت أعمل لها طول حياتي » . وقد عمت روح الفرح جميع اقسام الدولة ، وأيد الشعب الاتحاديين وأمل على أيديهم النهوض بالدولة العثمانية من كبوتها ، خاصة ان الاتحاديين كانوا من الشباب المثقف المتحمس لقضية بلاده ، المملوء وطنية وعلماً واقداماً ، وقد أخذ الامير سعيد يكتب المقالات الطوال في جريدة « المهاجر » التي كان أحد مؤسسيها وممولها والتي كانت تصدر في دمشق ، وجريدة « الاصلاح »

التي تصدر في بيروت . يمتدح بها أعمال الاتحاد والترقي قبل ان تظهر نياتهم القومية باتباع سياسة التتريك والقضاء على القوميات في تركية كمقالته التي نشرت في جريدة الاصلاح البيروتية بتاريخ ٢٢ رمضان المبارك ١٣٣١ هـ :

سياسة الاحرار

« جاهد الاحرار جهاداً خارقاً في المدة الاخيرة في سبيل اعلاء شأن الدولة حتى احرزوا فوزاً عظيماً بالرغم من معارضة بعض دول اوربا لهم وزرعها العراقيل في الاراضي التي تطأها أقدامهم ، ولا ينكر احد ان الدولة كانت تتراجع القهقري كأن دور التدني يسلبها بلادها تباعاً وطمع فيها أعداءها وأخصامها حتى خيف على مستقبلها وكيانها ، ولما ان استفزت عوامل الوطنية مشاعر الاحرار لم يخامر احداً من الناس قلق ولا خوف بل بالعكس فان الكثيرين قد بسموا لمستقبل الدولة الآتي وخفقت قلوبهم فرحاً لوجود الاحرار على كرسي الحكم ، حتى أن عدداً غير يسير من الفرنسويين والالمانيين والنمسويين ماخلا الانكليز والروس قد أملوا الهلالانا حظ الاهلة لوثوقهم من أن شدة الاحرار واغراقهم في مؤازرة الوطنية ورفع شأنها سيهيب بالامة الى هجر طور التدني والتقمص بلباس بهج يكون خير دليل على رقي الامة ويقظتها ومبلغ شغفها باعلاء كلمة الوطنية بين ظهرانيها .

تبع الاحرار سياسة العنف والشدة مع اوربا في مسئلة تراقية ، ووقفوا في وجه الدول العظمى التي كانت تحاول ان تسلبهم ما كانوا قد استمادوه من عدو غاصب ، فخيل الى الناس بان الدولة اوشكت ان تنهار وتصبح عرضة للتقسيم لقيام الاحرار في وجه اوربا ، غير ان الفجر لم يلبث ان استدار مليا بضياء باهر اللمعان ، وظهر للملاء بان الجنون كثيراً مايكون مفيداً ووافياً الممالك من السقوط ، بل كثيراً مايكون باعثاً الى الثبات والسكينة ، وكان جوريس رأس الاشتراكية في فرنسا قد ذكر في مقال كتبه في جريدته (الانسانية) بان سياسة الجنون التي تقتفي أثرها

اوربا يجب ان تقابل باشد منها ، ثم اطرى ثبات الاحرار حيال مسألة ادرنه ونعتهم بالنعوت الجميلة ، وحرضهم على التمسك بسياسة العنف والشدة ولو أدى فعلهم هذا الى الاشتباك مع خصومهم ، وكتب المسيو ادورد برمون في جريدة الليبر بارول (الكلمة الحرة) مقالا تحت عنوان المسألة الشرقية جاء فيه ماخلاصته :

« في هذه الساعة التي ظهرت فيها تركيا بمظهر القوي الجبار بعد ان غلب على امرها وتوالت الاندحارات عليها كان الساسة الاوربيون مندهشين جد الدهشة لهذا الثبات التي تظهره من وقت الى آخر ، وكانت اوربا تظن ان خيلاء الاحرار ستموت حين اول انذار تبعث به اليهم ، غير ان هذا الظن كان خيالياً محضاً لان اولئك القوم الذين كانوا يهددونا تارة بتحفز المسلمين للقيام بثورة في افريقيا - فيما اذا اخلوا ادرنه - وطوراً باحداث شغب عام في الهند وأحياناً في الروسيا ، جعلنا نعتقد بان هؤلاء معتادون على الشر وانهم لايخافون ثمة شيئاً ، بل هم يهددون بالحرب المقدسة ، وقد ترتكب ايديهم هذا الجرم الفظيع الذي يجر الخسار والويل على العناصر الاوربية التي تسكن الاصقاع المسلمة ، ولا ريب في ان الذي يحرضهم على التظاهر بهذا الامر هو امبراطور المانيا الذي لايحب غيرهم ويعتقد هؤلاء الاتحاديون بان فرنسا وانكلترة وروسيا لاتجسر على الوقوف موقف الخصم حيال مسألة ادرنه للاسباب التي بيناها .

لعمري ان المسئلة الشرقية لاتنتهي مادام هؤلاء يعاكسون أميال اوربا وينهجون منهاج الخشونة والشدة . »

وذكر المسيو فيكتور بلانشه في مقال نشرته جريدة (جيل بلاس) مايأتي :

« نريد وقاية المسلمين »

من هم الذين يقولون ذلك ؟

هؤلاء هم أحرار الترك يقومون في هذا العهد الاخير وفي قلوبهم بغضاء شديدة وعدوان هائل . ماذا يريدون بذلك ؟

لاجرم في انهم يرغبون في تحريك شعور المسلمين وارغامهم على الانصراف بارواحهم الى القسطنطينية ، وافهامهم ان هنالك قوة خفية لم تمت بعد بل هي تهتم بايجاد الراحة والسكينة لهم . ان المملكة التي يوجد فيها وطنيون كالاحرار لاتموت بل هي تتغلب على المؤثرات التي تكتنفها وتسير سيراً حسناً في معترك هذه الحياة . والحقيقة اننا لم نكن نألف مثل هذا النداء قبل هذا اليوم ولكن الاحرار اسمعونا اصداءه المرة الاولى ، ومن يدري ان نداء ثانياً يعقب النداء الاول تكون نتيجته خطرة على العالم الانساني . »

اذ وضعنا كل هذه الامور أمام اعيننا تبين لنا ان الخوف من احداث ثورة عامة يقوم بها العالم الاسلامي كان سبباً في فوز السياسة العثمانية ، يدلك على ذلك اضطرار اوربا كما جاءت به برقيات امس الى الاعتراف بحقوق الدولة في ادرنه وتراقية وفي مقدمتهن دولة الروسيا العدوة الطبيعية للعثمانيين .

كانت الروسيا قد تحرشت بنا كثيراً في المدة الاخيرة وحركت اسطولها في البحر الاسود وحشدت جنودها على الحدود للاستيلاء على الاناضول، وكانت انكلترا ايضا تحاربنا بتصريحات ناظر خارجيتها ، فلم يبق شك حينئذ في ان الدولة سترضخ للقوة وتذعن لمشيئة الدول القائلة بالجلاء عن ادرنه. غير ان كل هذا التهديد وتلك الانذارات لم تكن لتؤثر على سير الدولة فصرحت بما اختطته لنفسها وهو « القبر او الحياة بشرف » .

نالت الدولة مارمي اليه بفضل سياسة الاحرار واصبح العالم الاسلامي ينظر بحنو وعطف الى خلافته الشابة التي ستعمل على درك الثأر في كل آن .

سكتت تلك الالسنة التي كانت تتخرص بالبطل والبهتان وتختلس الفرص للحط من كرامة الدولة في أعين رعاياها وجعلها في مقام حقير، فنحن كما نمتدح من العمل الخطر الذي اقدم عليه الاحرار بالرغم من تعصب اوربا الجائر ونطلب الى الله ان يجعل العرش مصوناً من كل طارىء بفضل تضامن القلوب وتضافر الارواح على الذود عن شرف المملكة .

كما اننا نبسم للآمال الآتية المحمولة على أكف الاحرار والتي من شأنها ان تجعل الدولة مرهوبة الجانب في أعين أعدائها ومبغضيها ١٢٢ ـ هـ

وشعر الامير سعيد ؛ كما شعر اكثر رجال البلاد ، ان الاتحاديين ما كادوا يسيرون الى العاصمة العثمانية ويقصون السلطان عبد الحميد عن العرش بعدما حاول اللعب عليهم والقضاء على حركتهم وتنصيب محمد رشاد مكانه ، حتى اغتنمت دول اوربا الفرصة واسرعت لاقتطاع اجزاء من أملاك العثمانيين ، وأخذت تثير القلاقل في انحاء البلاد حتى لاتسمح لهؤلاء الشباب ان يعملوا على اصلاح بلادهم ومداواة أمراضهم الداخلية المزمنة ، وكان ان اعلنت النمسا ضم البوسنة والهرسك الى أراضيها في تشرين الاول ١٩٠٨ مخالفة بذلك نصوص مؤتمر برلين ، واتفقت ايطاليا مع فرنسا وبريطانيا على احتلال طرابلس الغرب ، واعلنت الحرب رسمياً على الدولة العثمانية في ٢٩ ايلول سنة ١٩١١ ، وضرب اسطولها ميناء طرابلس الغرب ونزلت جيوشها في المدينة ، فقاومها الاتحاديون وسار انور باشا بنفسه للدفاع عنها ، ولكنه اضطر لترك البلاد الى اهلها يدافعون عنها بعد ان ضربت سفينة ايطالية مرفأ بيروت بقنبلتين كبيرتين ، وقاوم الاهالي بزعامة السيد احمد الشريف السنوسي ، واخذ المسلمون في جميع انحاء الدولة يعتبرون نصرة الطرابلسيين واجباً دينياً وقومياً ، فأسسوا الجمعيات لجمع الاموال وشراء الاسلحة وتجنيد الشبان وتأمين جماعات الهلال الاحمر ، وكان واجب الاسرة القادرية ان تساهم في هذا الجهاد بنصيبها وهي التي اوقفت حياتها واموالها على خدمة قضايا المسلمين العامة . فجهز الامير علي باشا والد الامير سعيد حملة من الجزائريين سار على رأسها الى طرابلس ولحق به ابنه الثاني الامير عبد القادر أخ الامير سعيد الاصغر ، وطلب الى ابنه الامير سعيد البقاء في دمشق الشام ، لاليمنع عنه شرف الجهاد ، وانما لان مساعدة المحاربين وامدادهم بحاجاتهم من ذخيرة ومال لايقل عن عمل المجاهدين في ساحة القتال ، وكان الامير علي باشا يعتمد على ابنه الامير سعيد اعتماداً كلياً ويأمل له ان يكون زعيم الاسرة القادرية ، فكلفه بالبقاء للاشراف على شؤون الاسرة والاتصال بجميع

الجالية الجزائرية ، وامدادهم بآرائه الصائبة وتنظيم قواتهم وارسالهم للعمل في ساحة القتال بطرابلس ، فكان الامير سعيد دائم الاتصال بوالده وبأخيه وبأخبار المجاهدين ،وكان ينتقل بين دمشق وبيروت لنشر الدعاية والاخبار وتهيىء وسائل المعونة للطرابلسيين . وكان الامير سعيد ينوي ان يسير ايضاً الى طرابلس لينضم الى والده بعد ان ينهي الاستعدادات اللازمة ، ولكن نهاية الحرب بسرعة وتخاذل الدولة اخيراً عن مساعدة الطرابلسيين بعد ان لاح بافق البلقان حرب جديدة ضد العثمانيين ، ورجوع اخيه ثم والده من القتال بعد ان انتهى امر طرابلس وبرقة ، منعه عن ذلك ، وقد اتخذ الامير من خذلان الاتراك في طرابلس الغرب درساً وعبرة ، فاخذ في كل يوم يكتب مقالا عن اسباب الانحدار وكيف يجب ان يستعد المسلمون لرد غزوات الاوربيين ، ومنعهم من وضع يدهم على املاكهم . وكان من أشهر مقالاته في ذلك :

كشف الستار عن دسائس الاغيار

داغضبت كتابتنا بشأن سياسة فرنسا في الجزائر البعض وعدّوا ذلك حجر عثرة في سبيل سياستهم في الشرق، بينما نرى أعاظم رجال الامة الفرنساوية تقدس هذا الدفاع لان مصدره الاخلاص وهم يعتقدون ان تلك السياسة ضرب من ضروب الاستبداد، وخرق لقانونها القائم على دعائم الاخاء والحرية والمساواة ،فاخذ هذا الشعور ينمو وحملة الاقلام يفتحون المقالات المستوفية ، حتى ان وزارة الخارجية ابدت في المدة الاخيرة من ضروب الحكمة وانواع العدالة ما أثلج قلوب المسلمين في أقصى المعمور ، وذلك لكونها منحت اخواننا ابناء الجزائر بعض الحقوق نقول هذا اعتمادا على ما وردنا من الكتب الحاملة هذه البشائر من قبل احد اصدقائنا بعاصمة الدولة الفرنساوية ولكن ذلك المستخدم بالقنصلية اخذ يسعى بتفريق الجامعة الجزائرية وبدأ ينخرط فيما بين بعض البسطاء منهم وساعده على ذلك عدوين لدودين عاشا

بنعم الدولة ووظفتهم بوظائف لم يحسنوها ، بل اظهروا الخيانة، فكان جزاؤهم الطرد وامرهم اشهر من نار على علم ، ولكن سعيهم هذا ذهب أدراج الرياح حيث اتضح امرهم عند من ارادوا اغراءهم فكان السخط عاما والاحتجاج كبيراً . هذا وانا لانريد ان نلقي الكلام على علاته فلدينا الف شاهد ودليل على ذلك من الذين كادوا ان يقعوا بحبائل دسائسهم ، وقد بلغنا وجود مثل هذه الدسائس من امد غير بعيد بيد انا جاهدنا النفس كثيرا لابعاد هذه الشبهات واستبعدنا وقوع مثل هذا الامر من مسلم طالما اراد اقناعنا بحضور شهود عدول بكونه لم يرض بهذه الوظيفة الا من ضيق امر المعيشة ولو انه حصل له نصف الراتب الذي يتقاضاه لترك تلك الوظيفة ، ولم يلبث على هذا قليلا حتى ظهرت حركاته الاخيرة ولولا مداخلة العقلاء في الامر عند انكشاف حجب الاوهام ، لوقع مالا يحمد عقباه . وبما ان مثل هذه الدسائس لايجوز وقوعها في قانون من قوانين الدول فانا نلفت انظار ماجأولاية سورية الجليلة ليكون على انتباه من هذا الامر حباً بالمصلحة العامة والسكينة العمومية ولا يسعنا الا شكر ذوي الاخلاص الذين حالوا دون هــذه الدسائس وما الله بغافل عما يعملون . » (عن الرأي العام ٢٥ ذي القعدة ١٣٣١)

الحقائق والخيالات

« بالرغم عن الحجج القاطعة والبراهين الساطعة التي اوردناها في سبيل ما دعونا اليه من ضرورة جمع أشتات الوحدة وتقوية الرابطة الملية حسب ما جاءت به الاوامر الالهية ناهية عن تفريق الكلمة آمرة بالاعتصام بحبل الله المتين، لم يزل بعضهم يتأفف ويعد ذلك حجر عثرة في طريق التمدن وقد احملتهم الجرأة على ان تجاهروا امراراً بان التعصب في الدين يمنع الاسلام من التقدم ويحول دون الحضارة ، ولو سألت أحدهم ما المقصود من المدنية لاجابك على الفور بان المدنية هي عبارة عن توسيع

الطرق والاكثار من الملاهي والمنتديات ومحال المقامرة ومسارح التمثيل . الامر الذي كان السبب في هدم الامبراطورية العربية العظيمة في الاندلس .

ولو علم هؤلاء بان ممالكنا لاينقصها الا العدل وتحسين الاخلاق على قواعد التربية الاسلامية لرجعوا عن فكرهم وعلموا ان الاخلاق اذا كملت وجدت الوطنية وعرف كل شخص ماله وما عليه من الواجبات نحو دينه ودولته ، ومتى احسن كل شخص القيام بالوظيفة المنوطة به حينئذ يدور دولاب العمل وينشأ عن ذلك ايجاد اندية للعلم ، وتنمو الزراعة والتجاره وتزداد طرق المواصلة وتأمن السابلة ، وهكذا تتقدم الامة وتأخذ بالاستعداد فيما يضمن بقائها ويحفظ كيانها من طوارق الزمان وغارة بني الانسان ، وأما المدنية التي يعرفها ضعاف الاحلام وصغار العقول فهي تلك التي وضعت اوربا سيما فرنسا في ذلك المركز الحرج الذي نشأ عنه نقص كبير في النفوس حتى جعل كيانها مهدداً بالخطر لولا وجود ذلك الجيش المستأجر وهكذا قل عن بقية الدول العريقة في الحضارة ، فان عسكرها اصبح غير قادر على ان يخوض المعارك من غير وجود معدات الشرب وآلات الطرب ، وإذا طال عليه أمد الحرب وتعسر الفتح جاهر بالعصيان وأتى بما لم يكن بالحسبان . وكم من مرة انقسم الجيش الايطالي على نفسه؟ وكم من فرقة نفيت واعدمت؟ وهل تلك الحملة المنظمة الكاملة العدد والعدد كانت تظفر بينما كانت تحارب اولئك العرب الذين كان ينقصهم كل شيء من وسائط الدفاع لو لم يكن في مقدمتهم بعض المسلمين من اهالي طرابلس وارتيرا؟ أم هل كان ذلك العسكر الذي كان وهو بحالة الحرب منهمكاً بمغازلة النساء وغارقا بصرف أوقاته بالملذات يستطيع صبراً على مناضلة العرب في الحرب وأحدهم لايقدر أن ينقص شيئاً من عاداته التي اعتاد عليها في حالة السلم في بلاده ؟

هل كان بامكان الدولة الايطالية فتح بقية البلاد والامصار لو لم تستعر نار تلك الحرب في البلقان وما دامت كلمة المسلمين متحدة وقلوبهم مرتبطة بعرى الاتفاق ؟ مع اننا لو رجعنا الى التاريخ لعلمنا ان مصدر المدنية وشمس الحضارة كانتا من عندنا ولكن شتان بين مدنية الامس واليوم !

دع التاريخ القديم وتتبع حالتنا الحاضرة يتضح لك جلياً بانه لم يفتح الاغيار بلادنا الاسلامية بقوة السنان ولا بنتيجة الحرب والطعان بل بقوة الحيل والدسائس التي وقعت على الامة الاسلامية حتى اذا اوقع الخلف بينهم وخذل بعضهم بعضاً حكم عليهم بالشتات وضاعت منهم البلاد ، وهل كانت الدولة الايطالية تطوح بنفسها بتلك الصحراء القاحلة لو لم يكن هنالك دسائس ممن باعوا الضمير واماتت المطامع احساساتهم من اهل البلاد الذين سهلوا لها الطرق وفتحوا امامها الابواب؟ ومع ذلك كله فانها صادفت فشلا قطع منهـــا الآمال ولو رأت مخرجاً من تلك الورطة لما تأخرت لحظة واحدة .

وكلنا يعلم بان هذه الدولة كانت تتحفز لهذه الوثبة منذ نيف وثلاثين سنة، غير ان خوف الفشل كان يحول دون امانيها ، وما عهد تقهقر الجيش الفرنساوي نحو العشرين سنة في الجزائر عنها ببعيد .

ومن كان يتصور بان دويلات البلقان تحدثها نفسها بمثل ذلك الظفر لولا انسلاخ الالبانيين عن جسم الدولة وتخاذلهم ووقوع الخلف في الجيش العثماني الذي لم يسبق له نظير ذلك التقهقر امام التاريخ حتى اصبحت حالتنا موضع الهزء والسخرية، وكانت تتوقع امم اوربا دخول جيش البلغار فاتحاً للعاصمة حتى ان مجلة (الايللوستراسيون) الافرنسية بشرت الامة البلغارية في بعض ايام ومن جملة ماقالته بان السلطان الفاتح دخل الى (سنت صوفي) ايا صوفية وهو على ظهر حصانه ولكن هذه الامة ستدخله وهي عارية الرأس والقدم ، وهكذا قل عن فارس ومراكش ، وضمت كل هذه الحوادث ومثلت تلك الروايات المؤلمة أمام أعيننا .

ونحن لم نزل لاهين باستحكام الخلف بين تركي وعربي و كردي وتتري وارمني ورومي ولم يخطر لنا على بال ان نأخذ عبرة من التاريخ اوان نرجع الى حكمة الخالق من تعدد العناصر حيث قال : (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ولو قدر الجاهل هذه الحكمة وعرف انه ليس بالامكان ان تتعارف الامم بالنظر لكثرتها الا بهذا التقسيم لرجع عن غيه وآخى آخاه المسلم ومتى وجد

التآخي وتصافت القلوب وارتبطت بعضها ببعض ، كان الخطر عنا بعيداً ؛ هذا بينما كنا ننتظر من القوم تشجيعاً على هذه الاماني التي يجب ان تكون ضالة كل مسلم ووجهة كل مؤمن ، نرى بعض ممن لا خلاق لهم يضعون العقبات الكؤود في سبيلنا حتى عدوا هذه التصريحات من المعائب ، وحملهم الحقد على بث الفساد في العشيرة والقبيلة بل في الاهل والاسرة وبين المرء وزوجه والولد ووالده ، وحتى انهم تجرأوا على تلفيق الرسائل واستعمال احط الوسائل ليقفوا في طريقنا ، ولكن ابت الحقيقة الا ان تتجلى والاوهام ان لا تنطلي وابى الله الا ان يتم نوره . ولو ان هؤلاء حكموا العقل قليلا لعلموا انهم لا يدركون من امرهم شيئاً ولا يليق بمثلهم ان يكون آلة بيد الاجانب سيما اذا لفق الرسائل على رجل من رجال المملكة واترابه يتبرأ مما عزي اليه ، مع انه كان الاجدر ان لا يعملوا بهم بعكس أوامره تعالى . سيما وأن المرتدين برداء العلم وظيفتهم الارشاد لا الافساد ولو ان احدهم وجد منا خطاء ونبهنا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة لاقنعناه بالبرهان او رضخنا لحكمه مع الشكر ونحن لسنا ممن يدعي العصمة او يقول بالتنزه عن الخطأ ، ولكن شروط المرشد الناصح ان يكون محافظاً على آدابه وشرفه بعيداً عما يحط من قدره ومنزلته نقيا طاهراً عفيفا حتى اذا جمع هذه الاوصاف الحسية كان مسموع الكلمة يعمل بنصحه وارشاده ، واما الذين يأكلون لحوم الناس وكل أحوالهم محفوفة بالمعايب لا يعمل برأيهم ولا يعول على قولهم .

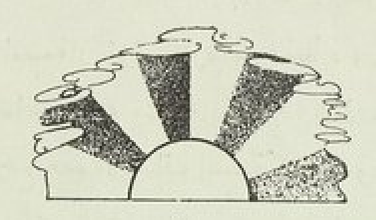
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنـــه فانت حكيم

جعلنا الله ممن يرى العيب بنفسه فيكف عنه .

المهاجر — هذه آية من آيات البيان ودرة من قلائد العقيان قد اودعها حضرة السمو النبيل قرة عين المجد والفخـار الامير محمد سعيد من الحقـائق النـاصعة والبراهين الساطعة مايدع الباطل هباء منثوراً ويقضي على خيالات الكاشحين قضاء باتاً ، وناهيك بما ألمع اليه من لطف الاشارة وحسن العبارة عن واجبات من يتصدى

الارشاد وما يشترط عليه ، وكأني بأحد الاشياخ من اولئك الامخاخ قد اخذ المغنى على نفسه فتكهرب واصبح يسب الاخضرين ويقول مالا يعي ليرضي سماسرة الاستعمار كما أرضاهم ، ولو تنبه هذا الفظ لادرك ان الكلام موجه لغيره وان وجهة سعادة الامير محمد سعيد هي ارضاء الله لاالناس ؛ ومن كانت هذه جل أمانيه فكلامه على العين والراس . »

« عن جريدة المهاجر »



أدرنة

اضطرت حكومة الاتحاد والترقي الى توقيع الصلح مع الطليان ، والاعتراف بانفصال طرابلس ـ ليبيا عن جسم الدولة ، كما اعترفت من قبل بانفصال البوسنة والهرسك نهائياً ، لأن شراً مستطيراً كان يهددها في البلقان ، فلقد بلغتها انباء عقد معاهدة دفاعية في اوائل عام ١٩١٢ بين الدول البلقانية التي كانت الى الامس القريب خاضعة للنير العثماني واستقلت بفضل التداخل والمساعدة الاوربية ، وكان هدف هذه المعاهدة شن الحرب على تركيا الحديثة واقتسام مكدونيا وهي البقية الباقية من الاملاك الأوربية تحت النفوذ العثماني... وما لبث المتحالفون من صرب وبلغار ويونان وجبل اسود ان وجهوا مذكرة الى الاتحاديين اضطرتهم الى اعلان الحرب ولما تكتمل بعد تنظيماتهم الجديدة ، واستعداداتهم الداخلية التقدمية ، وحاولت الجيوش التركية المتحمسة ان تصد عنها هجمات الحلفاء البلقانيين فلم تستطع ، وتراجعت تركيا في البانيا ومكدونيا ، فتقدم اليونان الى سالونيك وحاصروا يانينا ، واستولى الصرب على موناستر ، ولكن الخطر جاء من البلغار الذين استهدفوا القسطنطينية نفسها ، وأخذ ملكهم فرديناند يستعد للدخول اليها دخول الفاتحين ، وتوقفت الجيوش البلغارية أمام أمنع حصون تراقيا الشرقية وهي مدينة ادرنة ، وكان سقوط هذه المدينة المحصنة معناه فتح الطريق أمام البلغار للوصول الى القسطنطينية ... وشعر الاتحاديون بالخطر جاثماً أمام سمعهم وبصرهم وهم لا يستطيعون

شيئاً ، والجيوش البلغارية وصلت خط « شطالجه » واصبحوا على بعد ٤٠ كيلو متراً فقط من عاصمة آل عثمان ، وصار السكان فيها يسمعون قصف المدافع وهي تدوي في الفضاء ، وتتساقط على معسكرات الطرفين المتخاصمين ... وكانت حال سكان الاستانة او مدينة السلام في يأس شديد . وكانت أبواق الدعاية المغرضة التي يغذيها الاجنبي بماله وأفكاره تهدد الاهالي وتحطم أعصابهم ، وتقودهم الى اليأس ، بينما بقي اولئك الذين في قلوبهم بقية من ايمان ، وبقية من نور ، لم يهنوا ولم تنثني عزائمهم وكان « امير زادة محمد سعيد » وهو التوقيع الرسمي للامير سعيد في ذلك الوقت ، احد اولئك المؤمنين المتبصرين ، ذوي الاعصاب المتينة ، والنظر البعيد ، الذين يعرفون ان الايام دول ، يوم لك ويوم عليك ، وان انكسار اليوم سيعقبه انتصار الغد ، وبالعكس ، والذين يعلمون دخائل السياسة ، ومراميها البعيدة ، وعواملها المختلفة ، فقد كان على يقين ان هذه الدول البلقانية التي دخلت الحرب مشتركة ضد سيدة الامس تركيا ، لم يتفقوا على اقتسام الغنيمة ، وسوف يختلفون عليها ، وسوف تسمح الظروف القريبة القادمة الى جولة اخرى بين الاتراك والبلقانيين ، يستعيد فيه الاتراك ماخسروه ، ويبرهنون للعالم من جديد ان التركي جندي ماهر ، وان الشجاعة التي عرف بها آل عثمان في عهد قوتهم والتي أرهبوا بها اوربا وآسيا ، لاتزال تجري في عروق أحفادهم . لذلك رأى الامير سعيد ، ان يطمئن الخواطر ، وان يقوي العزائم ، ويوضح الاعيب السياسة ، وينذر قومه بالاغضاء عن الدعايات الاجنبية ، فينفخ روح الحماس في المقاومة ، ويبين ان خسارة ادرنة ليس معناه ضياع الدول العثمانية ، فاذا فقدت شقة من ارض اوربا ، فلدى الدولة امبراطورية واسعة مترامية الاطراف ، متنوعة الموارد ، تستطيع ان تجعل منها دولة قوية ، ولو قرأنا مقالات الامير التي نشرها بمختلف الصحف العربية في دمشق وبيروت ، لعلمنا كم كان يتبصر الامور ، ويدرك المستقبل ، بدعوته الى ماذكرنا ، وكأني به اليوم أشبه بتشرشل عندما كان يقوي عزائم الانكليز عندما كان هتلر يتهدد الجزر البريطانية بالغزو ، ويقول لهم : « إذا فقدنا الجزر

البريطانية فسترحل الى كندا وسنقاوم فيها ، وان لدينا امبراطورية واسعة ، سنناضل في أي بقعة منها ، وكأني به اليوم ايضاً أشبه برادتسكي القائد النمساوي الشهير الذي تراجع الى شمال ايطاليا عقب ثورات ١٨٤٨ فيها وتحصن في احدى المناطق الجبلية ولم ييأس عندما رأى الدويلات الايطالية مشتركة ترسل جيوشها لقتاله ، فلقد قال : « ان هذه الجيوش مختلفة المشارب ، متوزعة الاهواء ولا بد انها ستختلف عن قريب » وكان ماتنبأ رادتسكي وعاد وانتصر . وكان الامير وهو ضليع بالتاريخ وعليم بحالات الامم ، ومتخذاً من أعمال جده المظيم نبراساً ، كان الامير يرى انه لاسبيل الى اليأس ولا مانع من تسليم ادرنة الى البلقانيين ، وتنظيم الدفاع في ماوراء ادرنة ، وكأنه تنبأ ماتؤول اليه الحوادث ، فلقد اضطر الاتحاديون لتوقيع معاهدة الهدنة في مايس ١٩١٣ ، وفيها خسروا ادرنة ومكدونيا ، لكن الحلفاء البلقانيين عادوا للاختلاف ، وتجددت الحرب بعد شهر من المعاهدة ، ودخلت تركيا الحرب وبجانبها عدد من الدول البلقانية واسترجعت ادرنة واسترجعت هيبتها ونفوذها ، في تراقيا الشرقية . ومن أشهر مقالاته في هذا الصدد مقاله الذي نشر في جريدة الاصلاح ـ بيروت في ٤ رمضان ١٣٣١ وهو :

سياسة التغرير

أهم أسباب الخراب

« نقلت الينا البرقيات أن نشرة طيرت في الاستانة دعي الناس فيها الى مقاومة مشيئة اوربا المطالبة بجلاء العثمانيين عن ادرنة . وقرأنا في احدى الصحف المحلية كلاماً تقول فيه بوجوب الموت او الحياة السعيدة وتهدد اوروبا اذا اصرت على عنادها في اخراجنا من ادرنة بصرختين : احداهما في الهند والثانية في افريقيا لتزلزل الارض زلزالها وتخرج اثقالها .

فهل سمعتم بمثل هذا التغرير ؟؟

أتهدد اوربا برعاياها في الهند وفي افريقيا وهي مطوقة بالحديد والفولاذ لاتجد الى الحركة سبيلا ؟؟ ولو انها استطاعت العمل لحررت نفسها من عبوديتها ، اذن فكل حركة من تلك الملايين تكون انتحاراً ـ والانتحار جناية .

أما نحن العثمانيين فلسنا نريد الموت ، ولا نريد ذكره ، لان في موتنا موتاً لحاة العرش الذي نفديه بالارواح والمهج ، وانقراضاً لحماة الدين الذي يأمرنا بتأييدنا حتى الرمق الاخير .

فمصلحة دولتنا ومصلحة ديننا ومصلحة جنسنا وعنصرنا توجب علينا ألا نغرر بحياتنا . خصوصاً اذا كان التغرير مالايثمر غير انتحارنا ، لان عملنا هذا على مافيه من الجبانة يكون خدمة نقوم بها لاعدائنا الطامعين في بلادنا وخيراتها .

فما هي ادرنة ؟؟

أجل ، انها العاصمة الثانية للمملكة ، ومظهر مجدها العسكري ، ومعرض عزها التاريخي . ونحن نتمنى لو ان اوربا كلها لنا ، ونتمنى لو ان الحرب البلقانية لم تقع ، ونتمنى ان تبقى لنا ادرنة . ولما سنحت الفرصة للحكومة استولت على ذلك المعقل المنيع بدون ان تريق نقطة دم واحدة . اذن فرغبة الحكومة ليست اقل من رغبتنا في استرداد ادرنة واستبقائها ، فهي لن تخرج منها والحالة هذه الا اذا اضطرتها اوربا الى ذلك .

فماذا يريد المتهوسون ان تفعل الحكومة اذا عمدت اوربا الى العمل ؟ ايريدون ان نحارب اوربا ولا قبل لنا بمقاومة واحدة من دولها بعد حربنا الاخيرة سواء في البر ام في البحر ؟؟ أم يريدون ان نوغر صدرها علينا ومستقبلنا موقوف على ماتقرره مؤتمراتها ؟؟ أم يريدون ان نصادرها وهي لو حبست عنا مالها لقعد بنا الفقر في مقاعد الشقاء . أو حبست عنا الابر والدبابيس لما وجدنا سبيلا الى خياطة ثياب نستر بها عرينا . او حبست عنا عقاقيرها لفتكت بنا الامراض وذهبنا ضحية جهلنا ؟؟

ان اوربا ظلمتنا . ولكننا لم نكن اعدل منها في معاملة انفسنا . فلقد اضعنا الوقت باللهو بينما كانت اوربا تقتله وتحييه بالنشاط والعمل ، فهبطنا من الذروة وارتقوا من الحضيض .

فالآن وقد أصبحوا اقوى وأعرف وأغنى منا فعلينا ان نحترم مشيئتهم ولو كانوا اعداءنا لئلا نعطيهم سبيلا او حجة يتذرعون بها الى الاعتداء علينا . فحكمهم بمسألة ادرنه ليس اول حكم جائر تضطرنا السياسة الى التقيد به . ولكن مجال الامل مازال متسعاً امامنا . وهب انقطع الامل واضطرت الحكومة الى اخلاء تراقية فهي تقدر ان تستعيض من ولاياتها الباقية . فلا حاجة الى اليأس والموت .

ان الموت الشريف لايكون بالانتحار . فالجندي الشجاع هو الذي ينتظر وصول اعدائه اليه . فيبقى محافظاً على النقطة الموكول دفاعها اليه حتى يعاجله الموت بدون ان يقتل نفسه تخلصاً من اعدائه .

والبلاد العثمانية الباقية تكفي لاحياء عشرات الملايين من السكان . ولتأليف دولة من اكبر الدول . اذا عرفت الحكومة كيف تستثمرها وكيف تحفظ الاهلين فيها . وكيف تعزز معالم العدل بين اهليها . فاذا سلمت ادرنه فلتكن لنا عزاء عن نكباتنا . واذا ذهبت فللعرش من ابنائه المخلصين مايعوضه منها .

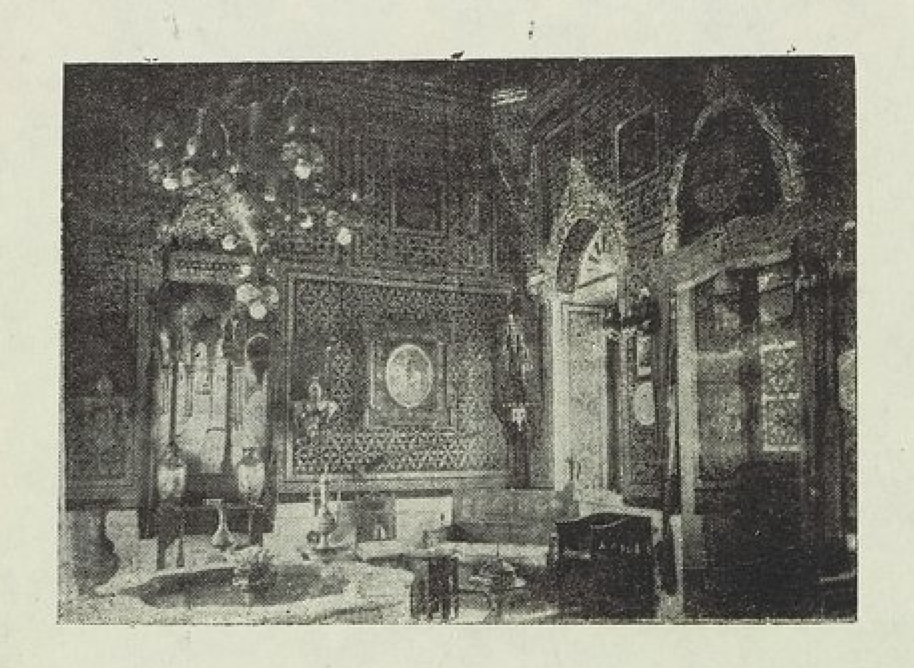
فلندع الحكومة ، فان مقاطعتها بمعالجة الاقوال الطنانة الفارغة يزيدها ارتباكاً اما نحن فلنا ثقة بانها لن تسلم ادرنه الا حين لاتجد من تسليمها مناصا . فاما الذي يشترط عليها ابقاء ادرنه ولو بالانتحار فيبرهن اما على ضعف بالحكومة واما على سوء قصد .

ان شفاءنا من الداء الذي منينا به مستحيل الوقوع الا اذا عرفنا داءنا ، واهم اسباب ذلك الداء اعتزازنا بقوتنا وجهلنا اقدار انفسنا . فالخطر الذي لايقدر العثمانيون ان يدفعوه عنهم بسلاحهم لايقدر على درئه عن بلادهم سكان الهند وسكان افريقيا

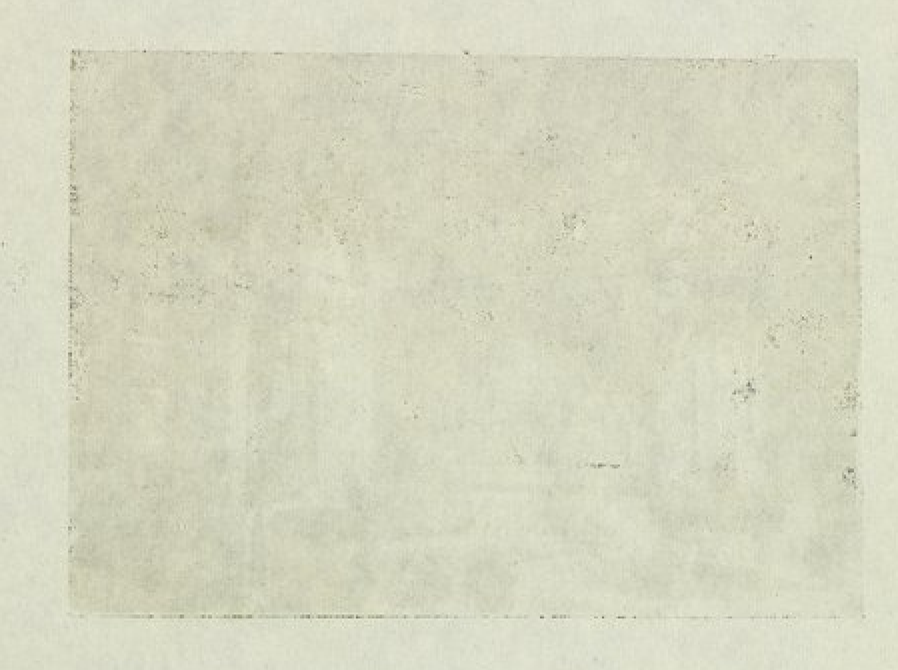
فنحن ضعفاء ، وفقراء ، وجهلاء ، فلنعتمد على تعليم افراد الامة وعلى استثمار اراضيها واحياء كنوزها ـ فبهذه الواسطة تجدد قوتها ، ومتى قويت الامة عز جانب الدولة .

ذلك هو دواءنا وذاك هو الداء ـ والله يعطي من يشاء ، والعاقل من عرف حده فوقف عنده . »





القاعة التاريخية التي تحوي آثار الامير عبد القادر في دار سمو الامير سعيد



الحرب

اكفهر الجو ، وتلبدت سماء اوربا بغيوم كثيفة ، تنذر بهبوب عاصفة هوجاء من الحروب لاتبقي ولا تذر ، فقد انهت المانيا استعدادها ورغبت خوض المعركة المحتومة قبل ان تنهي روسيا تسلحها ، وكان الساسة والعسكريون ينتظرون الشرارة التي سيندلع منها لهيب القتال ، فكان مقتل ولي عهد النمسا فرنسوا فرديناندو زوجته في مدينة سيراجيفو عاصمة البوسنة على يد الطالب الصربي بورنتزيب في ٢٨ حزيران ١٩١٤ هو الشرارة ، اذ اعلنت النمسا الحرب على الصرب في ٢٨ تموز واعلنت المانيا الحرب على روسيا وفرنسا في ١ و ٣ آب وتبعتها بريطانيا ثم انساقت الدول الاوربية وغيرها الى الانخراط في اتون الحرب راضية اومكرهة ، وكان الاتحاديون قد رغبوا في اول الامر تجنيب بلادهم ويلات القتال ، لكنهم اكرهوا على المغامرة وأملوا بانتصار المانيا ، واعادة مركز الدولة قبل اعلان ثورتهم في عام ١٩٠٨ واسترجاع نفوذهم ، فانضموا الى المانيا ، واخذت الدولة العثمانية تهيء وسائل القتال وتعد الجيوش لخوض المعركة .

وكانت سوريا احدى جبهات الحرب ، وكانت خطة القيادة العليا ان يسير جيش من سوريا الى مصر لاحتلالها ووضع اليد على ترعة السويس وقطع مواصلات بريطانيا بين اجزاء امبراطوريتها . وكان العرب سكان البلاد العربية عاملا هاما سيلعب اكبر دور في جبهة البلاد العربية ، فكان كل من الحلفاء والاتراك يرى ضرورة مد يدهم الى العرب ليعاونوهم في كفاحهم المرير ، وكان العرب قد وقفوا

اول الامر حياري ، ايؤيدون الدولة العثمانية ويتحكم بها اليوم الاتحـاديون وقد غمطوا العرب حقهم ، ومنعوا تأسيس لامركزية طالب بها العرب كثيراً ؟ أم ينضمون لجانب الحلفاء الذين كانوا يؤيدون الحركات الانفصالية والذين اعلنوا انه ليس لهم اي مطمع في البلاد العربية سوى تحريرها من ربقـة الاتراك ؟ أيتخلى المسلمون العرب عن تركيا وهي الدولة الاسلامية وقاعدة الخلافة الاسلامية لان الاتحاديين اخطأوا السياسة ؟ وهل يصدق الحلفاء بمواعيدهم ؟ فقد كان الموقف يدعو حقاً الى الحيرة . وكان البادئ الى اقناع العرب ومد يد الصداقة اليهم هو الذي سيكسب صداقتهم .

وجاءت الاوامر الى دمشق ،وكان واليها خلوصي بك ، ان يجند الاهالي ، ويمد المتطوعة للعمل تحت العلم العثماني ؛ وكان اول من اعتمد عليه الوالي خلوصي بك في دمشق هو الأمير سعيد حفيد عبد القادر ، لعلمه ان الأمير من المسلمين الغيورين على مصلحتهم ومن المؤيدين للخليفة ؛ فبعث اليه في ذات يوم وقال له :

« ايها الأمير ! انت تعلم ان الدولة العثمانية في حرب مع الانكليز ، وان الجنرال ماكسويل البريطاني قد اعلن الغاء سيادة تركيا على مصر وخلع الخديوي عباس الثاني وولى الامير حسين مكانه العرش ولقبه بسلطان مصر ، ولذلك فان انور باشا أمرني ان أعتمد على فرق من اهل البلاد لتسير في حملة قادمة الى مصر وتنقذها من الاستعمار البريطاني . فما هو مبلغ استعدادك للعمل والمساهمة فيه وانت لك مكانتك ومركزك بين السكان ؟ » واتفق الامير سعيد والوالي خلوصي بك على ان يتصل الامير بالمغاربة في سوريا وفلسطين والشراكسة والقبائل العربية في بادية الشام وان يدعوهم لنصرة الخلافة الاسلامية ، واخذ الامير سعيد يتردد على زعماء هؤلاء وكانوا جميعهم يثقون بشخصه ويحبونه ، فوافقوه على رأيه ، وعزموا على العمل معه ، وكانت مساعي بريطانيا لم تثمر بعد في جمل العرب من صفهم ،وكان الامير سعيد يأمل ان تسير الجيوش العثمانية يساعدها السوريون على اختلاف

قوميانهم الى مصر ، فيحتلونها ، ومنها ينفتح الطريق امامهم الى طرابلس فيستخلصونها من الطليان ثم يسيرون الى تونس والجزائر ويعيدون اليها استقلالها ، ويعود الامير الى موطنه الاول الذي دافع عنه جدوده دفاع الابطال . وبينما كان الامير يواصل مساعيه ، تداخلت بعض الايدي واقنعت الوالي خلوصي بك بان الامير سعيد حفيد الامير عبد القادر خطر جداً في المستقبل اذا نجح بالتفاف القبائل حوله ، لانه يطمع ان يكون ملكاً أو سلطاناً أو داياً على الجزائر فسوف لاتفيد الدولة شيئاً من تأييده اذا استقل في المستقبل القريب عنها ، وكان صاحب هذه الافكار التي زرعت في دماغ خلوصي بك هو عبد الرحمن باشا اليوسف .



جمال باشا

وبالرغم من تحذير عبد الرحمن باشا اليوسف للوالي خلوصي بك من الامير سعيد ؛ فان الوالي بقي يرسل الأمير في مهمات الاتصال بالزعماء يدعوهم لتأييد الدولة العثمانية ، وكان آخر مهمة قام بها الأمير في عهد الوالي أنه اتصل بالأميرين نسيب وسليم من عائلة الطرشان الشهيرة في الجبل ، واتفق معهما على القدوم الى دمشق مع ٥٠٠ فارس درزي . وفي اليوم الذي كان فيه الأمير والوالي يهيئان مهرجان استقبال الكتيبة الدرزية المتطوعة للعمل في صف الاتراك ، وكان ذلك في اوائل ايلول ١٩١٥ وصل دمشق احمد جمال باشا ناظر الحربية في الوزارة العثمانية الذي عين قائداً للجيش الرابع العثماني ورئيساً للحكومة في الشام ، فاوقف خلوصي بك استعدادات الاستقبال وابلغ الامير ان الامر خرج من يده وأصبح بيد جمال باشا ، وان على الامير ان يتصل به ويتفق معه على الاستقبال . وذهب الامير الى قصر «داماسكوس بالاس» في جوزة الحدباء بدمشق وقابله جمال باشا وجرى بينهما الحديث التالي بعد ان انتظر الامير مايزيد عن عشر دقائق حتى اذن له بالدخول :

جمال باشا : ماذا تريد ؟ (وهو يمد يده الى الامير يصافحه بجفاء)

الأمير : جئت من أجل قضية الدروز .

جمال : ماهي قضيتهم ؟

الأمير : قبل وصولكم كنت انتدبت من قبل خلوصي بك لاقناع الدروز للانضمام الى صفوفكم متطوعين لخدمة الدين والدولة .

ـ طيب ! اعطني اسماءهم ونحن نقوم بما يلزم .

ـ ليست القضية اني اعطيك اسماءهم وانما هناك تقاليد وعرف تجبرنا على احترامهم واستقبالهم استقبالا يليق بشجاعتهم و...

ـ وهل أتى الدروز من أجلك ؟

ـ نعم .

ـ اذن لم يتطوعوا من أجل الدولة !!

ـ ياحضرة الباشا ! إذا عدت الى الماضي تذكرت الدروز وقد كانوا عاصين على الدولة وثائرين عليها ، فكان سامي باشا الفاروقي قد شنق ثلاثاً من مشايخهم بعدما أمنهم ، ولولا ثقتهم بشخصي انا اليوم ، لما رضوا ان يدفنوا أحقاد الماضي ، وينضموا الى الجهاد في سبيل الخلافة ، فهم إذن جاءوا اكراماً لي ، تبعاً للتقاليد والعادات التي نتبعها ، وأنا من واجبي أن أحييهم وأدافع عنهم .

ـ إذن هيء برنامج الاستقبال واحضره لي .

وهكذا كان الاجتماع الاول بين جمال باشا والأمير سعيد ، كان اجتماعاً جافاً أراد فيه جمال ان يستصغر الأمير ، وأظهر الأمير من جانبه جرأة وصراحة في حديثه لجمال ؛ ولعل حقد جمال على الأمير وسعيه لقتله كما سنرى كان من صدمة هذه المقابلة الأولى ، ولقد خرج الأمير من قصر داماسكوس بالاس الى الوالي خلوصي بك رأساً وقص عليه حديثه مع جمال باشا وقال له : « أنت تعلم ياخلوصي بك أني أقوم بعملي هذا خدمة لله تعالى ، دون أن أنال عنه أجراً ولا راتباً ، وبما ان جمال باشـــا لايحترمني الاحترام اللائق فانا اعفي نفسي من الأمر وانسحب ...» فطيب خلوصي بك خاطر الأمير واعتذر له عما بدر من جمال ، ووعده بان يهيء استقبال الدروز بنفسه . وهكذا كان .

ولقد نشر أحد ضباط الاستخبارات التركية مذكرات عن الحرب العالمية الأولى وتعرض فيها لهذه الحادثة بشيء يخالف الحقيقة ولما ترجمتها جريدة الاحرار

البيروتية كتب الأمير سعيد مقالا في جريدة القبس الدمشقية العدد ١٦٥ بتاريخ الاربعاء في ١٥ ربيع الثاني ١٣٥٠ الموافق ١٧ آب ١٩٣٢ مايلي :

حول مذكرات ضابط تركي

الأمير سعيد ومذكرات جمال باشا

رد على ماجاء في مذكرات ضابط تركي

« تنشر الزميلة المحترمة « الاحرار » مذكرات لضابط من ضباط الاستخبارات الاتراك ، تتضمن كثيراً من الاخبار والحوادث التاريخية الملفقة ، التي لاتتفق مع الحقائق الواقعة في شيء .

وقد رد كثيرون على ماجاء في تلك المذكرات ، وارسل الينا سمو الاميرسعيد مقالا يرد به على ماجاء في تلك المذكرات ننشره فيما يلي :

جاء في العدد (١٩٨٩) من جريدة الاحرار في المذكرات التاريخية المترجمة عن استخبارات الجيش الرابع شيء يتعلق باجراآتي إزاء زعماء جبل الدروز في اثناء الحرب العامة واني عرضت نفسي لخدمة جمال ، وكنت احمل مجموعة جرائد تحتوي على مطاعن في الدولة الافرنسية ، الى ماهنالك من مزاعم تخالف الحقيقة وانا اثبت فساد هذا القول بالدليل والبرهان والحوادث الواقعة التي لاتزال سوريا وأبناؤها يذكرونها لقرب عهدها فأقول :

أولا ـ كل من يعرف شيئاً عن أعمال أسرتنا التاريخية يعلم اننا كنا نخدم الوطن باخلاص وتضحية مجردتين عن كل غاية إلا رفع كلمة الامة . وكنا عند حلول الشدائد نندفع للذود عن كيان هذا الوطن الثاني والاول (الجزائر) بكل وسائل الدفاع ، وان الضحايا الكبيرة التي خسرتها اسرة عبد القادر في هذا السبيل هي شاهدة عدل ومثال ناطق على قولنا .

ففكرة ادخال طائفة الدروز الى حظيرة الامة فكرة نشأت قبل ان يتقرر

قدوم جمال ، بل هي فكرة وطنية يراد منها الدفاع عن البلاد فيما اذا جرت الحرب العامة بلادنا الى خوض غمارها .

فتقرر بيني وبين خلوصي بك ذلك الوالي الوديع الذي كان يميل أشد الميل لمنح العرب مالهم من حقوق فكلفني بجمع كلمة الامة العربية وايجاد اتحاديين الجميع فلم اقصر في هذا السبيل فتمكنت بما لي من نفوذ ومحبة عند العشائر ان اجلب المغاربة ومن جاورهم في جهات صفد ، ودخل الجميع بيوم مشهود الى الشام ومن ثم جئت برؤساء الجراكسة الذين قدموا انفسهم للتطوع في هذا السبيل، وقبل ان يأتي جمال الى سوريا ذهبت الى جبل الدروز وصادف ان الجميع كانوا مجتمعين في « قرية عرى » معقل الطرشان وعاصمة الزعامة الدرزية بمناسبة مرور اسبوع على وفاة زعيمهم الاكبر يحيى بك الاطرش (في حين ان واضع الاستخبارات يرى في موت يحيى بك راحة له وللدولة) وبعد ان حضرت هذا المأتم عرضت على رؤساء الدروز فكرة الاتحاد مع الدولة والامة في سبيل الذود عن الوطن حين الحاجة.

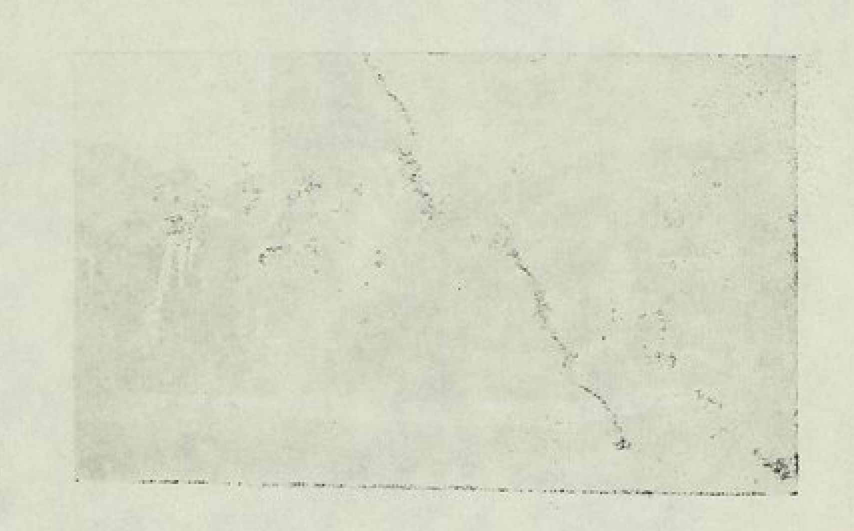
وقد كانت العادة المتبعة عند هؤلاء ان لايجري أي بحث في مثل تلك الحال ولكن تعلق الدروز باسرتنا منذ عهد مولانا الامير الكبير جعلهم يخرقون العادة ويعقدون خلوة كبيرة في المراء دامت نحو الساعتين ،ثم اوعزوا الي بالحضور وما كدت اصل حتى تعالت الاصوات وقد بلغت عنان السماء وأخذوا يرمون عقلهم على الارض ، وهذه عادة يفعلها العرب عند الحماس والنخوة ؛ ويقولون لعينيك ياأمير « نحن ذبايحك » ، وهكذا تقرر ان يأتي الزعماء وعددهم خمسمائة خيال الى دمشق وعلى رأسهم امراؤهم سيما أميرهم المنتخب الامير سليم بعد مرور اسبوع على موت يحيى بك الاطرش . وهكذا عدت الى الشام وصادف عند وصولي قدوم احمدجمال باشا فقابلت خلوصي بك وأخبرني هذا بوصوله وانه بالنظر للصلاحية العظمى المعطاة لهذا القائد العام ينبغي مقابلته وعرض برنامج الاستقبال عليه ،فلم أرمانعامن مقابلته فسرت اليه بمقره « دامسكوس بالاس » وكان جمال دخل بسطوة ورهبة وأخذ يقابل الناس بعظمة لم تتعود البلاد مثلها سيما وقد تقدم جمال باشا زكي باشا ذلك

القائد العربي المتواضع فقدمت بطاقتي وأخبرته بقدومي ، فجعلني أنتظر ربع ساعة ضاق بها صدري حتى ان نفسي حدثتني بترك المكان لانني ما كنت أعمل إلا لخدمة بلادي ولست قيداً لابجمال ولا بغيره وانما تريثت لارى ماذا يكون من امر هذا القائد ، وبالنهاية طلبني لغرفة صغيرة فيها منضدة وكان واقفاً كالنمر بجانب المنضدة فصافحني وسألني عن أحوالي ثم سألني عن الدروز القادمين وعن عددهم فأجبته عن ذلك ، فقال لي: حسناًقدم لي قائمة باسماء هؤلاءالرؤساء وأناأفعل اللازم. فقلت له :أن الذي سيرتب البرنامج ويستقبل هؤلاء خارج الشام هو أنا. فحملق الباشا ونظر الي بدهشة وقال مهدداً بنظراته : « اذن فان زعماءالدروز يأتون من اجلك » فحملقت انا بدوري وأجبته باشد من عبارته بكلمة (اوت) نعم هم يأتون لاجلي وما كاد يسمع الباشا ذلك وهو يرى نفسه سيدالبلادحتى كرر قوله : « اذن زعماء الدروز لايأتون لاجل الدولة ؟ » قلت له لا ولا شك انكم تعملون حادثة (يحي بك عامر) ذلك الزعيم الذي آمنه سامي باشا على حياته ثم اعدمه وهذا مانزع ثقة الدروز من الدولة ولولا ثقتهم بنا واعتمادهم على صدقنا لما حضروا . وازاء هذه الصراحة التي لم يسبق للباشا سماعها رضخ للامر الواقع وقال لي : « رتب برنامجك حسب ماترى ونحن ننفذه بحذافيره » وهذا ماحدى بواضع المذكرات ان يقول : وهذا ماصدق به (ولما كان جمال باشا يتبع في ذلك الوقت سياسة الملاينة والمسايرة لم يرض ان يعارض الامير فيما ابداه ووافقه عليه)

هذا ماجرى بيني وبين جمال ولما خرجت من عنده ذهبت تواً الى خلوصي وقلت له : هل نابني من خدمة الامة والدولة مكافئة ؟ قال : لا ، قلت (هل طلبت منكم وساماً ؟) قال : لا ، قلت له عذني مستعف من هذه (الانكارية) فنظر الي باستغراب وقال ماذا جرى ؟ فاخبرته بما جرى وقلت له : « انا تعودت الاطلاق ولا يمكنني ان اشتغل كموظف يرضخ لكبرياء القواد » فضحك الوالي وقال لي افعل ماتريد وانا انفذ كل امر عند جمال وإذا كان يسوءك مقابلته فلا تقابله بل قابلني



اثناء رحلته دعا اليها سمو الامير قناصل الدول الاجنبية : بريطانيا - ايطاليا - فرنسا الولايات المتحدة الاميركية لزيارة ربوع سوريا وجبل الاردن وفي الصورة القناصل في السويداء مع زعماء الدروز (بني معروف) وسمو الامير .



وان مثلك اذا بدأ بأمر لابد أن يتممه ، ولما كنت مطلعا على الرجل وأعلم انه اخفى الاوراق التي وجدت بقنصلاتو فرانسا ووعدني باخفائها نفذت له رغبته ، ولكن في النهاية ذهب الرجل ضحية معارضة لجمال ووقع من امر الوثائق ماوقع ودخل الدروز الى الشام بيوم مشهور استقبلتهم فيه الامة والحكومة والجنود أعظم استقبال وكانت حركاتهم الحربية في المرجة الخضراء تدهش جمال . وقداخذ الاحتياطات اللازمة حينما كان يرى اولئك القوم يأتمرون بأمري ويتحركون لأقل اشارة مني . »

محمد سعيد عبد القادر



رحلة

أضمر جمال باشا الشر للأمير سعيد ، وحاول التخلص منه ، ولكنه لم يجد مايدينه به ، فلما عزم جمال ارسال الحملة الى الترعة ، خشي جانب الأمير في دمشق فناداه وقال له : « سأسافر مع الحملة الى الترعة ويجب ان تكون انت معي عندما أدخل مصر » .

الأمير : « مانفعي مع الحملة وما فائدة دخولي مصر إلى جانبك ؟ »

جمال : « سأكلفك بقيادة فرقة خاصة » .

الأمير : « ماذا تراني أعد ؟ »

جمال : « استصحب معك اثنين من رجالك ليكونوا خداماً لك ، ونحن نكفيك مؤونة كل مايلزمك . »

وبعد أيام ، بينما كان الأمير مضطراً لاعداد وسائل السفر مع موكب جمال هبط دمشق الجنرال الالماني « فافيوس » الذي أعطاه العثمانيون اسم « عبد الكريم باشا » وكان فيما سبق والياً على بعض المستعمرات الالمانية في افريقيا ، واستاذاً لاولاد الامبراطور غليوم الثاني ، وكان الناس في دمشق يتساءلون عن معنى وجود الجنرال الالماني في دمشق وبصحبته حاشية خاصة ، منها ثلاثة مترجمين أحدهم مستشرق الماني يتقن العربية وثانيهم مسيحي لبناني وثالثهم شيخ مسلم بعمامة من بخاري ، وفي تلك الاثناء قابل قنصل المانيا في حيفاء لوتفيت » الأمير سعيداً في داره وقال له : « ياسمو الأمير ! إني أعلم أنك تعمل من مدة في سبيل اثارة الجزائريين

ضد فرنسا ؛ وأنت تتمنى ان تصل الى الجزائر لتقودها الى الاستقلال ، وهاهي الفرصة سانحة ، فان هناك بعثة المانيه ستذهب الى شمال افريقيا فيمكنك مرافقتها وتحقيق برنامجك . »

وفي اليوم التالي دعي الأمير لمقابلة جمال باشا الذي ابتدره قائلا :

« تغيرت خطتي ، فسوف لاترافقني الى مصر ، وانما سترافق بعثة عبد الكريم باشا الالمانية ، وهي ذاهبة الى شمال افريقيا ، وستمر في طريقك على طرابلس الغرب وسترى السيد السنوسي فيها ، فاكتب له قبل ان تصل واخبره بقدومك وبأنك تحمل رسالة شخصية مني اليه ، وأخبره شفهياً بأني سأهاجم ترعة السويس ، فيجب على السنوسي عندما يسمع بوصول حملتي الى الترعة لمهاجمة مصر ، ان يهاجم من ناحيته مصر ايضاً فنضعهـا بين نارين ، وليضرب المصريين على رؤوسهم ويسوقهم الى الحرب كالـ ... » وسلم جمال باشا في الحال الأمير سعيداً رسالة مختومة ؛ وأمره بالاستعداد للرحيل في الغد .

صدّق الأمير سعيد أقوال جمال ، وخفق قلبه فرحاً لسيره الى بلاده الأولى، وفي الغد كان في محطة الحجاز في عربة خاصة تقل بعثة عبد الكريم باشا الالماني..

وفي الطريق التفت الأمير الى الجنرال الالماني وقال له : « أين نحن ذاهبون ؟ وما هي خطتنا وما هو طريقنا ؟ »فاجاب الجنرال : « نحن ذاهبون الى افريقيا الشمالية» فاطمأن قلب الأمير وأخذ يطل من نافذة القطار ؛ وينظر الى الافق البعيد ويتخيل الرحلة الجميلة ، ويتصور وصوله الى طرابلس واتصاله بالسيد السنوسي ، وتسليمه رسالة جمال باشا ، ومغادرته طرابلس الى تونس دون ان يراه الطليان ، ثم وصوله الى ارض الجزائر التي طالما تمنى ان يكحل عيناه بمرآها واتصاله بالمجاهدين ، وكان يتصور نفسه وهو يحادثهم ، وكلهم قد التفوا حوله ، وبايعوه على الجهاد في سبيل الله ، وانه يقودهم الى ساحات النصر والظفر ، فيعيد الى اذهان العالم مواقع جده عبد القادر وانتصاراته ... فكان الأمير يسر وهو يسبح في أحلامه ، لايحادث أحداً من زملائه ، ولا يهتم بشيء ، سوى خيالاته وتصوراته ...

وصدف عندما أشرف القطار على محطة العُلا ، ان الأمير التفت الى احد كبار مرافقي البعثة الاتراك وهو « سامي بك » متصرف نجد وأراد ان يتأكد من سلامة الطريق ، واتمام الاستعداد لوصولهم سالمين الى شمال افريقيا دون ان يقعوا اسرى بيد البريطانيين ، حتى يزداد فرحاً باحلامه ، وقال له : « ياسامي بك ! هل طريقنا جميعه في أمان ؟ أم هو محفوف بالأخطار ؟ وما هي تفاصيل مخطط السير ؟ .. »

فأومأ سامي بك الى الأمير ان يخرجا معاً الى رواق القاطرة ، وظن الامير ان مثل هذا الحديث عن مخطط الرحلة يجب ان يبقى سراً لايبلغ مسامع الجنود خشية الجاسوسية وافتضاح الأسرار ، فترك مقعده ، وانتحى بمتصرف نجد ناحية ودار بينهما حديث لم يسمعه غيرهما :

سامي بك : « ياسمو الأمير ! اني اقدر فيك وطنيتك وأعترف بشجاعتك ، وبما أنك أمير من سلالة الامراء فمن واجبي أن أصدقك القول ولا أخدعك . ليس هدف هذه البعثة الالمانية الذهاب الى افريقيا الشمالية وانما هدفها الوصول الى مستعمرات المانيا في افريقيا الوسطى ، لمهمة خاصة في البلاد العربية ، فقد زود جمال باشا الجنرال الالماني بصلاحيات واسعة في الجزيرة العربية ؟ وسوف تصل هذه البعثة الى المدينة المنورة ، مدينة الرسول عليه السلام ، ومنهـا الى مكة المكرمة حيث الكعبة المشرفة ، وستدخل هذه الاماكن المقدسة . وطريقها هذا سر ، لم يطلعوك عليه » وكان الايمان والحماس الديني بادياً على وجه والي نجد وهو يتحدث ، فأطرق الأمير سعيد هنيهة وعلم ان حديث قنصل المانيا في حيفا له وحديث جمال باشا ، والرسالة التي يحملها ، وجواب عبد الكريم باشا في الطريق ، كان كله مؤامرة ضده ، وخشي ان تكون أوامر جمال ان يقتله في الطريق .

فالتفت الى محدثه وقال له : « ولكن هل يجوز لك ان ترافق هذه البعثة وأنت تعلم هدفها ، وتسمح لها ان تكشف عورات المسلمين في أماكنهم المقدسة ؟.. »

سامي بك : « نحن مأمورون وليس باستطاعتي الرفض ، مع ان سير البعثة الى الحجاز ليس من رأيي »

الأمير : « وكيف السبيل اذن لنمنعها من تحقيق برنامجها ؟ »

سامي بك : « اكتب برقية سرية الى محافظ المدينة المنورة وأخبره ان يحذر الجنرال الالماني من القدوم الى المدينة ، والمحافظ لابد وان يثق فيك ، لمكانتك الممتازة في قلوب الجميع » .

الأمير : « حسناً ! عندما أنزل مدينة العلا سأبرق الى بصري باشا والي المدينة البرقية التالية : « أنا مع بعثة المانية مرادها المرور من المدينة المنورة ، وذلك فيه ضرر على مصالح الدولة ، فارجوك أن تعارض قدومنا ببرقية جوابية بقولك ان مرورنا من الاراضي المقدسة فيه خطر على حياتنا وعلى هياج السكان » ونجحت الخطة فان جواب بصري باشا والي المدينة وصل كما كنا نرجو ؛ واطلع الجنرال الالماني على فحواه ، وتمتم كأنه أدرك أن في الأمر سراً ، وأخذ ينظر الى الأمير سعيد شذراً ، ورضي أن يغير خطة سفره ، وان يتجه الى ساحل البحر الاحمر ، فيكون طريقه الى الجنوب بحرياً على حذاء الشواطئ العربية ثم تأخذه نقالة بحارية الى الشواطئ لافريقية حيث يصل الى هدفه .

وفي العلا كلف رفادة باشا شيخ عشيرة « البلي » ان يهيء قافلة للبعثة ، وان يؤمن بمفرده سلامة البعثة من العلا الى « الوجه » على ساحل البحر الاحمر ، وبعد سبعة أيام من رحلة صحراوية بحماية ورفقة رفادة باشا اشرفت البعثة على الوجه ، وهنا بدأت الخلافات بين قائد البعثة الجنرال الالماني وبين الأمير سعيد فقد رفض الأمير الخضوع لأوامر الجنرال بتركه رجال البعثة والسير مع القافلة التي تحمل العتاد والذخيرة ، ذلك لان هذا ليس من خصائص الامير ، فالأمير مرافق للجنرال وليس مرافقاً للمؤن والحاجيات ، وخاصة ان ذلك يسير بحماية رفادة باشا . وفي الوجه وزع الجنرال رجاله على ثلاث مراكب شراعية ، وضع الامير في أحقرها ، ولم يكتف بذلك ، بل كان نصيب الزورق الذي يقل الامير ان يحمل جميع ماتحمله البعثه من مواد متفجرة وبنزين ، فشعر الامير ان الجنرال يضمر له الشر ، وان اقل حادثة يمكن ان تفجر البارود أو تحرق البنزين وبذلك تنتهي حياة المركب

ومن عليه ... وبعد اربعة ايام من رحلة بحرية وصلت البعثة الينبع ، فنزل الجنرال وقام بمهمة خاصة لم يدر الامير شيئاً عنها لانه منع من النزول الى البر ، وكذلك منع من أن يطأ اليابسة عندما وصلت البعثة الى جدة ، وحاول الجنرال ان يفعل مثل ذلك عندما وصلت الى القنفذة ، احد موانىء عسير بعد سير بضعة عشر يوما، ولكن الامير ، مخالفاً لجميع الاوامر الصادرة اليه ، غادر المركب ومعه خادمه الخاص « مسعود الجزائري » وبقي في القنفذة رافضاً جميع المحاولات التي قام بها الجنرال ليحمله على تغيير عزمه ، وكاد الخلاف ينتهي بينهما الى تحكيم النار والبارود ،واضطر عبد الكريم باشا الالماني الى ترك الامير في القنفذة، وان يتابع سيره دونه .

عرّف الامير بنفسه لشيخ القنفذة ، فاحترمه ايما احترام ، وقدم له المعونة الكافية ، وأرسل من يرافقه الى مدينة الليث ، وهنا اتصل الامير بالقائمقام فاكرم وفادته ، وقدم له رواحل وادلاء ليسير الى مكة ومنها الى المدينة ثم يعود أدراجه الى دمشق .

وفي مكة كانت اولى مقابلات الأمير سعيد بالشريف حسين شريف مكة ، ولم يكن الأمير على علم بمساعي بريطانيا لتهيئة الثورة العربية ؛ ومفاوضاتها للشريف حسين . فظن الامير ان واجبه المقدس ان يقنع الشريف بضرورة تأييد الدولة العلية صاحبة الخلافة الاسلامية ، فبعد ان اكرمه الشريف حسين وانزله في جناح خاص من قصره بمكة المكرمة . اجتمع به ،وكان مما قاله الأمير بعد التعارف وتبادل عبارات الترحيب والشكر .

الامير : « أنت تعلم ان الصليب يحارب الهلال اليوم . وانت ابن رسول الله . فيجب ان تكون على وفاق مع الخليفة العثماني »

الشريف : « ولكن الاتحاديين كفرة لايتبعون تعاليم الدين ، ولقد قاوموني . ولقد حاول الوالي وهيب باشا قتلي ، وقد هاجمني في قصري ، ووضع يده على أوراقي ورسائلي الخاصة »

الأمير : « ولكنك ياشريف ! أنت ثاني رجل في الدولة العلية بعد الخليفة ، واذا حدث للحكومة حادث فلا أحق منك ان يتقلدها ، لنسبك من رسول الله ، ولمقامك المعظم عند جميع المسلمين . ومن لنا أمير غيرك اذا اصيب الخليفة ؟ »

الشريف : « ابداً ! ابداً ! لاأطمع بالملك ، ولا أطمع بمنصب يزيد عن حماية الكعبة الشريفة »

الأمير : « أنا على رأيك أيها الشريف ، لسوء ادارة الاتحاديين ، واني أكره جمال باشا شخصياً ، ولكن أرى أن واجبي في تأييد الخليفة الشرعي ... » وأخذ الأمير يشرح للشريف حسين ماجرى له مع جمال باشا وتفصيلات الرحلة الشاقة... وانتهى الأمر بالشريف ان فوض الأمير سعيداً ان يحسن العلاقات بينه وبين جمال. وقد حمل الأمير سعيد ذلك الى جمال باشا في دمشق ومهد السبيل للتفاهم بين الطرفين . والراجح ان اتفاق جمال باشا مع الشريف فيصل ابن الشريف حسين في دمشق ، يوم اقام فيصل في دمشق كان على أثر وساطة الأمير سعيد . وقد جاء وصف هذه المقابلة ونتيجتها في جريدة الجامعة الاسلامية التي تصدر في يافا ، في عددها ٥٦٢ وتاريخ الاربعاء في ٢٣ صفر ١٣٥٣ الموافق ٦ حزيران ١٩٣٤ بتوقيع الأمير سعيد نفسه وهذا مقال الأمير :

بالمناسبة ...

كيف سودوا صفحتي امام العرب !

حقائق تاريخية عن الصلح بين العرب والترك

لسمو الأمير سعيد الجزائري

تحت هذا العنوان نشرت « الجامعة الاسلامية » حديثاً للكاتبة التركية خالدة اديب ، ولما كان العرب يحرصون كل الحرص على الوقوف على تاريخ نهضتهم بصورة جلية خالية من كل ريب وشائبة ، فأرى نفسي مسؤولا ايضا عن نشر نبذة تاريخية

لها علاقة عظمى بحقوق مقدسة اهملها حلفاء العرب، بينما كان هؤلاء يقتناحرون بفعل الدسائس الاستعمارية ، فذهب رجال عظماء خدموا الامة العربية بدمائهم ضحية هذه الوشاية وجاءت هذه الابيات ناطقة بلسانهم ومفسرة لشعورهم وهي :

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظبات نفوسنا وليس على غير الظبات تسيل

ولا ريب ان مسلماً يموت شهيداً بميدان الشرف بينما خصمه يفر أمامه مثل الثعلب خير له من ان يكون اداة مدمرة لوطنه يلعنه السلف ويذكره بكل سوء الخلف . وازاء هذه الحقائق الناصعة التي هي امانة بعنقي أرى من اهم الواجبات الوطنية ان اسرد لبني قومي حقائق تاريخية تستند الى مخابرات جرت المداولة بها بين اثنين شاءت الاقدار ان يتناحرا وكان كل فريق يسعى جهده لاحلال السلام محل الخصام ولكن ما الحيلة وأمر الله نافذ وحكمه سار بخلقه وله الحكم فيما يريد واعتقد ان ما حصل من الخصام بين العاهلين المسلمين لايختلف في شيء عما مضى وكان جديراً بهذه الامم ان تأخذ درساً من الماضي وعبرة من جشع المستعمر وكيف ان نتيجة هذا التخاذل ستكون في مصلحة الاعداء الطامعين الذين يقتسمون البلاد فتصبح لديهم غنيمة باردة وحتى يتوطد لهم الامر وترسخ اقدامهم في بلاد كان اصحابها بالامس اسياداً احراراً لايتورعون باتخاذ كل الطرق والاساليب التي تخذل الامة المحكومة فيثيرون الاخ على اخيه والولد على ابيه حتى اذا تم تفريق الكلمة واصبحت البلاد فرقا وشعوبا متناحرة تنقض الدولة المستعمرة فتجهز على مايستشم منه رائحة الحرية والنهضة ، دينية كانت او وطنية كما هو واقع الآن في بلاد افريقيا الشمالية من المغرب الاقصى الى الاوسط والادنى ، وما العهود الا حبراً على ورق سيما اذا وجد العدو نفسه انه المسيطر المتجبر .

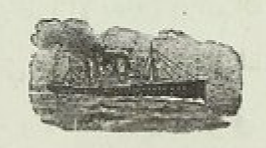
. . .

جمعتني الصدف بامير مكة المغفور له الشريف حسين (ملك الحجاز) قبيل

الحرب فكان اهم حديث دار بيننا والحرب العامة بدأت تشتعل بنيرانها حول مصير الامة الاسلامية وكيف يجب ان يكون موقف الاشراف من بني هاشم ازاء هذه الحرب العامة فاخذ المغفور له يشكو من سوء معاملة والي الحجاز وهيب باشا وكيف ان المشار اليه سعى تحت طي الخفاء لاغتياله وكانت تتخلل كلامه حسرات وزفرات حول نتائج هذه الحرب ومصير دولة الخلافة بعد ان اصبح كل فريق يدعو الى العصبية والى القومية التي كانت اول معول هدم كيان هذه الامة التي دوخت البلاد شرقاً وغرباً وحكمت من المحيط الى المحيط .

وقد بلغ الحنق والغيظ من امير مكة اقصى حد حتى ان اعضاءه اخذت تختلج عند ذكر هذه المآسي ، فبعد ان ضربت له امثلة فيما جرى للسلف الصالح من نوائب ومصائب قلت له : يامولاي ان ابن الرسول المؤتمن على مفاتيح الحرمين هو اول من يهزأ بهذه الخطوب ويكون أعظم حصن المسلمين في الشدائد وان اميراً مثله لجدير بان يلقي المسائل الشخصية جانباً ويسعى بكل قواه الى التذرع بما يحفظ ويصون بيضة الاسلام ويدرأ عن العرب كل شر . وضربت له مثلا بموقف احمد جمال باشا ازائي بينما كنت افدي النفس والنفيس في سبيل خدمة الامة الاسلامية وكيف انه دفعني للهلاك عن طريق خدمة امتي ومع ذلك مازلت ثابتا في سبيل المبدأ الذي من ورائه صيانة الوطن من غارة الاعداء . ورغم ان المغفور له كان شديد التكتم والحذر ماوسعه الا مطاوعتي حينما عرف بقوة الفراسة اخلاصي فاجابني قائلا : اذا كان لك سبيل الى الاصلاح والاتحاد فافعل ماهو في مقدورك فاني لست بمخالف لك . وفي هذه البرهة القليلة التي كنت متشرفا بها بمكة رأيت نفسي منجذبا بقوة عجيبة نحو هذا الأمير الجليل وما كدت اصل الى الشام وانا لاأدري ماذا يكون موقفي ازاء جمال باشا الذي خالفت امره بتلك الرحلة التي خدعت بها حتى كاشفت الوالي خلوصي بك بامر الاتحاد مع امير مكة من جهة ومن فساد نظرية جمال باشا بجعل الحجاز تحت سيطرة قوة اجنبية من جهة اخرى وفي الحقيقة ان مصارحة

تلك الجبار بمثل هذه الامور وهو يحسب نفسه المسيطر الاعظم على بلاد الشرق امر لايخلو من الخطر ، ولكن شاءت الاقدار ان يكلل عملي الذي اخلصت فيه النية بالنجاح فنزل جمال باشا على ارادتي بامر المصالحة مع أمير مكة وجرت بذلك مخابرة كان من نتائجها ايفاد الأمير فيصل حاملا لوثائق التي تبرر موقف الشريف حسين ازاء خصمه وهيب باشا وما كاد حسن التفاهم يسود الجميع حتى تقرر سفر الامير فيصل لدار الخلافة ليتم التفاهم ايضاً بينه وبين أنور باشا وزير الحربية والذي بيده مقدرات الدولة العثمانية ، وكان من جراء هذه السفرة حصول الاتفاق التام على اشتراك الحجاز وعلى رأسها أميرها الشريف حسين بمعاضدة الدولة وان يكون نجله الشريف فيصل على رأس قوة حجازية تنضم الى جمال باشا، ورجع الشريف فيصل من دار الخلافة حاملا عتاداً وذخائر حربيـــة واموالا تقرر صرفها على الحملة المزمع ارسالها .



مع فيصل

قدم فيصل دمشق في ٢٦ آذار عام ١٩١٥ ، فتلقاه جمال باشا بحرارة ودعاه الى الاقامة معه في مقر قيادته ، ولكنه اعتذر عن ذلك ، اذ كان مرتبطاً بموعد سابق للنزول في ضيافة آل البكري ، وكان فيصل في طريقه الى الاستانة ، وبقي في دمشق هذه المرة ستة اسابيع اتصل خلالها باعضاء « جمعية الفتاة » و « جمعية العهد » واطلع على مساعي الزعماء العرب للاستقلال عن الدولة العثمانية ؛ وكان ذلك اول تفاهم بين فيصل والحسين بن علي وبين زعماء العرب الذي نبتت منه الثورة العربية الكبرى . وكانت اولى مقابلات الامير سعيد مع الشريف فيصل خلال تلك الاقامة القصيرة ، فقد كان من واجب الامير ، ان يزور الشريف في منزل آل البكري يهنئه بسلامة الوصول ؛ مع آلاف المهنئين ، وأن يشكره ويشكر والده الكريم على حسن ضيافته له عندما كان في مكة المكرمة ؛ وان يذكر له شيئاً بما سمعه لدى جمال باشا عن حسن التفاهم بين قادة الدولة العثمانية وشريف مكة ، مع العلم ان انضمام الحسين الى جانب الحلفاء لم يكن قد تم بعد ...

وكان الامير سعيد قد كتب رسالة شكر من المدينة المنورة الى الشريف حسين بمكة ، وكتب من دمشق رسالة اخرى شرح فيها للشريف حسين مساعيه لدى جمال باشا ، واخبره بخبر سفر ابيه الامير علي باشا الى المانيا في مهمة خاصة. « ووصلته رسالة جوابية بخط الشريف حسين وتوقيعه تعد وثيقة من الوثائق

التاريخية وفيهـــا يبين الشريف حسين انه لابد وان الشريف فيصلا قد قـابل الامير .

وهذه صورة الوثيقة الاصلية :

عزيزنا الكامل السيد الشريف الامير محمد سعيد ابن الامير علي ابن مولانا المرحوم السيد الاجل

عبد القادر الحسني حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تناولنا بغاية السرور كتابيك

الاول من [illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم والثاني من دمشق الفيحاء

وفرحنا بهما لانهما قد وافيا ببشائر عافيتك التي نحمد الله ان ديمها عليك

وعلى والدك والعائلة وعشيرتكم موفقين لكل ما فيه سعادة الامة وخير الاسلام

ويكفيك يا ابني من الفخار ان تشرف بما يحمله الى جدك فضائل شرفكم

الباذخ وبمجدكم الشامخ الذي توجت به مفارق ابائك واجدادك من سلالة

ذلك البيت الطاهر الكريم

انا لانعد خدماتنا التي ذكرتها بالاطراء والثناء الاجزءا من بعض ما افترضه الاسلام

علينا لخدمة الدين الحنيف والخلافة العظمى والبلاد العربية المحبوبة مؤملين من الله

عز وجل ان يوفقنا لايفاء تلك الواجبات حقها وان يمنحنا السداد في الاقوال

والاعمال بما تقرّ به عين جدك الاكرم صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه

ادعو لوالدك بنجاح مساعيه وان يرده اليك سالما قرير العين وان يسمعنا من

اخباره ما تسر به الافئدة

انجالنا يهدونك سلامهم لاجل ان يكن قد حظي بمشاهدة طلعتك البهية بالفيحاء

ولا نزال نذكرك كما تذكرنا والله يتولى رعايتك ايها العزيز

١٠ [illegible] ١٣٣٣

ونصها هو :

« عزيزنا الكامل السيد الشريف الامير محمد سعيد بن الامير علي بن مولانا المرحوم السيد الاجل عبد القادر الحسني حفظه الله ورعاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد تناولنا بغاية السرور كتابيك الاول

من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ والثاني من دمشق الفيحاء وفرحنا بها لانها قد وافيا بيشائر عافيتك التي نتمنى من الله ان يديمها عليك وعلى والدك واهلك وعشيرتك موفقين لكل مافيه سعادة لامة وخير السلام . ويكفيك ، يابني من الفخار ان تمثل بمناحيك السامية جلال فضائل شرفكم الباذخ الذي تتوجت به مفارق آبائك وأجدادك من سلالة ذلك البيت الطاهر الكريم .

انا لانعد خدماتنا التي ذكرتها بالاطراء والثناء الا جزءاً من بعض ماتفرضه الاسلامية علينا لخدمة الدين الحنيف والخلافة العظمى والبلاد العزيزة المحبوبة مؤملين من الله عز وجل ان يوفقنا لايفاء تلك الواجبات حقها وان يمنحنا السداد في الاقوال والأعمال بما تقر به عين جدك الاعظم صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه.

ادعو لوالدك بنجاح مساعيه وان يرده اليك سالماً في دينه ودنياه وان يسمعنا عن اخباره ماتسر به الافئدة .

انجالنا يهدوك سلامهم . لابد ان فيصل قد حظي بمشاهدة طلعتك البهية بالفيحاء اننا لانزال نذكرك كما تذكرنا والله يتولى رعايتك ايها العزيز . »

في ٢٠ جمادي الاولى سنة ١٣٣٣ امير مكة

حسين

وعاد فيصل من الآستانة ، وتردد على دمشق مرات ، وتم الاتفاق بينه وبين قادة العرب فيها على الثورة ، وكان والده قد اتم اتفاقاته مع البريطانيين ، وكان جمال باشا في دمشق يكرم فيصلا من ناحية ويراقبه من ناحية اخرى ، وكان الاتراك يتوددون للشريف حسين واولاده ويكرمونهم ، ولكنهم كانوا يخشونهم ويخافون ان يقوموا ضدهم ؛ وكأن تلك المراسلات السرية بين حسين ـ مكماهون ، قد شم الاتراك رائحتها أو تنبأوا حدوثها دون ان يتمكنوا من كشف أسرارها والوقوف على حقيقتها ، فكانت كل حركة وسكنة من الاشراف اولاد الحسين تؤول لدى المقامات التركية . ويروي الأمير سعيد احدي قصص جمال باشا والشريف بقوله:

« بينما كنت في داري بالجسر الابيض ، قدم الشريف فيصل ، فاستقبلته استقبالا يليق بمثله ، وأحسنت وفادته ، وبعد ان استوى بنا المكان أخذ يحدثني والدمع يترقرق في عينيه :

فيصل : « أحب أن أحدثك ياأمير بحديث جرى لي اليوم مع جمال باشا ، وآخذ به رأيك . »

الامير : « خيراً انشاء الله »

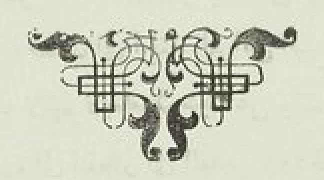
فيصل : « طلبني جمال وقال لي : بلغني أن أخاك الشريف علي ، قد وصل المدينة المنورة من مكة وأخذ يتصرف بأمور ليست من اختصاصاته ، وأخشى ان يكون غير مخلص النية نحو الدولة العثمانية وأنت تعلم انني لاأسكت عن انسان مهما علت منزلته ، ولن أسمح له ان يحيد عن طريق الاخلاص للدولة ، لذلك أرى ان تكتب لاخيك الشريف علي حالا ، بان يغادر المدينة ويعود من حيث أتى ، والا فسأضطر لشنقه ... »

الامير : « ياسمو الشريف ! نحن أبناء عمومة ، ننتمي الى الاسرة النبوية الشريفة ونحن على السراء والضراء ، ومن واجبي أن أحميك ؛ وأمنع عنك وعن اخيك أذى جمال السفاح ، وخاصة انني انا الذي كنت واسطة الصلح بين الشريف والدك وبين جمال ، فان شئت سرت انا الى جمال ودافعت عنك وعن اخيك وأفهمته ان الحجاز تحت أمارتكم ، وأنتم تتنقلون اينما شئتم وحيثما اردتم ، وليس لاحد عليكم سلطان ، ولا لرجل مهما علت مرتبته في الدولة ان يمنعكم من دخول المدينة أو غيرها من مدن السلطان ، واما ان تترك دمشق وتعود الى والدك ، تخبره بسوء نيات جمال ، وأنا على استعداد لايصالك الى الحجاز سالما آمنا مع عدد من رجالي الذين اعتمد عليهم دون أن يتمكن جمال وعيونه من معرفة شيء من أمركم ، واما ان تعود الى دار آل البكري وتمتنع عن الحضور الى مقر جمال باشا حتى يتجلي الموقف ، ويرجع عن ظلمه لكم أو ترى فيه رأيا »

فيصل : « ولكنك تعلم انني لااستطيع ان اقوم بعمل الا بما يأمرني به والدي وقد كتبت له بتفصيل ذلك اليوم . وأنا بانتظار جوابه »

الامير : « انني اخشى ان يكون جمال قد أضمر لكم الشر ، ولا بد أنكم ستنتقمون منه شر انتقام ، ولكن الزمن لم يحن لمثل هذا العمل ، وعلى كل اذا امتنعت عن المجيء الى مقره ، فانه لابد سيسترضيك لانه بحاجة الى مساعدتك انت وجميع عائلة والدك الكريم »

وقد اعتكف فيصل بالفعل في دار آل البكري لم يخرج منها يومه وليلته ، فارسل اليه جمال يسأله عن سبب تغيبه واعتذر له عما بدر منه ، وقال له : « نحن في حالة حرب ، ولذلك كنت حريصاً على ان اراقب كل حركة وسكنة حتى لايقع مايضر بصالحنا ، وقد علمت بحسن نية أخيك ، وأرى ان نكون دائماً على وفاق ، لذلك سأرسل برقية الى بصري باشا بان يلاطف أخاك ويحسن معاملته ؛ وانت أبرق الى اخيك ان يتفاهم مع الوالي حتى لايحدث مايشوش الحالة في المدينة ويقلق بال الباب العالي » .



الشهداء

انتهت حملة الترعة التي أعدها لغزو مصر الى الفشل ، وظهرت نيات جمال باشا نحو العرب وزعمائهم ، فأخذ ينفي العائلات الى الاناضول ويراقب حركات سادة العرب ، وألف ديواناً عرفياً في عاليه ، وأمر بالقبض على عدد من كبار رجالات القوم من مسلمين ومسيحيين وأخذ يحاكمهم بتهمة التآمر على سلامة الدولة العثمانية والاتصال بالدول الأجنبية ، وكان ممن قبض عليهم الأمير عمر بن الأمير عبد القادر المعظم وعم الأمير سعيد ، وكان الأمير عمر في داره عندما جاءته شرذمة من الجند مع ضابط تركي وطلبت اليه بأن يهيء نفسه للسفر من دمشق الى القدس لمقابلة جمال باشا ، فشك الأمير عمر بالأمر ، وخشي ان تنتهي هذه المقابلة لشيء لايتمناه ، وصدع الأمير عمر للأمر ، وفكر بشخص يلجأ اليه ، فلم يجد خيراً من ابن أخيه الأمير سعيد ، فطلب الى الجند المرافق السماح له بدخول دار ابن اخيه وتوديعه ، فسمحوا له لانهم لايعلمون شيئاً عن نيات جمال باشا ، وانما كلفوا بمرافقة الأمير عمر من داره الى القطار الى القدس . ودخل الأمير عمر الى غرفة الامير سعيد وقال له بلهجة المضطرب : « ياابن اخي ! لقد طلبني جمال باشا للسفر اليه في القدس وأخاف على نفسي من هذه المقابلة . فما رأيك ؟ وهل يمكنك ان تعرف سبب هذا الطلب ..

فاجاب الأمير سعيد : « إبق في داري الآن ، وأنا سأذهب تواً الى والي دمشق

واستجلية الموقف ، وأنت هنا في مأمن ، لان الاتراك يقدرون مركزي ولن يهاجموا داري ، او يحاولوا اخراج لاجيء اليها »

وبادر الامير سعيد الى الوالي الذي قال انه لايعلم مافي مكنون جمال باشا ، وكل مايعرفه ان أوامر جمال جاءته تكلفه بارسال الامير عمر الى القدس حالا ومحروساً بحراسة شديدة ، ولكنه يتمنى ان لايكون عليه بأس من مقابلة جمال... وعاد الامير الى داره وهو مزمع على منع عمه من السفر ، مهما كلف الامر ، لكنه لم يجد عمه في داره ، فقد غادرها قبل ان يعود الامير سعيد من مقابلته للوالي . ولكن ذلك لم يمنع الامير سعيد ان يتابع وساطته في سبيل عمه ، فهيأ نفسه ، وفي اليوم التالي كان في محطة الحجاز بدمشق ، يركب نفس القطار الذي يقل عمه الأمير عمر.

وفي القدس قابل الأمير سعيد جمالاً وقال له :

« بلغني أنك طلبت عمي لمقابلتك ، فهل يمكن ان اعلم السبب في ذلك ، وهل قام بعمل أثار ظنونكم ؟ »

جمال : « نعم ، وأصبح عمك موقوفاً الآن .. »

الأمير سعيد : « وهل يمكن أن أعرف سبب توقيفه ؟ »

جمال : « نعم ! ثبت لدينا أن عمك يسعى لهدم كيان الدولة العثمانية ، وسيحال مع صحبه الى الديوان العرفي في عاليه . »

الأمير : « ولكن عمي بريء مما تنسبه اليه ، وهو مخلص لها اخلاصي لها . »

جمال : « لانغتر بالظواهر ، فالتهمة ثابتة على عمك »

الأمير : « وهل يمكنني أن أطلع على فحوى هذه التهمة ؟ »

جمال : « بالاختصار ، كان عمك واسطة تعارف شكري العسلي ، وعبدالوهاب الانكليزي مع قنصل فرنسا ، وهذان الشخصان يحاولان الاتفاق مع فرنسا عدوتنا ضدنا »

الأمير : « ولو فرضنا جدلاً ان هذا أمر واقعي ، فهل جزاء رجل عرّف شخصاً على آخر ، ان يتهم بالخيانة ويحال للمحاكمة ؟ »

جمال : « ليس أمر هـــذا التعارف مسألة عادية فان لهـا مابعدها وما تخفيه من بواطن الامور . »

الأمير : « لاياحضرة الباشا ؟ حتى ولو كان الامر كما تقولون ؛ فان الدولة لاتزال في حرب مع أعدائها ، ولم تخسر شيئاً بعـــد ، ومن الحكمة جذب قلوب السكان بالعفو عن مسيئهم ؛ حتى يشعر بالرحمة فيعود الى رشده ويخدم الدولة جهده »

جمال : « ولكن عمك وصحبه ليسوا من هؤلاء ، ثم أنت من أنت حتى تسألني وتطلب العفو عن مجرمين خونة ؟ »

الأمير : « ألم أكن مخلصاً للدولة في جميع ظروفها ؟ أتنكر مساعي في خدمتها دون أن أطلب منكم جزاءً ولاشكوراً ، وإني فعلت مافعلت ابتغاء وجه الله ، ونصيحتي اليوم ليست من باب القرابة التي تربطني مع عمي ، وانما من باب مصلحة الدولة ايضاً لان المحاكمة في الديوان العرفي والقتل في مثل هذه الظروف التي تجتازها الدولة أمر لايكون سليم النتائج ، وخاصة ان العدو على الابواب وربماهاجم أملاك الدولة في بلاد الشام ، ويجب ان يكون الاهالي معكم لا ضدكم . »

جمال : « حقاً انك من المخلصين للدولة ، واني اعترف بذلك ، وأعدك أن أحافظ على حياة عمك حتى ولو حكم بالاعدام فاني سأبدل قرار المحكمة العسكرية بالسجن الى ان ينجلي غمار الحرب ، هذا على شرط أن تبقى انت مخلصاً للدولة ، عاملا كما كنت في سبيل مصلحتها ، فعد الى دمشق وداوم على نشاطك ولا تخف على عمك »

الأمير : « أشكرك ياباشا على ذلك ، وأنا كما تعهدني مخلص كل الاخلاص لمولانا السلطان . »

جمال : « اتفقنا ، رافقتك السلامة »

ولم يبر جمال بوعده ، فقد عقدت المحكمة العسكرية في عاليه وأدانت عدداً من رجال البلاد وحكمت عليهم بالاعدام ؛ بعضهم وجاهياً وهم الذين وقعوا تحت قبضتها ، وبعضهم غيابياً وهم ممن فر عندما شعر بنيات جمال ، ولم يستطع جمال القبض عليهم .

وفي أواخر نيسان من عام ١٩١٦ ، دعا جمال الأمير سعيد لمقابلته وقال له : « هيء نفسك للسفر الى القسطنطينية خلال ثلاثة ايام »

الأمير : « ولماذا ؟ »

جمال : « الدولة بحاجه لخدماتك ، وستكلفك بمهمة خاصة ، وربما تكون وجهتك شمال أفريقيا » .

الأمير : « هل تعني أني سأقوم بمهمة في الجزائر ؟ »

جمال : « لا أعلم تماماً رأي الباب العالي وإنما أظن ذلك »

الأمير : « لكن أمري ليس بيدي ، بل بيد سيدي الوالد »

جمال : (وهو يربت على كتفه) « وأنا بمقام والدك . أسرع بتحضير حاجاتك ، ولا تنس أن تمر على (الياور) الخاص لي ، وتستلم منه كمية من المال تنفق بها في سفرك . »

وخرج الأمير سعيد وهو لايدري هل صحيح ماقاله جمال باشا أم أنها خدعة اخرى ، ولم يعرج على « غرفة الياور » لقبض المال ، فما وصل داره إلا ووجد والده قد سأله : « ماذا فعلت عند جمال باشا ؟ لقد بعث يسألني عنك ، ويقول لي : لمَ لمْ نقبض الهبة التي أعطاها لك » فيعجب الأمير سعيد من سرعة سؤال جمال عنه ومعرفة أخباره ، وأظهر لوالده تخوفه من هذه السفرة الى استانبول فقال الأمير علي باشا لابنه : « يابني محمد سعيد ! يمكنك أن ترفض السفر ويمكنك أن ترفض أوامر جمال باشا، ولو احتاج الامر للمقاومة ، فأنا وأولادي وعشيرتي ، نحميك ، ونقاتل حتى نفنى عن بكرة أبينا أو نؤيدك ؛ ولكن هذا العمل سيكون وصمة في تاريخ عائلتنا المجيد ؛ ولقد كان والدي وجدك الأمير عبد القادر العظيم ؛

قد نزل ضيفاً عند السلطان عبد المجيد خان ؛ وكفله السلطان لدى دولة فرنسا وأكرمه اكرام الملوك ؛ وقرّبه اليه ؛ ووعده والدي وجدك بالاخلاص للدولة ؛ وواجبنا نحن ان نبقى على وعد سيد عائلتنا المرحوم الأمير عبد القادر المعظم . فاتكل على الله وسافر الى الآستانة ؛ والله يكلأك ويرعاك »

وفي اليوم الثاني قبض على الأمير عبدالقادر بن الامير علي باشا ، فأسرع أخوه الامير سعيد لمقابلة جمال وقال له : « لقد كلفتني بالسفر الى استانبول ، وها أنذا أطعت أوامرك وغداً سأسافر ، وقد كنت وعدتني بتخلية سبيل عمي الامير عمر فلم تفعل ، واليوم قبض جنودك على أخي عبد القادر ، فهل نويت الشر بالعائلة كلها ؟... » فاعتذر جمال عن ذلك وقال : « انني لم آمر بالقبض على اخيك الامير عبد القادر ، وهذا خطأ من الجند » وأخذ التلفون وخبر مدير الشرطة باطلاق سراحه حالا ، فاطمأن خاطر الأمير سعيد وشكر جمالا وسافر في اليوم الثاني...

وفي الآستانة بلغ الأمير سعيد من بعض أقاربه انه في يوم ٤ أيار ، أي بعد أيام قليلة من سفره طُلب والده الأمير علي باشا لمقابلة جمال الذي قال له : « أنت ضيفي الليلة » وحجزه في قصره ، فبلغ الخبر ابنه الأمير عبد القادر ، وخشي ان يصاب ابوه بسوء ، فخرج الى الغوطة ، مع عدد من رجاله المسلحين وأعلن العصيان على الدولة ، فأرسل اليه جمال رسولا يخبره أن أقل عمل عدائي يصدر عنه يودي بحياة الوالد الأمير علي ، فرضخ الأمير عبدالقادر وعاد الى دمشق وسلم نفسه الى الشرطة مع سلاحه ، شرط ان يفك سراح أبيه ، ولكن الأب بقي في ضيافة الحكومة ، وفي اليوم الذي يلي توقيفهما أي في ٦ أيار اعدم شنقاً واحد وعشرون شخصاً من علية القوم ، سبعة منهم من دمشق وأربعة عشر من بيروت ، وهم : عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر العربي في باريز وهو من حمص ، وشفيق الزين وشكري العسلي ورشدي الشمعة وهم اعضاء في مجلس المبعوثان ومن دمشق ، وسليم الجزائري وهو ضابط باسل في الجيش التركي ، وسيف الدين الخطيب وهو قاض

من حيفا ، وعارف الشهابي وهو أمير من حاصبيا ، واحمد طبارة وهو كاتب وصاحب جريدة من بيروت وعلي عمر النشاشيبي من القدس ، ومحمد الشنطي من يافا وجورج حداد من لبنان ، وأخيراً الأمير عمر الجزائري سليل عبد القادر المشهور... وكانت التهمة الموجهة اليهم حسب البيان الذي نشر في جريدة الشرق والذي وزع على الناس بعد الاعدام بساعتين انهم اشتركوا في أعمال خيانة غايتها فصل سوريا وفلسطين والعراق عن السلطة العثمانية لتشكيل دولة مستقلة .



المنفى

آل عبد القادر في المنفى في بورسه « الاناضول »

أقام الأمير سعيد في عاصمة آل عثمان شهراً كاملاً وهو يتردد على اولي الامر، ليوجهوه الى المهمة التي سينتدبوه اليها كما قال جمال باشا له، ولكن لم يجد منهم الا التسويف والماطلة، وكان يرسل الرسالة تلو الرسالة إلى أبيه وأهله في دمشق يسألهم عن حالهم فلا يتلقى أي جواب، وصدف ان ابن مصطفى رمزي باشا ،اتى الأمير في احد شوارع العاصمة، فعزّاه بعمه الأمير عمر؛ ،أدرك الأمير ان عمه شنق مع شهداء سوريا، فأرغى وأزبد، وسار لساعته الى مركز البريد وأرسل البرقية الآتية الى جمال باشا في دمشق : « شنقت الأمير عمر، خلافاً للعهد الذي قطعته لي، هذا عار على شرفك العسكري » وعاد الى داره، ومسك قلمه وكتب مقالة شديدة اللهجة انتقد بها سياسة جمال باشا في الشام وحذر كبار الاتحاديين من خطل أعماله ومن استفزازه الشعور القومي العربي وسوء العاقبة ان لم يتلافوا هذا الامر، وكان الاتحاديون على وفاق مع جمال في سياسته التي انتهجها ،فراقبوا الأمير سعيد، ومنعوه من الكتابة واوعزوا الى الصحف العثمانية عدم نشر أي بيان للأمير، ثم صدر أمر من نظارة الحربية العثمانية بتفتيش منزل الأمير سعيد وتحري أوراقه واتهم بتهمة التآمر على سلامة الوطن العثماني، وتأليف عصابة تعمل لقلب الحكم في الدولة العثمانية ... ولم يعثر الجنود الذين أوكل اليهم أمر تحري منزله إلا

على كتاب الشريف حسين للأمير الذي ذكرناه وعرضنا صورته الاصلية ، وبعض أسلحة شخصية يحملها الأمير عادة في أسفاره ولا تفارقه ، واعتقل الأمير الآن بحجة حمل سلاح غير مرخص ووضع في منزل « شاهين باشا » تحت الحراسة الشديدة ، وبعد ثلاثة ايام ، نقل الى بورسة منفاه الجديد ، بعد ان اعيد اليه كتاب الشريف وسلاحه بعد تشدده بطلب إعادة ذلك .

وصل الأمير سعيد بورسة ، وحنق عندما وجد أن والده الأمير علي باشا وأخاه عبد القادر وجميع افراد العائلة من رجال ونساء وأطفال قدسبقوه الى بورسة وأقاموا في قصر فخم ، وأخذ والده وأخوه يقصان عليه حوادث دمشق أثناء غيابه ، وكيف أن جمالا أجبره على ترك دمشق قبل أن يشنق الشهداء ومن بينهم عمه الأمير عمر ، وان جمالا اوقف الامير علي وابنه الأمير عبد القادر قبل ليلة تنفيذ الاعدام حتى لايقومان بحركة عدائية وربما ساروا برجالها الى ساحة الشهداء بدمشق وأنقذا الشهداء من المشنقة وبدءا حركة عصيان قوية تقضي على كل آمال جمال التي عقدها بقتله هذه النخبة الممتازة من رجال العرب مسلمين ومسيحيين ، وقالا له : إن جمالا أخذ بعد ذلك يهاجم اسرة عبد القادر العظيم ويتهمها في وطنيتها واخلاصها للدولة ، وأنهـا تعمل لحساب الدولة الافرنسية وتتقـاضى لقاء أعمـال الجاسوسية التي تقوم فيها على حساب فرنسا راتباً شهرياً ضخماً . وأن جمالا نشر مقالا بعنوان : « ان ماتتقاضاه اسرة عبد القادر من الدولة الافرنسية هو لقـاء الجاسوسية » فثارت ثائرة الأمير سعيد ، ولكن ماذا يستطيع أن يعمل وهو منفي وعائلته جميعها بعيد عن رجاله وأعوانه ، مراقب مراقبة شديدة من مفرزة كبيرة من الجند ، فاعتمد على قلمه يكتب المقالات يدحض بها اتهامات جمال . وأخـذ يكتب ويكتب معترفاً بأن آل عبد القادر يتقاضون راتباً شهرياً من الحكومة الافرنسية منذ نفي عميد الاسرة الكبير الأمير عبد القادر العظيم ، وذلك لقـاء أملاك الأمير المذكور في الجزائر ، وان ماتدفعه فرنسا عن هذه الأموال هو أقل

بكثير من نصيب العائلة من هذه الأملاك الشاسعة الغنية ، وان عائلة الأمير عبد القادر التي حاربت فرنسا ثماني عشرة عاماً كاملة لأرفع من أن تنحط الى هذا الدرك من جاسوسية وخدمة دولة اجنبية ، وأن فرنسا لأرقى من أن تطالب من اسرة شريفة عرفت بالجهاد والتقوى في أعمال دنيئة كأعمال الجاسوسية .

وكانت الأمور في الدولة العثمانية تسير من سيء الى أسوأ ؛ فان اعدام الشهداء في ٦ أيار لم يزد العرب إلاّ بغضاً بجمال والاتراك ، وان الشريف فيصل الذي كان في مزرعة آل البكري يوم الحادثة المشؤومة ، صاح صيحته الشهيرة : « طاب الموت ياعرب » وكانت اتفاقات الشريف حسين مع البريطانيين قد انتهت ، والعرب استعدوا لاعلان الثورة ، وكان جمال ينوي ان يقبض على الشريف فيصل في دمشق ، لكن الأخير استطاع ان يخدع جمالا وأن يغادر دمشق دون ان يتعرض له احد بسوء ، ولحق الشريف فيصل بأخيـه الشريف علي وبدت بوادر الثورة ... فرغبت حكومة الاتحاديين التساهل قليلا ، والمحافظة على اخلاص البقية الباقية من رعاياها دون ان تدفعهم الشدة الى الاشتراك بالثورة العربية أو الارتماء بأحضان دول الحلفاء ... وكان الأمير سعيد احد اولئك الذين مازالوا على اخلاصهم للسلطان والدولة ؛ رغم ماأصابه من ابعادونفي ، وما أصاب عمه من قتل ، وعائلته من تشريد ، فنقل الأمير سعيد الى الآستانة بعد شهرين قضاهما في بورسه ، وجاءه مدير الشرطة العام في العاصمة التركية « احمد بك » وأخذ يحادثه ويلاطفه ويقول له : « يجب ان تنسى جميع ماحصل ، والعفو من شيم الكرام ، وأنت أمير من نسل الأمراء ، ولقد صفح جدك عن فرنسا التي حاربته كثيراً ، والدولة بحاجة الى اخلاص رعيتها ، وها هو ذا جمال باشا قد جاء العاصمة وأمره أنور باشا ان يحسن معاملة اسرتكم ، ويعتمد عليها ، وغداً ستجتمع مع جمال باشا وتسامحه وتتصالح معه ، وتعود الى دمشق مع اسرتك وتبقى وفياً للدولة » فأجابه الأمير سعيد على الفور : « لايمكنني وأنا من نسل الامراء ، أن أمد يدي لمصافحة سفاح سوريا الذي قتل ابرياءها ظلماً وعدواناً » .

وعبثاً حاول احمد بك اقناع الأمير سعيد بالصلح . وقدوصلت الاخبار للأمير سعيد وهو في الآستانة أن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي البارزين اجتمعوا بجمال باشا وأنبوه على عمله المخزي في دمشق وبيروت في ٦ أيار واتخذوا قراراً باصدار العفو عن المبعدين السياسيين حتى لاينضموا الى الثورة العربية التي ستندلع من الحجاز حتماً ، وتركوا لجمال باشا أمر اعلان ذلك وتطبيقه بصفته المسؤول عن سوريا ، فرفض جمال باشا قرار زملائه قائلاً : « ان هذا العفو الذي ترغبون ان يكون في سوريا ولبنان يحد من نفوذي وأنا لاأقبله ، بل يجب أن أسير في سياسة العنف والشدة الى النهاية حتى يخضع العرب بالقوة لارادتي ... » فكتب الأمير سعيد كتاباً وزع نسخاً منه على جميع نظار أي وزراء الدولة العثمانية ، يستصوب فيه رأي اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بالعفو عن المبعدين العرب ، وينتقد فيه تعنت جمال باشا وطغيانه وظلمه ، ويأخذ مسؤولية عودة المبعدين على عاتقه ويقول للنظار : « إذا حدث أي شيء مما يعكر صفو الأمن الداخلي أو الاتصال بالأجنبي من قبل زعماء العرب بعد عودة المبعدين ، فأني أنا المسؤول عن ذلك ؛ وآخذ الامر على عاتقي ، وأتبرع لأن أكون رهينة لدى الدولة العثمانية في استانبول مقابل تأكيدي باخلاص الرعية العرب وهدوء المبعدين اذا عادوا الى بلادهم ... » وبنفس الوقت كتب كتاباً الى جمال باشا باللغة التركية ندد فيه بسياسته ، وأنهى الكتاب ببيتين من الشعر العربي هما :

إذا سست قوماً فاجعل العدل بينهم ... وبينك تأمن كلما تتخوف

وإن خفت من أهواء قوم تشتتاً ... فبالجود فاجمع بينهم يتآلفوا

وما كان من جمال باشا إلا أن أرسل برقية الى انور باشا يطلب فيها القاء القبض على الأمير سعيد واحضاره مخفوراً الى دمشق ليحاكم في الديوان العرفي بعاليه كما حوكم الشهداء من قبل ، وقبض على الأمير سعيد ، واوقف ثلاثة ايام بلياليها في غرفة مظلمة لايرى فيها أحداً ولا يراه أحد ، ثم اطلق سراحه ، لأن أولي الأمر

في العاصمة التركية عدلوا عن رأيهم وعن اطاعة اوامر رقيه جمال الى انور باشا وبلغوا الأمير سعيداً انه هو واسرة الامير عبد القادر العظيم جميعها احرار طلقاء يمكنهم مغادرة المنفى في بورسة والعودة الى مقرهم في دمشق ، ومما يذكر في هذه المناسبة ان الأديب المرحوم معروف الارناؤوط زار الأمير في منفاه في استانبول ومدحه بقصيدة منها هذه الأبيات :

هاكم رسمي ومن يعرفه	يعرف السمي الذي لم يغلب
فهو تذكار حياة تعبت	في سبيل المجد أوفي تعب
لم يعقها عائق عن عمل	فسمت فوق مقام الشهب
نشرت مبدأها بين الورى	فسرى كالبدر وسط الغيهب



علم الحسين

استبطأ الأمير عبد القادر أخاه في الاستانة وخشي ان يكون اصابه مكروه ، وغافل الرقباء والحراس ، وفر من بورسة ، وقطع الاناضول وبلاد الشام على فرسه وكان يرغب ان يثير الأهالي ضد جمال باشا فيما لو اصيب اخوه الأمير سعيد بسوء ، ولكنه علم أن أخاه في مأمن في الاستانة وأن الدولة العلية سمحت لاسرة عبد القادر العظيم أن تغادر منفاها وتعود الى الشام . فيمم الأمير عبد القادر الشاب وجهه شطر الحجاز كعبة آمال المسلمين . وفي مكة المكرمة تعرف بالشريف حسين ، وكانت الثورة العربية قد اعلنت وزعماء العرب بايعوا الشريف حسين على الموت في سبيل الدعوة العربية ونادوا به ملكاً على العرب ، فبايعه الأمير عبد القادر ، وتطوع ان يعود الى دمشق لقتل جمال باشا بنفسه ، وكان الأمير عبد القادر يحقد على جمال لقتله عمه الأمير عمر ، وايقافه والده الأمير علي باشا ، ونفيه الاسرة جميعها الى بورسة ، وقبل ان يغادر الأمير عبد القادر مكة المكرمة ، حضر موسم الحج ، وكان موسماً مزدحماً كثير الحجاج من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وأخرج الحسين علماً وصلى عليه اربعون الف مسلم من الحجاج ، وطاف بالعلم سبع مرات حول الكعبة ، ثم سلمه للأمير عبد القادر ليرفعه على سراي دمشق باسم الحسين ملك العرب

وقد جاء في جريدة البيرق البيروتية في عددها ٩٨٤ وتاريخ ١٩ تموز ١٩٣٢ وصف لرحلة الأمير عبد القادر الى الحجاز من مقال بتوقيع الامير محمد سعيد، نقتطف منه مايلي :

« وفي الحقيقة ان الخدمة الجليلة التي قام بها الشهيد عبد القادر نحو الوطن سوف تقدرها الاجيال المقبلة حق قدرها ويدونها التاريخ في أمجد صفحة من صفحاته بمداد الفخر والاعجاب ، وقد كان هذا الشهيد السبب في تأخير احتلال سوريا مدة سنة ، وإذا علم الناس بان الاحتلال كان مقرراً لسوريا وليس هنالك معاهدة يستند عليها ، كما صرح لي الأمير فيصل بنفسه في وهيد ، لعرفوا عندئذ مقدار الخدمة التي أداها الشهيد لوطنه . ومما يدل على شدة تعلقه بالله وفرط اخلاصه لوطنه وامته انه حينما فر من بروسه مقر منفى عائلته وقطع تلك المسافة الشاسعة الى ان وصل الى مكة بقي متنكراً عن الناس لابساً النعل الحجازي والثوب الأبيض البسيط حتى تمكن من القيام بشعائر الحج خير قيام لايشغله من مشاغل الدنيا وسفاسفها شاغل . ولما علم ملك العرب الحسين بن علي بمقدمه نصب له مضرباً الى جانب مضاربه وخطب في السوريين قائلا : « هذا أمير من امرائكم ، وزعيم من زعمائكم ، تعرض لأشد الأخطار رغبة بأداء الفريضة وحباً بخدمة بلاده وامته وهو يتوارى عن الناس لكي يكون عمله خالصاً لله وحده فعليكم أن تقتدوا به وتسيروا في أثره » ثم أمر بتسليمه علم القيادة الذي جاء ذكره وطلب منه الذهاب للعقبة ليكون الى جانب نجله الأمير فيصل . » أ هـ

واجتمع الأمير عبد القادر في العقبة بالأمير فيصل قائد الجيش العربي ، فأكرمه فيصل كما أكرم جميع قادة العرب ومشايخها وزعمائها ، وكان لورنس يرافق الأمير فيصل ، ويدبر الخطط الحربية ، ويقدم الذهب الوهاج الى الأمير فيصل ليوزعه على القبائل العربية دون ما حساب .. وسار لورنس والأمير عبد القادر الى الازرق ، وطلب لورنس من الأمير عبد القادر ان يسير برجاله وقد اصبحت تحف به ثلة من المتطوعين الذين اعجبوا ببطولته وشهامته ، وان ينسف الجسر الحديدي في وادي خالد قرب تل شهاب ، فأبى عبد القادر وقال : « إن مهمتي أنا هي قتل جمال باشا الذي شنق أحرار العرب وأبرياءها ، وهزىء بعائلتنا وكرامتها

وأهانها بشنق الأمير عمر ، أما نسف جسر حديدي يسبب قطع خط الرجعة على آلاف من الجيوش المسلمة التابعة للدولة العثمانية فليس من الايمان في شيء ، فهم مسلمون قبل أن يكونوا أتراكاً ، وهم عرب على الغالب ، وقد حاربوا الى جانب تركيا لانها كانت هي صاحبة البلاد ، واليوم عندما يطالب اليهم الانضمام الى جيوش الثورة العربية فلا يرفضون ، ولا يجوز لي أن أعمل على ايقاعهم اسرى في أيديكم أو على قتلهم برصاصكم... » ومن هنا نقم لورنس على الأمير عبد القادر وأضمر له ولاسرته الشر ، وترك الأمير عبد القادر لورنس غاضباً ، وسار برجاله نحو دمشق فلما وصل جبل الدروز اتصل بزعمائها ورفع علم الحسين الذي كان معه ، وكان ذلك اخلاصاً منه للحسين الملك الجديد على العرب ، وان خالف أوامر حليفه لورنس الانكليزي الذي لاينظر الى المسلمين على اختلاف قومياتهم نظرة المتعصبين من المسلمين الذين لايفرقون في المعاملة بين تركي وعربي والباني وشركسي وكردي وو.. ورفع الأمير عبد القادر ذلك العلم طوال طريقه من جبل الدروز حتى دمشق ، ولما وصل قرية العائلة الخاصة القريبة من المرج بجوار دمشق وهي « قرحتة » رفع العلم على الدار ، وأقام في مزرعة العائلة وأرسل خبراً الى تحسين بك والي دمشق يعلمه بقدومه ويطلب اليه مقابلته . وتحت جناح الليل ، اجتمع الأمير عبد القادر مع تحسين بك في مكان ما في قلب دمشق وطلب اليه باسمه وباسم الملك حسين العفو عن جميع المحكومين واطلاق سراح جميع المسجونين... ثم عفت الدولة عن الأمير عبد القادر ، ونزل في دمشق ، واحتفظ بعلم الحسين في دار الأب الذي أدركته الوفاة في العاصمة التركية قبل ان يعود من منفاه الى دمشق[1] ، وبقي العلم

---

(١) كان لوفاة الامير علي باشا والد الاميرين سعيد وعبد القادر رنة حزن وأسى عمت البلاد ورثاه الشعراء . ومن بديع ماقيل في رثائه القصيدة التي القاها علامة الشام فارس الخوري على ضريحه وقد نشرتها مؤخراً جريدة « الفطرة » التي تصدر في بوينس أيرس في الارجنتين في عددها الصادر يوم الجمعة في ١٩ جمادي الاولى ١٣٦٨ هـ و ١٨ آذار ١٩٤٩ رقم ٢٨٨٢ وهي :

محفوظاً في دار الاسرة القادرية في حي العمارة الى يوم اعلان استقلال سوريا ولبنان

سئمنا في الدنا العيش الوبيلا ... وصرنا نشتهي عنها رحيلا
فنحن نطوف منها في فلاة ... أضعنا في غياهبها الدليلا
تولتنا الفجائع والدواهي ... وذقنا الصبر حتى الصبر عيلا
وبالغ دهرنا فيما تجنى ... وأعمل بيننا العضب الصقيلا
وحيلت بهجة الدنيا كدورا ... وصار الظبي في الأنظار غولا
تنوعت المصائب والرزايا ... وجر الدهر احداثا نكولا
وأفجعها بهذا اليوم خطب ... يعز على الليالي ان يزولا
ونائبة بجانب ماأثارت ... جسيم النائبات غدا ضئيلا
خبا في معشر الأنوار نور ... صبيح ماحسبت له أفولا
ومال بمعقل الأمجاد ركن ... فكاد المجد معه أن يميلا
وفل من العلى والعزم سيف ... ظباة قط ما عرفت فلولا
قضى الحسني نبراس المعالي ... وزاد غليل حسرتنا غليلا
أمير الفضل والهيجا علي ... سليل الفخر أعلاه سليلا
سليل في المناقب هاشمي ... ألا حي الأرومة والأصولا
أسيل عليه أدمعنا غزاراً ... خليق بالمدامع أن تسيلا
أضعنا سيداً لما نعوه ... أطار نعيه منا العقولا
نعي زعزع العزمات حتى ... كأن القوم قد شربوا الشمولا
أبي الداء الضعيف فهد جسماً ... قوياً طالما هد الخيولا
وغيب همة كالنار شبا ... ترد الطرف مبهوراً كليلا
نودع فيها محمدة السجايا ... وحسن الخلق والشرف الأثيلا
نودع فيها أفضل من عرفنا ... جواداً باسلاً حراً أصيلا
وأخلاقاً كماء المزن طهراً ... وصدقاً مارأيت له مثيلا
وفيٌّ والمروءة فيه طبع ... على العزمات يأبى أن يحولا ←

عن الدولة العثمانية وقبل دخول جيوش الحلفاء دمشق بيوم كامل .

باقبال الخطوط يرى عزيزاً ولا يرتد إن ولت ذليلا
يقابل خصمه من غير كبر ويصبر في الأسى صبراً جميـلا
عليه انة في الشرق تغـدو بارض الغرب ان سمعت عويلا
وتبكيه البلاد ومن عليهـا وتندبه وترثيه طويـلا
وتذكر من محاسنه اللواتي يدوم حديثهـا جيلاً فجيلا
ربوع الشام قد خسرت عميداً تلوب ولا ترى عنه بديلا
فكيف أقول في خطب أليم وجرح القلب يمنع أن أقولا
اعزي آله غر أعالي ويحمل معهم الرزء الثقيـلا
أطوف بتربة ضمت علاه وحازت في الثرى قدراً جليلا

فارس الخوري



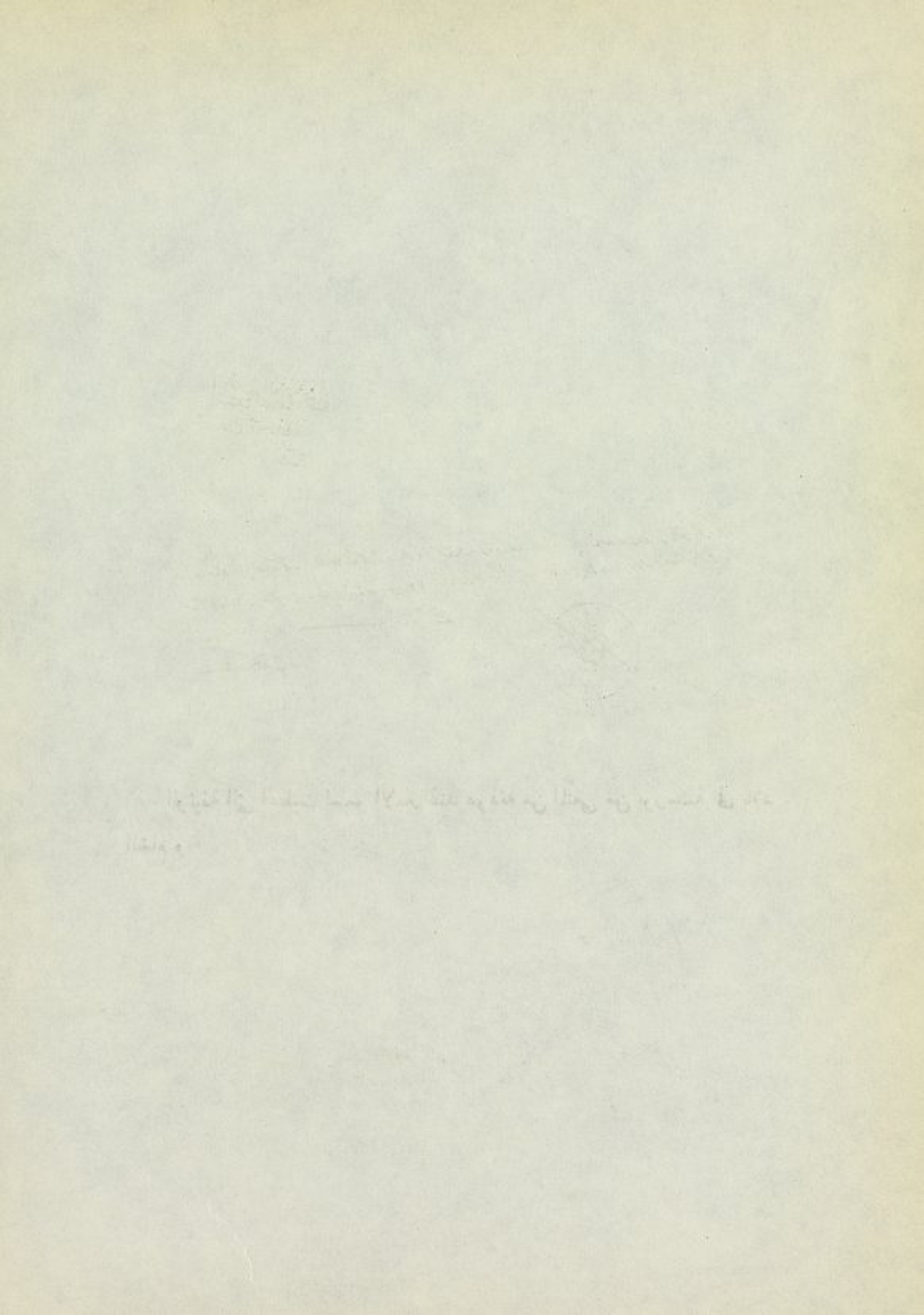
وهيد

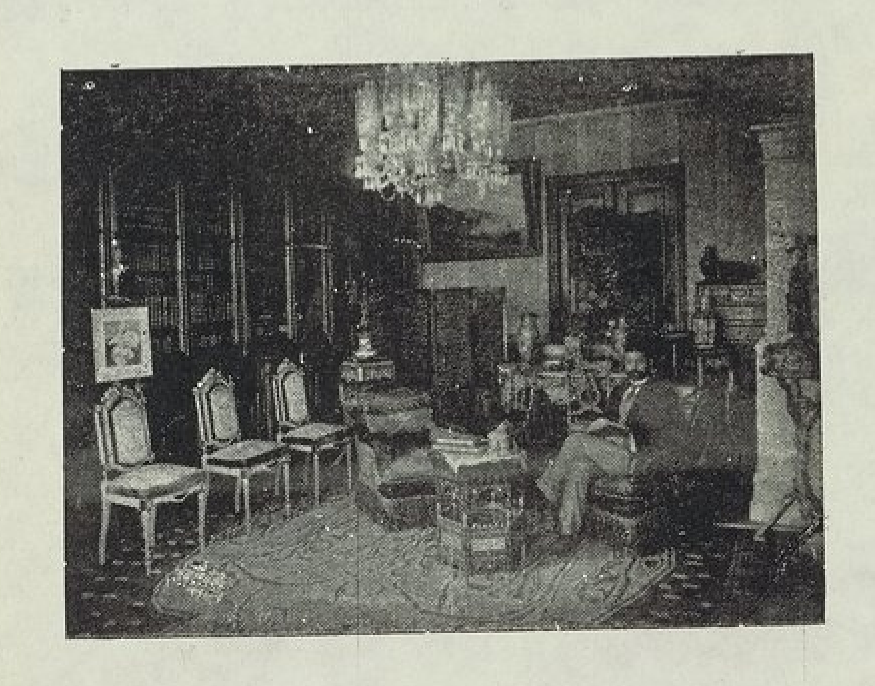
افرج عن الأمير سعيد واسرة عبد القادر وسمح لها بالعودة الى دمشق ،ولكن الاسرة خسرت قبل ان تبرح تركيا الى سوريا ، الأمير علي باشا ، والد الأميرين سعيد وعبد القادر ؛ وكان اول عمل قام به الأمير سعيد في دمشق ان طالب باعادة بناء مقام الأمير عبد القادر العظيم بجانب مقام الشيخ محي الدين الأكبر ، فلقد دفن هذا الأمير العظيم الذي حمل لواء الجهاد في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي بجانب الشيخ محي الدين العربي وبني له مقام يليق بجهاده واخلاصه للاسلام ،ولكن جمال باشا عندما صب جام غضبه على أولاده وأحفاده ، وشنق الأمير عمر ، ونفى الأمير علي باشا واولاده ، جاء إلى هذا المقام وهدمه ، مقلداً بذلك أبا العباس السفاح عندما هدم قبور الخلفاء الأمويين ، وأخرج جثثهم منها ، وكأن جمال باشا وقد لقب بالسفاح أبي إلا أن يبرهن على أنه السفاح حقاً ، وأنه لا يرعى حرمة للأحياء ولا للأموات ، وبسعي من الأمير سعيد أعادت الحكومة التركية في دمشق بناء الضريح باحتفال تاريخي باهر ، اشترك فيه جمهور غفير من الشعب الدمشقي وتليت فيه الخطب والقصائد وكان مما قيل قصيدة للشيخ محمد ابو سعود مراد جاء فيها :

سلام من الرحمن رب المحامد	على روح مولانا الامير المجاهد
سلام على سلطان اهل حقائق	دقائقها تروي ظما كل وارد
سلام على من كان في دولة الهدى	لاعلاء دين الله أعظم قائد

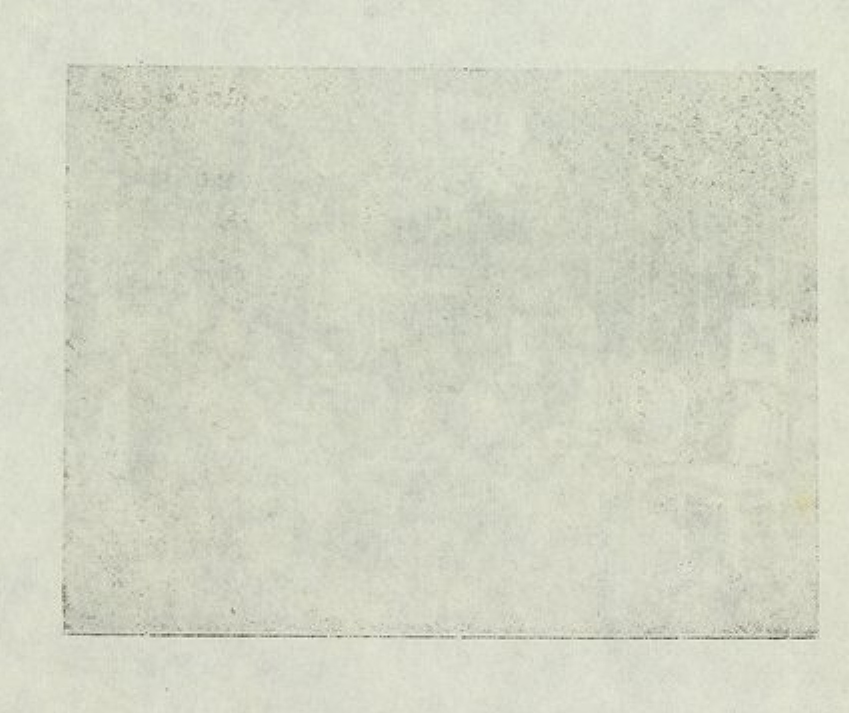
استانبول ولايتي

الوثيقة التي اعطيت لسمو الامير عند عودته من المنفى من بورســة الى بلاد الشام .





الامير سعيد في دار الصدر الاعظم جواد باشا مدة منفاه في استانبول



على بطل الاسلام معلى مناره ومورد أهل الظلم شر الموارد
على السيد المفضال والسند الذي بذا القبر أضحى خير ثاوٍ وراقد
هو الغوث (عبد القادر) الحسن الجزا ري العارف المشهور غيث الفوائد
بديع المعاني في بيان معارف رفيع المقامات الصحيح العقائد
كريم عظيم كان اكثر رحمة على البؤساء من كل أم ووالد
سرى من ديار الغرب للشرق فازدهى وأكرم أهل الشام منه بماجد
وكم مدّ للأمداد كفاً سخية وكم أسعد الأسعاد منه بساعد
وكم عم أهل العلم من بركاته ومنها عليهم عاد أحسن عائد
ومرقده في الصالحية نيرٌ يزار لدفع الكرب عند الشدائد
تسامى بختم الأولياء جواره وسر بمحيي الدين في ذي المعاهد
مواقفه تحكي فتوحاته ولم يكن دونه يوماً بتلك المشاهد
أمير ولكن الملوك تهابه وكل لوافي فضله غير جاحد
وقد عطروا الدنيا بطيب مديحه فمن أنا ياصاحي إذن وقصائدي
أما قرروا تكريمه حرمة له لدى غائب بين البرايا وشاهد
أما زينوا فيه تواريخ عصرهم وقد سطروها من مداد المحامد
ومنا اناس قرروا درس قبره ولم أدرِ مافي درسه من فوائد
لقد كان جرماً ظاهراً هدم قبره لمضمر سوء في زمان منا كد
وما كان عن جهل بمقدار قدره فليس بخاف عن مسود وسائد
ولكن هو الحق المشين لأهله يسوق الفتى للاعتدا والمكايد
وما أجدر الانسان بالرشد والحجا وهل مثل ذي عقل لدينا وراشد
وما ساء هذا الفرد هدم ضريحه نعم ساء جمع المسلمين الاماجد
ما ضره هدم الضريح ففضله عليه دليل وهو أعظم شاهد
وقد حفظ التاريخ ترجمة له حلت مع ذكر طيب النشر خالد
وليس على فضل الفتى القبر شاهد ولو صيغ من أعلى وأغلى الفرائد

ولما رأى سلطاننا هـــدم قبره | خلاف الوفا والعدل ضد العوائد
وعاراً على الاسلام بثقل حمـــله | ويستاء من جرائه كل واحد
وحان على كنز ثمين غدا به | وجوهرة عزت على كل ناقد
أراد رعاه الله ارجاعه لنـــا | بأحسن مما كان رغم الحواسد
وقد شيد بالاخلاص فازداد رفعة | غدا دون مرقاها مراقي الفراقد
وقد لاح مسطوراً ببعض مآثر | له ليس تندى عاليات المقاصـــد
فهنيء بذا آل الأمير ذوي العلى | وبشر بمجلى نوره كل وافد
وقل أيها الزوار بشري فأرخوا | بطيب حمد عاد خير المراقد
٢٣ ٥٢ ٧٥ ٨١٠ ٣٧٦
فلا زال معموراً بغيث مراحم | وبالعفو معمور البنا والقواعد
ودام يحيي روح من حل روضة | سلام من الرحمن رب المحامد

الشيخ ابو سعود مراد — في ٢ ايلول سنة ١٣٣٦

وما كاد الأمير يستقر بدمشق ويتصل بأنصاره وأعوانه ، وكانت الثورة العربية قد اندلعت وتراجع الترك عن الجزيرة العربية واصبحت فلسطين وسوريا مهددة ، واسندت قيادة الجيش في فلسطين الى جمال باشا المرسيني المعروف باسم جمال باشا الصغير تمييزاً له عن جمـال السفاح ، حتى رأت الدولة العثمانية حاجتها الى الأمير شديدة ، ليقوم بمهمة الوسيط بينها وبين الأمير فيصل قائد جيوش الثورة العربية فلقد حاولت تركيا ان تسترضي فيصلا ، بعـد ان سبق السيف العذل ، وبعد أن أطلق والده الملك حسين أول رصاصة إيذاناً بثورة العرب الكبرى وبعد ماتقدمت جيوش الثورة العربية وضيقت على الاتراك في الحجاز ، وضربت سكة حديد الحجاز وتقدمت شمالا وأخذت تستعد لدخول سوريا في الوقت الذي أصر فيه الملك حسين على الحلفاء تسيير حملة الى فلسطين تساند الجيش العربي ، وكانت بريطانيا تهيء حملة الجنرال اللنبي التي حررت فلسطين عن قريب من ايدي العثمانيين ولكنها مع الاسف حررتها من حـكم ، لتكبلها بحـكم أشد وأقسى ، نعم في هذه الفترة وصلت إلى

الأمير سعيد رسالة شخصية مع موفد خاص من قبل جمال باشا المرسيني يرجوه فيها التكرم بزيارته في مقر قيادته في « السلط » في شرقي الاردن وكان ذلك في اواخر شهر تموز عام ١٩١٨ .

وقد أخذ جمال المرسيني يشرح للأمير موقف الجيوش العثمانية المتخاذل ، وقوة الأمير فيصل والجيوش العربية ، ويستفز حماسة الأمير سعيد الدينية ، ويقول له: « لقد هاجمت جيوش الأمير فيصل جيوشنا وأعملت فيها السيف ، ونحن مسلمون قبل كل شيء ، ويجب حقن دماء المسلمين ، والصلح خير الحلول بيننا ، ولقد جرت بين الأتراك والأمير فيصل مراسلات من عدة شهور لم تأت بطائل ، واني لم أجد الآن خيراً منك ، ليذهب الى فيصل ويقوم بدور الوسيط في الصلح بيننا وبينه ، وذلك لشرف عائلتك ، ولانتسابك الى الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم كانتساب الأمير فيصل ، فانتم أبناء عم ، ولمقدرتك ومقامك عند الجميع ولاخلاصك الى الخليفة العثماني وحبك لحقن دماء المسلمين ... »

فرضي الأمير سعيد هذه المهمة الخطرة ولكن المشكلة كانت كيف يستطيع الأمير سعيد اجتياز الحدود بين الجيشين التركي والعربي ، وكيف يتوصل الى الاجتماع بالأمير فيصل ... واقترح الأمير سعيد ان يتصل هو بالأمير فيصل ويستمزج رأيه بالاجتماع به وبعد الاتفاق معه سيذهب اليه ، واعجبت الفكرة جمال باشا وترك امر ذلك جميعه للأمير سعيد ... وارسل الأمير سعيد أحد رجاله الذين يعرفون البلاد معرفة تامة برسالة خاصة منه الى الأمير فيصل فجاءه الجواب :

قيادة الجيوش العربية الشمالية

ديوان الأمير

رقم ...

تاريخ ٣ - ٢ القعده ٣٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

حضرة الاخ الكريم

تلقيت كتابك وسررت على صحتك ، عسى الباري يحفظك ، ولعلمي بصفاء نيتك وخلوصك وما بيننا من الروابط الودية ، احرر لك هذا ، أولا لاعلامك عن صحتي ولله الحمد ، ثانياً لئلا تتهمني بقلة الوفاء ، وإلا ما كنت أرى لزوما للرد على كتابك لانني قد جربت أصحابك وجرت بيننا أحاديث تحريرية لم رأيت لذلك أدنى ثمرة ، وتأكدت من ذلك بأنهم يريدون المماطلة لاكتساب الفرص ليس الا .

ان كنت تريد المواجهة شخصياً فأهلا وسهلا وانني على العهد ، وان جئت لابداء بعض مايظهرونه لك ويضمرون خلافه ، فلا أرى لزوما لتعبك ، ولذلك فهنا أمرين : إن كانوا اعطوك ماتتوثق به عن صفاء نيتهم وبيدك مايثبت ذلك ، مطأطئين للحق وقابلين مايطلبونه العرب ومستقتلين من اجله ، فمرحباً بك ، وتأتي الليلة القابلة الموافق ٣ ـ ٤ القعدة ٣٣٦ وهي ليلة الاحد الموافق مساء ١٠ اغسطس افرنجي ، وفي الساعة واحدة عربي في وادي (عقيقه) الواقع جنوب سمنه القبلية ، وسيكون في ذلك المحل « فانوس » احمر مع من يلزم لخدمتكم ، فاعتمدوا عليهم وامشوا بمشورتهم . وان كانوا قد أجبروك على المجيء ولا بيدك مايطمئن به قلبك ، فأنت بمحلك والعرب وشأنهم والسلام عليكم ورحمة الله .

التوقيع : اخوك فيصل

وقدم الأمير سعيد الى الأمير فيصل كتاب جمال باشا الصغير المحرر باللغة التركية وترجمته :

« الى ذي المقام السامي :

« ارسل الى مقامكم الأمير سعيد الذي أخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة المقدسة مهمة السعي لاطفاء نار هذه الفتنة التي اتقدت بين المسلمين ، وأظن أن روح النبي

الطاهر سيرضى عن حركتي هذه واسأله تعالى أن يكلل بالتوفيق عمل الذين يحافظون على دينهم .

في ٥ آب ١٣٣٤

قائد الجيش الرابع : جمال

وكان اجتماع الأمير فيصل بالأمير سعيد في «وهيد» بحضور نوري باشا السعيد وفائز بك الغصين امين سر سمو الأمير فيصل الخاص في ذلك العهد ، واستمعوا جميعاً إلى أقوال الأمير سعيد الداعية الى احلال الوفاق بين الاتراك والعرب ، والضن بدماء المسلمين ، وكان الأمير فيصل يصر على انسحاب تركيا من البلاد العربية واعلان استقلالها استقلالا ناجزاً والاعتراف بتتويج الملك حسين ملكا عليها ، وهي نفس الاتفاقات التي كانت بين والده الشريف حسين ومكماهون البريطاني والتي قامت الثوره العربية على أساسها ، ولما كان الأمير سعيد لا يملك مثل هذه الصلاحية واعطاء مثل هذه الوعود ، هنأ الأمير فيصل على ايمانه بمستقبل العرب وعلى تشبثه باستقلال العرب ، وتمنى له التوفيق واستأذنه عائداً يحمل رسالة الأمير فيصل الجوابية الى جمال المرسيني ، وقد أملاها الأمير فيصل باللغة التركية على امين سره فائز بك الغصين وترجمتها :

« الى حضرة جمال باشا قائد الجيش الرابع :

ياحضرة القائد العام

تسلمت كتابكم المؤرخ في ٥ - ٨ - ٣٤ والذي تفضلتم بارساله مع الأمير سعيد وليس لي ماأقوله بالنسبة الى شخصكم لما أعرفه فيكم قديماً من الشعور الطيب والعواطف النبيلة التي خبرتها بالذات ولكن هذا لا يمنعني من القول بان هذه الكتب والرسائل التي لا أزال أتلقاها من وقت الى آخر واجيب عليها منذ نحو تسعة اشهر سواء من حضرتكم وسواء من غيركم من كبار القوم ليست سوى اضاعة للوقت فيما لا يفيد اذ لم أرَ فيها مايدل على روح اسلامية صحيحة وبذلك لم يبق لي أمل ما في الوفاق والاتفاق .

صورة الكتاب الذي سلمه قائد الفرقة الثانية الميرالاي شوكت الى الأمير سعيد، لتسهل له السلطات التركية مروره عبر خطوطها الحربية، لكي يتسنى له الانتقال بين المعسكرين التركي والعربي عند مقابلته للأمير فيصل.

وترجمة الكتاب هي:

قيادة الفرقة الثانية

٦٦

ان حامل هذه الوثيقة الامير سعيد بك هو ضيف القائد العام جمال باشا الصغير، ويجب القيام باجراء التسهيلات والاحترامات اللازمة له، وتقديم وسائط النقل، وتأمين مطاليبه بكل دقة.

٦ أغسطس ١٣٣٤

قائد الفرقة الثانية

الميرالاي

شوكت

قيادة
الجيوش العربية الشمالية
ديوان الامير

بسم الله الرحمن الرحيم

رقم ....
تاريخ ... ذي القعدة ٣٣٦

الحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده

حضرة الاخ الكريم

[illegible]

اخوك
فيصل

صورة زنكوغرافية عن اصل كتاب الامير فيصل للامير سعيد

قيادة
الجيوش العربية الشمالية
ديوان الامير

رقم ....
تاريخ ... ذي القعده ٣٣٦

[illegible]

فيصل

صورة زنكوغرافية لمسودة كتاب الامير فيصل الى جمال باشا

ومع ان زيارة الأمير سعيد بعثت شيئاً من الأمل في نفسي الا ان هذا لايمنعني من تنبيهكم الى ان حالتكم العامة ووضعكم العسكري صار في أقصى درجة من الخطر وستؤيد الأحداث قولي هذا الذي أقوله بلسان المسلم الخاص الصادق لابطريق التهديد، والله يعلم ان ما اكتبه اليكم بهذا الشأن مصدره الوجدان الذي يهيب بي الى نصحكم وتحذيركم .

ان العرب لايطلبون شيئاً من الترك ، إن كل مايطلبونه هو ان يعيشوا احراراً وعلى وفاق تام واتحاد معهم .

إن للعرب مطلباً صريحاً وواضحاً يلحون في تحقيقه واجابته ولا يتنازلون عنه وإني اصارحكم به وهو : « ان العرب يريدون منكم ان يكون حالهم معكم كحال بافاريا مع المانيا »

إن قبول هذا الاقتراح يربط بين قلبي الأمتين برباط متين لاتنفصم عراه كما اني أعد القبول بأقل منه جناية تجنى على هاتين الامتين الاسلاميتين فلا تجدد بعد ذلك الزمن الذين يعودون فيه الى دواوين الحرب العرفية وإلى أحكام الاعدام والشنق وإلى الفتاوي المزيفة وإلى ترديد عبارات « الأصابع الأجنبية » أوالخروج على السلطان فتجدد القلاقل والمصائب .

والخلاصة إني أختم كتابي قائلا بانني على أتم استعداد الدخول فى المفاوضات متى قبلت الحكومة التركية اقتراحي هذا مقدما احترامي اليكم . (١)

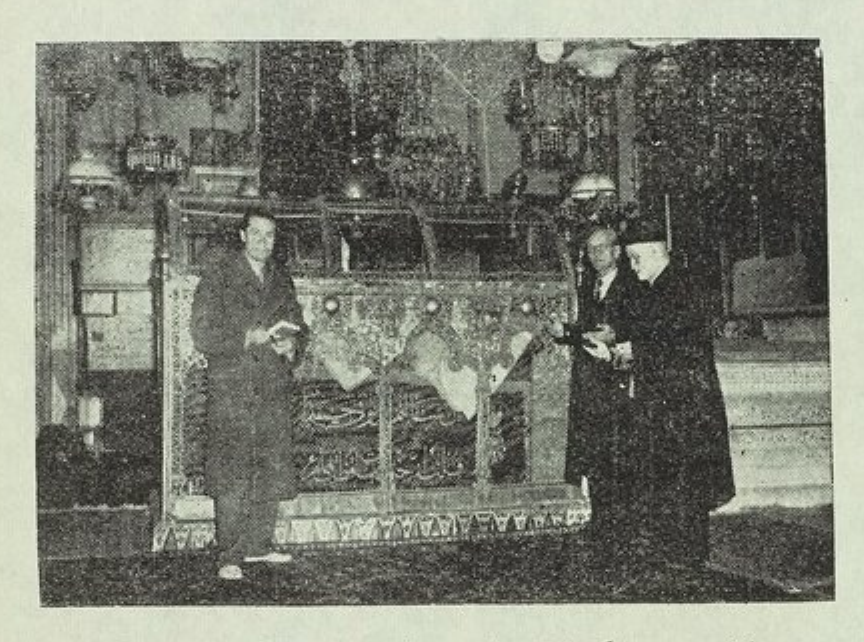
في ٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٦

فيصل

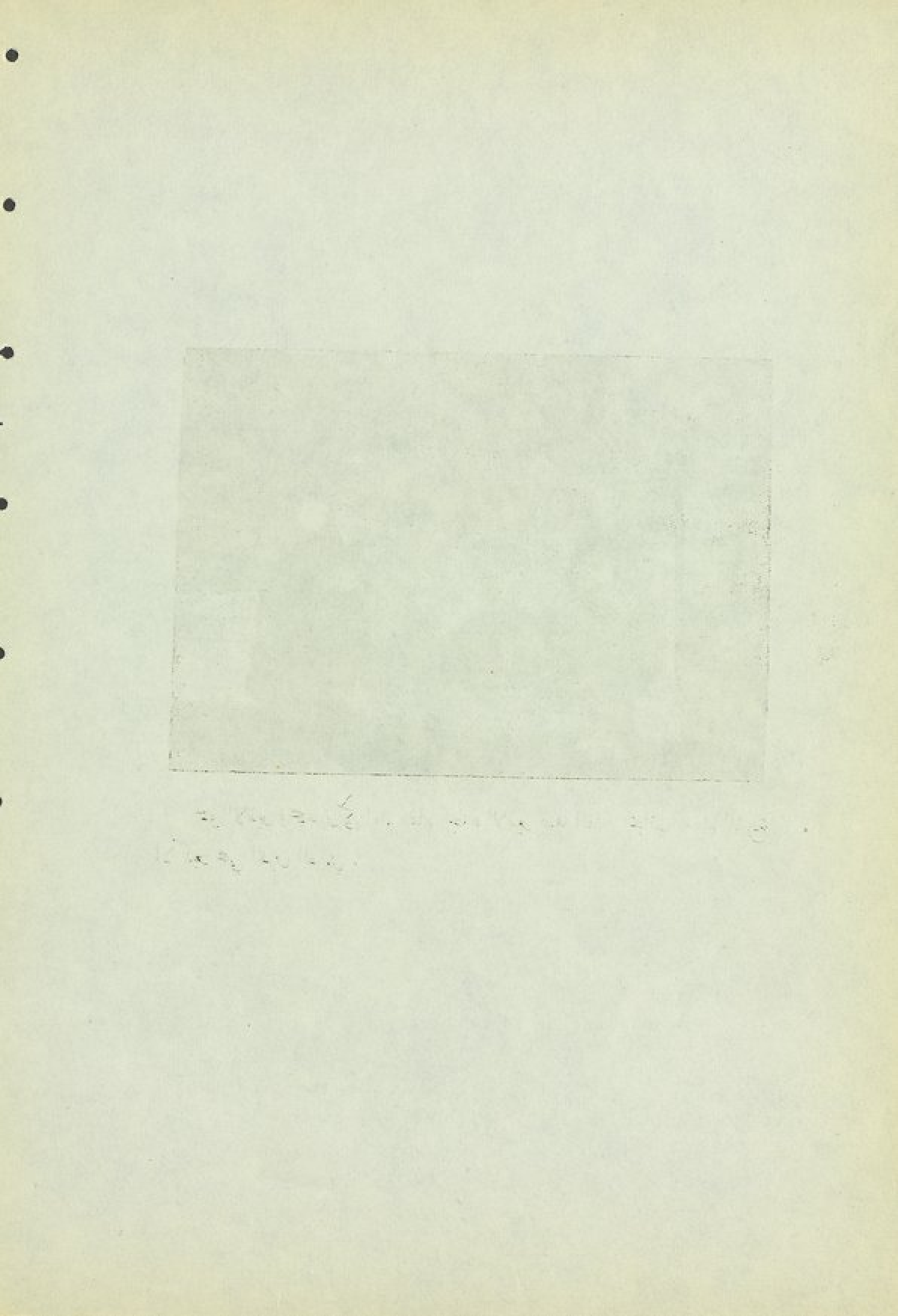
ويضيف الأمير سعيد زيادة عما ذكرناه في وصف مقابلته الأمير فيصل ماجاء في سلسلة مقالاته في جريدة الجامعة الاسلامية الذي نقتطف منه بعض فقرات وردت في عدد ٩ تموز ١٩٣٤ وهي :

---

(١) نص الكتابين نشرته جريدة الكفاح عدد ١٦٥٢ وتاريخ الخميس ٢٦ ربيع الاول ١٣٦٥ هـ و ٢٨ شباط ٩٤٦ بتوقيع الامير سعيد نفسه .



سمو الامير ومحمد تركي امام مقام جده الامير عبد القادر بجانب مقام الشيخ الاكبر محي الدين العربي .





عمان في ٢ جمادى الثاني ١٣٦٠

الموافق ٢٨ حـــزيران ١٩٤١

عزيزي واخي الأمير سعيد الجزائري

كتابي هذ اليكم من يد علي باشا العايد به وهو يحمل عني كل ما اريد ان ابلغه لشخصكم الكريم متمنيا لكم الصحة والعافيه وان معه نسخة من برقيتين بعثنا الى المراجع البريطانيه والفرنسيه وانت يا اخي اعرف وجهة نظرك من نحو وطنك ونحوي وهذا يسوق امثالي نحو الوحدة المنجيه ان شاء الله عزيزي .

كتاب الملك عبد الله ملك شرقي الاردن الى سمو الامير اثناء مفاوضات العمل في سبيل صالح العرب .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كتاب جمال باشا الصغير لتسهيل سفر الامير سعيد الى وحيد لمقابلته الملك فيصل .

«ومن ثم جلسنا نتجاذب أطراف الحديث حتى الساعة الحادية عشرة فسمعنا صوت سيارة عن بعد ولما سألت عن ذلك قيل لي ان سمو الأمير فيصل حضر قادماً من (ابي اللسن) وانه ذاهب كما قدمنا الى تفتيش الجيش وزيارة قواد الانكليز وما لبثنا حتى بشرنا بقدومه نحو الساعة الحادية عشرة ونصف زوالية ، وبعد العناق والسلام بدأنا بالحديث وسلمته كتاب جمال باشا فقرأه واكثر الامعان فيه ، وما لبث ان استأذن بالذهاب ودخل الى فرع متصل بالصيوان وهو عبارة عن خيمة صغيرة عليها منضده للكتابة ، وجلس حوله فائز بك الغصين ونوري باشا السعيد وبعد محادثة نصف ساعة على التقريب جاء الأمير وأرباب معيته وبيده كتاب يحتوي على جوابه لجمال باشا فناولني اياه قائلا : هاك جواب جمال باشا اقرأه . وبعد قراءته عرضت رأيي على الأمير بوجوب كتابة (دردنجي اردو قوماندانى جمال باشا حضر تلرينه) بدلا من (جمال باشا به) تبعاً لحسن المجاملة التي ماأنقص جمال فيها شيء . فرأى الأمير رأيي وضرب على هذه العبارة وكتب حسبما اقترحت وحينما أراد تسليم الكتاب لتبييضه التمست من الأمير أن تبقى هذه المسودة عندي كأثر تاريخي فوافقني على ذلك بعد نقلها وهكذا كان ، وبعد هذا تداولنا في الشؤون وما يجب اتخاذه من تدابير فيما اذا امتنع الترك عن الموافقة على الاستقلال وسألت الأمير عن العهود والشروط التي تقررت بينهم وبين الانكليز فيما يتعلق بسوريا وما هي الخطة التي تقررت بين الجانبين فأجابني بما يأتي حرفياً : « ليس هناك لاعهود ولا شروط يا أخي انما الذي تم القرار عليه هو اننا سنهاجم سوريا وفلسطين فكل قوة من القوى الثلاثة الانكليز والافرنسيين والعرب تسبق فتحتل بلداً تسيطر عليها الى ان تنظر الدول المتحالفة في أمرها . من اجل ذلك إذا أردتم ان تضمنوا استقلال بلادكم فلا تنتظرونا بل عندما تسمعون بتقرب الجيوش منكم اعلنوا الاستقلال ولو بتضحية اذ ربما تأخر الجيش العربي وتقدم غيره .» اهـ

وبينما كان الأمير سعيد يتناول طعام الغداء على مائدة جمال باشا الصغير في

السلط بعد ان سلمه رسالة الأمير فيصل ، جاءت رسالة سرية الى جمال باشا، فقرأها وامتقع لونه ، ونظر الى الأمير سعيد نظرة فيها كثير من الحذر والتهديد والتساؤل ... فعجب الامير سعيد وامتنع عن الطعام ، واصر على جمال باشا ان يخبره عن معنى هذه النظرة وسببها ، وما تحويه الرسالة . وبعد تردد ؛ قال جمال باشا : « انا لا اصدق كل مايقال لي ، ويجب ان اكون صريحاً معك ، هل حقيقة اتفقت مع الأمير فيصل اتفاقاً سرياً ضد الاتراك على ان تتصل بالزعماء العرب في دمشق وتعلن الثورة الداخلية ضد الاتراك وتعلن الاستقلال » فاجاب الامير سعيد : « ومن وشى لك بمثل هذا ؟ » قال : « هذه رسالة من احداعواني تعلمني ذلك ، واني بواسطته أعلم جميع حركات فيصل .. »

وكان الأمير سعيد قد أخذ يناقش جمال باشا في مستقبل البلاد العربية وموقف الاتراك من حركة العرب ؛ ويقنعه بضرورة الاتفاق مع العرب والقبول بمطالب الملك حسين جميعها وكان مما قاله له : « هل تعتقد ان باستطاعة الجيوش العثمانية الصمود امام هجمات الجيش العربي والانكليزي ؟ .. »

جمال : « لا أعتقد هذا أبداً »

الأمير : « إذن أليس من الأنسب ان تعلنوا انتم استقلال البلاد ، فتكون لكم يد بيضاء على الأهالي ، وسوف ينتهي الحرب بشكل ما ، وستبقى الملاقات بينكم وبين العرب حسنة ، ولا يشعر الاهالي بفرق بين حكومتكم والحكومة العربية المقبلة ، لانها حكومتان مسلمتان » وقبل جمال المرسيني وجهة نظر الامير سعيد وعقد هيئة اركان حربه وعرض عليهم الفكرة ووافق الجميع إلا واحد .

وكتبوا الى العاصمة التركية لأخذ موافقة اولي الشأن ، ووافق السلطان محمد رشاد ، وكتب بذلك أمراً ، ولكن طلعت وأنور وجاويد قادة الاتحاديين أهملوه ولم يرسلوه الى سوريا وكانت الحوادث تمر بسرعة ؛ ولم يجدوا الوقت الكافي لتحقيق اقتراح الأمير سعيد .

الاستقلال

أعلن الشريف حسين الثورة العربية في ١٠ حزيران عام ١٩١٦ وتشكلت أول وزارة عربية في ٥ تشرين الاول ١٩١٦ برئاسة الشيخ عبد الله سراج ، وبايع العرب الحسين ملكاً في اليوم التالي ، وبدأت القوات العربية القتال يوم اعلان الثورة وأجبرت حاميات جدة ومكة التركية على الاستسلام في شهر تموز ، وسقطت الطائف في ٢٢ ايلول على يد الامير عبد الله ، واشتبك الامير فيصل قائد الجيش العربي الشمالي مع الاتراك في سواحل الحجاز الشمالية وثبت أمام ينبع ثبات الشجعان وصد هجوماً تركياً كاد أن يقضي عليه ، وتقدم بعدها الى الشمال فاحتل العقبة ثم حاصر معان في شرقي الاردن ، وانتصر على الجيش الرابع العثماني ، وكان الجنرال اللنبي يحتل المدن الفلسطينية ويتقدم شمالا ، وفي اوائل ايلول ١٩١٨ نقل فيصل قاعدة أعماله الى مدينة الازرق الى الشرق من عمان ، وقطع الخط الحديدي بين درعا وعمان ؛ ثم سار الى درعا واحتلها في ٢٧ ايلول في وقت قام به اللنبي بهجوم ساحق على الجيش السابع والثامن التركيين وكان يقود الاول مصطفى كمال باشا الذي صار فيما بعد اتاتورك ، والجيش الثاني جواد باشا ، ونجح الهجوم نجاحاً منقطع النظير ، فقد زال الجيش الثامن من الوجود بقتل وأسر جميع أفراده خلا وحدة المانية وشرذمة من فلوله — كما يقول انطونيوس — أما الجيش السابع فلم ينج منه الا بعض الطوابير المتفرقة التي تمكنت من الانسحاب نحو درعا(١)

---

(١) يقظة العرب : ٢٦٤

وأخلى الاتراك عمان ومعان ، وتقدم الجيش العربي من درعا ، فاحتل عودة ابو تايه ونوري الشعلان ازرع ، وخربة الغزالة ، وأسروا ٣٥٠٠ أسيراً تركياً في يومين فقط .

وكانت هذه الأخبار ترد الى دمشق بصورة مجسمة ، ويشاهد الاهلون ارتباك الاتراك وحلفاءهم الالمان فيها ، وكان الناس ينتظرون سقوط مدينتهم على أيدي الجيوش العربية أو الجيش البريطاني بين لحظة واخرى ، وكان جمال باشا المرسيني بعد ان عاد الأمير سعيد من اجتماع وهيد وأيقن ان الصلح مع الأمير فيصل ضرب من المحال ، وكلف الأمير سعيد بان يؤلف من المغاربة الموجودين في سوريا قوة محلية لحفظ الأمن ولمساعدة الجيوش التركية وأعطى قيادة هذه القوة إلى أخيه الأمير عبد القادر الذي سار بها الى ازرع ليحول دون اتصال الجيش العربي بجبل الدروز وبقي أفراد من هذه القوة المغربية حول الأمير سعيد بدمشق ، ولكن الترك لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام زحف العرب والانكليز فتراجعوا الى الكسوة (١) وأخلوا حوران وجبل الدروز وتراجع الأمير عبد القادر الى دمشق ، وكانت المدينة في حالة فوضى مستحكمة ، فقناصل الدول تغادر المدينة ، والناس في هرج ومرج ، والشائعات تبلبل الأفكار ، والوالي العثماني لم يعرف مقره فقد فر في الظلام من المدينة ؛ وخشي عقلاء القوم من حدوث فتنة في المدينة ، وانتشار الغوغاء واللصوص في اسواق المدينة للسلب والنهب ، وسارع الأمير سعيد الى مقابلة جمال باشا المرسيني الذي كان قد نقل مركزه اليها وقال له : « ان المدينة اصبحت في حالة فوضى لامثيل لها ، والناس لايعرفون مايعملون ؛ وأخشى وقوع حوادث تسيء الى سمعة المدينة ؛ واني كجدي عبد القادر العظيم في عام ١٨٦٠ أرغب في المحافظة على الأرواح ؛ ومنع الاعتداء على النساء والأطفال ، والوقوف دون النهب والسلب ، وما قد يحدث بين الطوائف المختلفة من اناس لاخلاق لهم... »

جمال : « كيف العمل ؟ والجيش مشغول بالانسحاب والأعداء يتقدمون نحو

---

(١) من مقال لجميل بيهم : المنار الجديد العدد ١٣

العاصمة والاشاعات ان طلائعهم اصبحت في الغوطة وسيدخلون المدينة بين لحظة واخرى .

الأمير : « أرى ان نجمع زعماء الأحياء ليتفقوا على المحافظة على أحيائهم ويؤلفوا حرساً وطنياً كما كان الحال في فرانسا وقت الثورة الافرنسية وبذلك نأمن وقوع حوادث محلية أهلية » .

جمال : « حسناً ، افعل مابدا لك » .

ولكن اجتماع زعماء الأحياء لم يثمر ثمرته المطلوبة ، فعاد الأمير سعيد الى جمال باشا وقال له :

« لم يعد وقت للتفكير والاستشارة ، فالبلد في غليان شديد ، ومروجو الاشاعات يقلقون الناس ويعملون على اشعال نار الفتنة . وأنا سأقوم بتوزيع رجالي المغاربة على مداخل الحارات لأمنع التعدي وأحفظ النظام » .

جمال : « حسناً ! وأرجو أن يحافظ رجالك علي أنا أيضاً » .

الأمير : « بما أني سآخذ على عاتقي حماية المدينة فاني أرى أن تأمر الفرق الباقية لديك بالانسحاب من دمشق هي والجنود الالمانية الموجودة فيها بعدداتهم وأسلحتهم حتى لايقع أي اشتباك بين جيشكم المنسحب ، وجيوش الثورة العربية الظافرة وحتى تسلم المدينة من الخراب والتدمير .. » .

جمال : « رأيك في مكانه ، وسأنفذ اقتراحك » . واعتبر الأمير سعيد نفسه مسؤولا عن دمشق فأسرع الى داره في حي العمارة وجمع أصحابه وأنصاره ، وأصدر لهم الاوامر المختلفة بالمحافظة على الأمن والنظام وتسهيل انسحاب الجيش التركي المنهزم .

وكان ممن تطوع للمحافظة على الأمن والنظام في المدينة ومنع التعدي وحماية الأقليات الدينية العالم الجليل الشيخ رضا العطار [1] ، وكان ضابطاً في الجيش التركي .

---

(١) والشيخ رضا العطار كان قاضي دمشق ومن كبار العلماء وله في مدح الامير فيما بعد قصائد كثيرة منها قوله :ـــ

ثم قصد الى دار الحكومة أمام ضفة بردى يحف به ثلاثة من اسرته الأمراء وهم الأمير جعفر والأمير محمد الباقي والأمير حسن ، يحمل كل منهم بندقية ، ووجد على طول الطريق بين السراي واوتيل فيكتوريا صفين من خيالة الدرك المحلي بقيادة امين بك الطرابلسي ، فجاوزهم ، وصعد درج السراي ولم يجد فيها أحداً ودخل غرفة الوالي - وهي غرفة الوزراء حالياً - وجلس في كرسيه ، يأمر وينهي .

وشعر الأمير سعيد ان واجبه الآن ان ينفذ ماوعد به الشريف حسين يوم اجتمع به في مكة اثناء رحلته الاولى في طليعة الحرب ، وأن يحقق وعد أخيه الأمير عبد القادر للشريف حسين عندما استلم منه العلم وحمله الى دمشق واحتفظ به في الدار ؛ فنادى صديقيه المرحوم معروف الارناؤوط والمرحوم عثمان قاسم وقال لهما : « اذهبا الى بيتنا في حي العمارة وأتياني بعلم الحسين بن علي الذي احضره اخي عبد القادر معه من مكة » ، وما هي الا لحظات حتى شهدت دمشق موكباً من المواكب الضخمة يذكرنا بمواكب الحج العظيمة وسفر المحمل الشريف ، فقد حمل

فليحي ذو المجد التليد	بدر الجزائر السعيد
حفيد عبد القادر	الملك يانعم الحفيد
نجل عليّ من على	فوق الثريا منزلا
كم من كروب قد جلا	بالسيف والرأي السديد
فللجزائر اعتماد	عليه في الدهم الشداد
أميرنا العالي العماد	مليكنا السامي السعيد
سليل خير الانبياء	لواؤه أعلى لواء
في الشرق والغرب سواء	عن حبه حاشا نحيد
لازال في أوج العلا	دوماً بعز واعتلى
مالاح نجم أو تلى	تال لقرآن مجيد

« الشيخ رضا العطار »

الارناؤوط وعثمان العلم العربي ، وركبا في عربة الأمير سعيد الخاصة ، وسار أمامهما عدد من المتطوعين المغاربة يحمون العلم بسلاحهم ودمائهم ؛ وهرع السكان من كل حدب وصوب ينشدون ويهزجون أهازيج الفرح والسرور ، ويعلنون ولاءهم لهذا العلم العربي ، وانضمامهم الى الثورة العربية ، وما كاد يصل الى ساحة الشهداء (المرجة) حتى أصبح الوفاً مؤلفة ، وخرج الأمير سعيد من السراي ، واستلم العلم بيده ورفعه على سراي الحكومة بين الهتافات والتحيات... ووصل في هذه الاثناء كثيرون من علية القوم وفي طليعتهم المرحوم شكري باشا الايوبي وفارس بك الخوري ، فطلب الأمير سعيد من فارس بك ان يخطب بالناس خطبة تليق بالمقام ، وكان فارس بك منذ نعومة أظفاره لسناً ، له تأثير عظيم على سامعيه ، وكان لخطبته صدى حسن عند الدمشقيين عامة ، وصفقوا اليه وهتفوا حتى وصلت أصواتهم عنان السماء ، وأقبل الأمير عبد القادر بثلاثين مغربياً من رجاله الذين كانوا يحرسون المدينة ويحافظون على أمنها ، ودخل على أخيه الأمير سعيد ، فوجده قد أعلن استقلال سوريا ولبنان وانتهاء الحكم العثماني قبل وصول الجيوش العربية الى دمشق وأخذ يدير الأمور موقتاً حتى يصل الأمير فيصل ويستلم زمام الامور نيابة عن والده الملك حسين ابن علي ، فخرج الأمير عبد القادر ، وكان الى جانب شجاعته وفروسيته خطيباً جذاب الحديث ، ودعا الشعب الى الهدوء وأخبره أنه أخذ على عاتقه حفظ الأمن في المدينة. ونترك وصف هذه الساعة التاريخية الى جريدة المقتبس التي كان يصدرها العلامة الجليل الاستاذ محمد كرد علي ، التي صدرت ذلك اليوم ووصفت رفع علم الحسين على السرايا وبيان الأمير سعيد وصف شاهد عيان ، قالت المقتبس :

« كان يوم امس الاثنين سنة ١٩١٨ تشرين الاول من الأيام الكبرى في تاريخ الناطقين بالضاد عامة وقاطني حاضرة الشام خاصة ؛ خفق فيه العلم العربي ذو الالوان الاربعة على الرؤوس بعد ان طال العهد ونسيت الامة العربية ان الدهر ربما أعادها سيرتها الأولى وبدلها من عسرها يسراً ومن يأسها أملا .

الخفق على محمد بن عبد الله القرشي النبي الامين ومثل للبشر عظمة الامويين ببياضك والعباسيين بسوادك واليمانيين باحمرارك وجيش النبوة باخضرارك واتل على الناس :

إنا لقوم أبت أخلاقنا شرفاً ... أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا
بيض صنائعنا ، سود وقائعنا ... خضر مرابعنا ، حمر مواضينا

واليك المنشور الذي اذاعه رئيس الحكومة التي اعلنت الاستقلال في ذلك اليوم الاغر .

احتفل امس في ساحة المرجة احتفال باهر بتعليق العلم العربي حضره علماء المدينة وسراتها بصورة لم يسبق له مثيل في دمشق يوم ١٣ ايلول ٩١٨ حتى عد هـذا اليوم من ايام اعيـاد العرب عامة والدمشقيين خاصه وعلى الاثر نشر المنشور الآتي :

الى الامة العربية

إن العلم العربي في هذه الساعة يخفق فوق دار الحكومة العربية المقدسة ، فسلام أيها العلم .

ان الواجب المقدس الذي يحتم قضاؤه عليكم في هذه الساعة التاريخية هو ان تحتفظوا بالتؤدة والسكون ، وان تؤيدوا القوة الساهرة على تأييد استقلالكم وكيانكم العنصري تأييداً يظهركم بمظهر الشعب الجدير بالحياة . ان ساعة العمل قد حانت وهذا الملك الفسيح الذي خفقت فوقه راية التمدن العربي القديم قد أخذ ينتعش بعد رقدته وخموده ، فيجب ان تقدسوا هذه البرهة التي أنقذتكم وبددت ظلمات اليأس الذي كان مستولياً عليكم وعلى قلوبكم وافئدتكم ، حافظوا على السكون ولئن قمتم بذلك فانكم تبرهنون على انكم جديرون بالاستقلال والتحرير . ان في البيوت والمنازل والخدور نسوة أقعدهن العجز وأمسك بهن الخور عن العمل فالى هذا السرب المطمئن نلفت أنظاركم والى الكهول والاطفال والنساء .

إن فيكم دم محمد ﷺ ودم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم فلا يجب ان تأتوا بعمل يخل براحة النساء ، وأنتم أبناء هذا الوطن المقدس الذين يفدون الرخيص والغالي في سبيل صون نسائه وأطفاله وكهوله ، إن القوة الساهرة على حفظ هذه البلاد تجازي بكل شدة وقسوة الذين تجاسرون على الاخلال بمصالح الامة العربية والاعتداء على حقوق أفرادها ، إن اطلاق الرصاص والظهور بمظهر المعادي المقلق يوجب الاخلال بالأمن العام ، فالذين يتظاهرون بمثل هذا المظهر المستنكر الذي لايتفق مع صالح الأمة العربية المستقلة نلحق بهم العقاب المؤلم ويعتبرون أعداء ألداء للوطن العربي وللأمة العربية ولسلطان العرب .

تعالوا معنا إلى حفظ كيان هذا الملك العربي ببذل دمائكم وأموالكم وتضحية المآرب الشخصية والمنافع الذاتية .

أيها العرب الذين استبشروا بهذا الفجر المؤتلق ، فجر الاستقلال ، لاباعث الى القلق ، اذا كان هنالك خوف فان اليد التي أنيط بها حفظ هذه المرابع الجميلة يد قادرة فعالة تستطيع ان تقوم بواجباتها خير قيام ، ساعدونا وساعدوا العرب يارجال العرب وشبان العرب وعشاق تمدن العرب »

رئيس الحكومة العربية السورية : الأمير محمد سعيد الحسني الجزائري

قائد فرسان العرب : الأمير عبد القادر الحسني الجزائري (١)

وجدير بنا ان نترك وصف ماحدث بعد ذلك الى بعض الكتاب فلقد جاء في جريدة الكفاح بتوقيع « مؤرخ » وصف لحالة دمشق عقب ذلك وأعمال الأمير سعيد قال :

« وعهد الأمير بعد اتمام هذا العمل الجبار الى المرحوم معروف الارناؤوط والسيد عثمان قاسم باحتلال دار البرق وارسال البرقيات الى كافة انحاء البلاد وخاصة الى لبنان فارسل البرقية التي كانت السبب في كتابة هذا المقال وهذا نصها :

---

(١) نقلت هذا المقال جريدة النضال في عددها ١٢٢٦ الصادر في يوم الجمعة ١٠ صفر ١٣٦٣ الموافق ٤ شباط ١٩٤٤ .

بيروت - عمر بك الداعوق

« بناء على انسحاب الحكومة التركية فقد تأسست الحكومة العربية الهاشمية على دعائم الشرف ، طمنوا الجميع . واعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية »

محمد سعيد

وظل الأمير يعمل طول الليل في السراي بتأسيس الحكومة وكلما أتته شرذمة من رجاله يرسلها الى المدينة لتوطيد الأمن .

وقد أساء شكري باشا الأيوبي باخلاء سراح المساجين و كان الأمير سعيد عينه قائداً للمركز .

ونحو الساعة الرابعة بعد العصر دوى الرصاص حول السراي وما جاورها فسئل الأمير عن الخبر فقيل له ان الشعب يشتبك بمعركة مع قوة من الترك والالمان دخلوا البلد. فنزل حالا الى ساحة المرجة فرأى أن الجيش الداخل انقسم الى نصفين : نصف بجهة السنجقدار والقسم الآخر بساحة المرجة وقد اشتبك مع الشعب المتحمس بمعركة لعلع بها الرصاص ، فأنذر الأمير الشعب بترك الجيش عربياً للتقاليد والعادات بعدم الاعتداء على جيش مني بالهزيمة ، ولكن الشعب كان بحالة من الهياج جعلت صياح الأمير يذهب أدراج الرياح ، فلم يثن ذلك الأمير وهو معروف بالشجاعة والنجدة فدخل تحت الرصاص بين المقاتلين شاهراً سيفه ، ولما عرفه القوم كفوا ولم يكن معه سوى ابن مظفر فأصابته رصاصة في رجله وصعد على درج العمود الأثري القائم وسط الساحة وأخذ يشير للجيش بالسير الى الأمام ثم نزل وسار أمامهم حتى أوصلهم إلى طريق دمر -بيروت .

وقبل منتصف الليل دخلت فرقة اخرى تحمل خزينة الجيش الرابع فأنذرها الأمير بالتسليم فسلمت ،وسيقت الى القشلة، بعد أن أدخل صناديق الخزينة الى غرفة قائد الدرك ، وأمر الضابط القائم على هذه الخزنة مع شكري بك التاجي وكان رفيق الأمير بالمنفى ، بحساب ماتحويه تلك الصناديق من نقود ذهبية وأوراق نقدية وتسليمها

بالارقام وأقام عليها حارساً من رجاله والمرحوم ممدوح العابد مفوض الشرطة وهكذا بقي الأمير يشتغل حتى أتم تأليف الحكومة الوطنية ، كما عين سعدي بك كحالة قائداً للدرك والسيد امين التميمي مديراً للامن العام والف مجلساً للشورى قوامه الاستاذ فارس بك الخوري وشاكر بك الحنبلي والامير طاهر الجزائري وغيرهم .

انه بعد تسليمات الدولة التركية فقد تأسست الحكومة العربية على دعائم الشرف طمنوا العموم واعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية

رئيس الحكومة العربية الموقتة
الامير سعيد

صورة عن البرقية التي ارسلت الى جميع المدن السورية واللبنانية تنوه باعلان الاستقلال

وفي الصباح الباكر كلف شاكر بك الحنبلي كتابة كتابين أحدهما للقائد الانكليزي والآخر للقائد الافرنسي لابلاغهما تأسيس الحكومة الوطنية ولانذارهما بعدم جواز دخول الجنود الاجنبية قبل اشعار هذه الحكومة علماً منه بان جيش الأمير فيصل لايزال بعيداً عن الشام وكان هو على علم وعلى اتفاق مع الأمير فيصل (في وَهيدْ) غربي معان يوم اجتمع اليه فطلب منه فيصل ان يعلن هذا الاستقلال وان لاينتظر قدومه خشية أن تسبقه جيوش الاحتلال .

وما طلع فجر ١ تشرين الاول سنة ٩١٨ حتى أحاطت بالمدينة جنود جيش يتجاوز العشرة آلاف جندي من جنود الانكليز يتقدمه ماجور اوسترالي اسمه « الماجور آرتر اولدن » فارسل الأمير رسولا قابل القائد وسأله عن مطلبه فقال انه يقصد

احتلال فندق فيكتوريا ورفع العلم الانكليزي عليه بصفته أول جيش دخل ، كما كان مقرراً بين الجيش الانكليزي والجيش الافرنسي وقيادة الجيوش الشمالية التابعة للجنرال أللنبي .

وأمر الرسول بالرجوع ثانياً وابلاغ قائد الحملة ودعوته الى الحضور الى قيادته فأخذت القائد ريبة لعلمه ان جمال الصغير كان بالأمس يسكن الفندق ولم يعلم ماحصل في الليل وما طال تردده بل ذهب الى دار الحكومة ولما وصل الى رتاج السراي خاطب السيد عبد الحليم اللاذقي بالانكليزية قائلا : اذا كان هنالك حاكم فليـأت لعندي. وبقي حذراً وسلاحه بيده مع زملائه الضباط . وخرج الأمير الى الشرفة وخاطب القائد باللغة الانكليزية قائلا له : « اصعد الى هنا ، هنا الأمير سعيد» فبغت القائد حينما سمع صوتاً جهورياً بالانكليزية يملي عليه أمراً عسكرياً فما وسعه الا الامتثال .

ولما دخل الميجر الاسترالي « آرثر اولدن » قائد الطليعة الانكليزية التي دخلت دمشق ، على الأمير في دار الحكومة بادره قائلا بواسطة الترجمان :

« ولماذا دخلت شاهراً السلاح لمدينة مستقلة لها نظامها ولها تقاليدها . »

فرد الضابط قائلا: « دخلت بأمر من الجنرال اللنبي لمدينة يحكمها الترك لاحتلالها احتلالاً عسكرياً .»

ورد عليه الأمير :

« اذاً ينبغي ان تعلم أنك على خطأ بقولك أنك دخلت لاحتلال مدينة تركية وما كان ينبغي لك ان تدخل وجيشك شاهرين سلاحكم لمدينة تملك حريتها واستقلالها ولولا أنكم تنتسبون الى حكومة حليفة لما اعتبرناكم ضيوفاً عندنا وطلبنا اليكم ان تنسحبوا »

وازاء هذا الأمر الواقع لم يسع الماجور إلا أن يتراجع بنظام مجيباً الأمير بقوله :

« ياسمو الأمير ! نحن لم ندخل الى العاصمة بقصد الاساءة الى حكومة حليفة لنا بل جئنا لنضع هذا الجيش تحت تصرفكم لتتمكنوا بواسطته من توطيد الأمن بعاصمة خلت من رجال الأمن والشرطة . »

فقال الأمير :

ان الأمن في البلاد كان بيد أهل البلاد في زمن الترك وأنت حينما دخلت بجيشك هل وجدت غير الهدوء والسكينة والنظام ولما كان عندنا من الجند المتطوع ورجال الدرك والشرطة ما يخولنا امدادكم بصفتكم حلفاء فنحن على استعداد لمعونتكم . »

فانحنى الماجور وشكر الأمير ورجاه ان يمده بادلاء يذهبون معه لجهة باب شرقي حيث لا يزال في تلك الجهة فلول من بقايا الجيش التركي والالماني .

ونادى الأمير الاميرالاي زكي بك المظمة وعزت بك الخوجة وأمرهما بالذهاب مع الجيش الانكليزي شرط ان لا يتدخلا بأي أمر حين لقاء فلول الترك بل عليهما أن يأمراهم بالتسليم باسم الحكومة الموقتة . وهكذا حصل ، وقد سلم الترك لمجرد اخطارهم بالتسليم من قبل الضابطين العربيين .

وما كادت هذه الحادثة تنتهي حتى دخل الشريف ناصر ووراءه ٣٠ فارساً فدخل على سمو الأمير وسلم عليه ولما علم انه رسول الأمير فيصل وأول طليعة له ؛ ولما كان الأمير ليس ممن يشتغلون في خدمة الوطن لطمع وهو يعلم من أخلاق الناس ما يعلم وخوفاً من ان يحدث تصدع في الصفوف من أجل هذا الكرسي الموقت الذي شغله بكل جرأة ودراية ، كلف الشريف ناصر باشغال كرسي الحكم ريثما يصل الأمير فيصل ، فاعتذر هذا بمرضه الشديد وقال له : يا للعجب أما تلقيت كتاباً من الأمير يرجوك فيه ادارة الحكم حتى حضوره ؟ فاجابه بالنفي .

وقد ظهر ان الأمير فيصل بعث بكتاب مع فائز بك الغصين سلمه بالفعل لجماعة زعمت انها من أنصاره ، وقد لعبت أيدي الطامعين بهذه الرسالة ؛ وبناء على اصرار الشريف ناصر بعدم امكانه اشغال هذا المنصب لمرضه كلفه الأمير سعيد ان يكتب له تفويضاً بادارة الحكومة حتى حضور الامير فيصل ، فكتب ما يلي :

« ان سمو الأمير سعيد مكلف بادارة الحكومة لحين حضور مولانا سمو الامير فيصل »

الامضاء : ناصر بن راضي رسول الأمير

وأمر الأمير سعيد جماعته باستصحاب الشريف ناصر وجنوده الى داره الدامرة بالمارة والقيام بضيافتهم .

وما كاد يذهب الشريف الى دار الامارة حتى دخل لورانس ومن ورائه جموع العرب وفي مقدمتهم سلطان باشا الاطرش والشيخ عوده ابو تايه وغيرهم ـ فتقدم الأمير من لورانس وأبلغه بأن هنا حكومة موقتة أعلنها باسم المغفور له جلالة الملك حسين وأراه العلم الذي أتى به الشهيد الأمير عبد القادر أخوه من الحجاز ، فدخل لورانس البهو الكبير وهناك أخذ ذوو المطامع بدس الدسائس بحق الامراء الذين كان لهم الفضل بتوطيد الامن ولولا قيامهم بعملهم المفاجىء واعلانهم الاستقلال لنسف الالمان العاصمة بالمدافع التي وضعت بجبل قاسيون وأعدت لنسفها في آخر لحظة ، ولكن اعلان الاستقلال بتلك الجرأة أوقعهم بتلاش فلم يتمكنوا من غايتهم وان تمكنوا من احراق الذخائر ونسف باركات السيارات في أطراف المدينة ولا تزال آثارها باقية الى الآن في باب شرقي والقدم .

ولما كانت هنالك خطة مدبرة ترمي الى وضع الحكومة تحت نفوذ الانكليز الذين لم يمكنهم الامراء الجزائريون من بغيتهم فقد أصبح وجود الامراء على رأس الحكم عقبة كأداء في سبيل المطامع الانكليزية وتأميناً لهذه الغاية فقد دس بعضهم على الامراء بانهم يتآمرون مع الشريف ناصر الذي اخذوه الى دارهم مع ان دعوتهم للشريف ناصر صدرت بناء على حقوق الضيافة ؛ ولصلة الامير سعيد بالامير فيصل صلة سبقت كل هذه الحوادث يوم مقابلته له في ٦ آب بعقرجيوشه (بوهيد) غربي معان وما قام الامير سعيد بكل هذه الحركات إلا لانقاذ البلاد من الفوضى وابعاد مطامع الاجانب عنها وكان يصرف على الفرقة المتطوعة من ماله الخاص مما لم يسبق له نظير بين الذين اشتغلوا بالسياسة ومع ذلك فقد تنحى عن الحكم بملء ارادته واختياره تاركاً الحكم لذوي المطامع وان في ما كتبه (لورانس) في كتابه ثورة في الصحراء لأعظم دليل على صدق مانقول .

وبينما كان الشريف ناصر على وشك الجلوس على مائدة الامير سعيد جاءه رسول « لورانس » وهمس في أذن الامير طاهر بوجوب ذهاب الشريف ناصر مع احد الامراء الى مقر الحكومة حالا فرفض الامير عبد القادر أخ الامير سعيد الطلب وأجاب الرسول بان الشريف يحضر بعد تناول الطعام . وما ذهب الرسول الا وعود بسرعة البرق لينذر الشريف ناصر بهذا القول :

« اذا لم يحضر الشريف ناصر الى دار الحكومة سريعا فـأني أحضره بالقوة والقي القبض على الامير سعيد . »

وامتنع الشريف ناصر عن الطعام حينما سمع هـذا الانذار وطلب من الامير سعيد ان يرافقه قائلا : ربما حدث حادث مهم أو جاء خبر من الجبهة يدعوالى ذهابنا حالا

جرت هذه الحوادث بينما كان الامير منهمـكا في الاشراف على الموائد لمئات الضيوف والحاضرين وقد تصرف عبد القادر دون علم أخيه وكان رحمه الله كثير الاعتداد بنفسه وله مواقف مع لورانس يوم كلفه بنسف الجسور فوق نهر اليرموك للخط الحجازي .

وما كادت السيارة تذهب حتى انتخب عبد القادر عشرة من فرسانه المغـاربة يحملون البنادق الالمانية والسيوف فوصل الى السراي حينما كان أخاه يهم بدخولها وكان في الصالون الكبير رضا باشـا الركابي ونوري الشعلان وشكري الايوبي ورضا العابد واحمد قدري وشريف الكيلاني وغيرهم وكانت الجنود الانـكليزية التي لحقت بلورانس تحيط بالسراي مع فرسان من جماعة نوري الشعلان .

ولما دخل عبد القادر كان الشرر يتطاير من بين عينيه لما سمع من تهديد لورانس وهو البطل الوحيد الذي لم يقهر لورانس في الصحراء سواه ، وقد اعترف لورانس بشجاعته في كتابه ثورة في الصحراء وعد ذلك تعصبا دينيا ، والحقيقة ما ذلك الا تعصب وطني جعل مصلحة الوطن فوق كل اعتبار ، وقد ضحى الاميران بالمال والروح في هذا السبيل دون ان تبدو منها بادرة طمع بالمناصب والمقـامات ومع ذلك كانا عرضة

الدسائس التي كادت تودي بحياتهما معا لولا مشيئة القدر ان تحصر الكارثة بواحد منها .

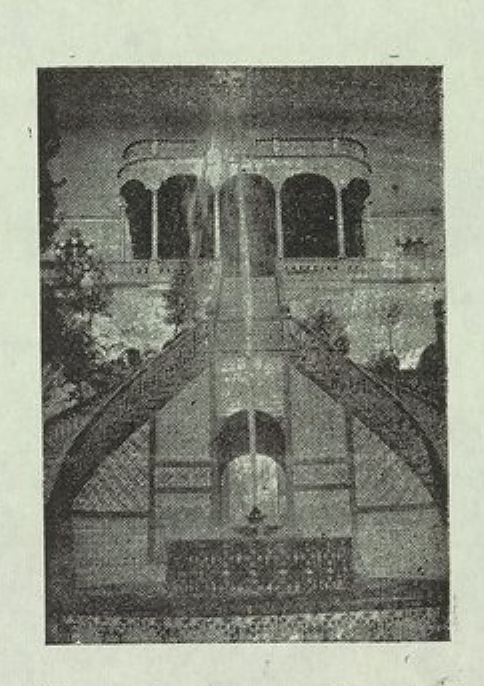
واقترب عبد القادر من أخيه وهمس باذنه مستأذناً بالكلام فنصحه بالصبر ولكن هذا ، وكان الغضب آخذاً منه كل مأخذ ،قال بصوت جهوري مخاطبا لورنس :

«يالورنس! أنت تهدد أبناء عبد القادر بالسجن مساقاً بدسائس الدساسين وأنت تعلم اننا لانخشى الحبس ولا الموت بل لانخشى أحداً سوى الله نحن أتينا بهذا العلم الذي يخفق منذ الامس وقد استلمته من الملك الحسين بن علي بعد ان طيف به حول الكعبة وصلى عليه اربعون الف مسلم وهو يخفق الآن فوق الرؤوس ولن يتزحزح من مكانه حتى تراق آخر نقطة من دمائنا حسبنا أننا أعلنا الاستقلال ووطدنا الأمن وإذا كان الخصام على هذا الكرسي فنحن نرفسه بأرجلنا .»

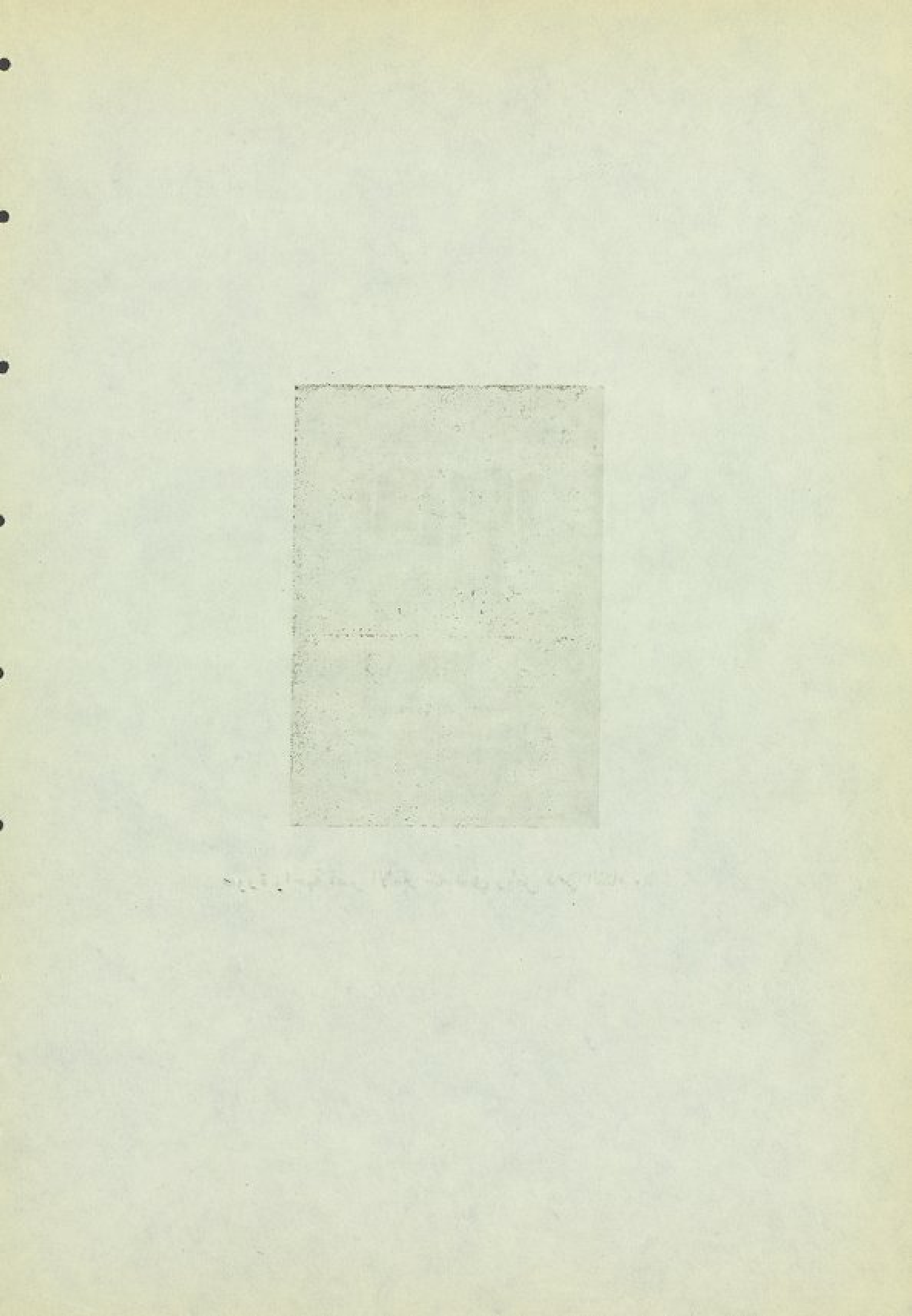
وما كاد يصل الى هنا ، وكان لورانس قابعاً لايتكلم ، بل يحمر ويصفر ، حتى وقف الدكتور احمد قدري فقال لعبد القادر : هناك سوء تفاهم ياأمير . فغضب وقال : لايجوز لاحد ان يقاطعني ، واستمر في كلامه وتقدم من شكري الايوبي ووضع يده على رأسه وقال له : ألم نتعاهد ياشكري على خدمة هذه البلاد بكل تضحية دون ان نطمع بالمناصب ؟ فقال : نعم . فقال استلموا اذاً هذا الكرسي الموقت ، المفروض علينا المحافظة على هذا العلم وعلى استقلال البلاد .

وما كاد يصل الى هذا الحد حتى قام أخاه وقد عرف بالدسيسة ، فقبله وقال له : حقاً ياأخي أنت جدير بأن تكون حفيداً لعبد القادر . والتفت للحاضرين وقال لهم : اني تنازلت مقدما عن هذا المنصب للشريف ناصر ولم أشغله الا للضرورة المحتمة وها أنا نزولا على رأي أخي أتنازل عنه باختياري .

ثم انصرف الاميران ، وما كاد يصلان الى دارهما حتى اضطرب حبل الامن واضطرت السلطة لوضع المدافع الرشاشة على منافذ الطرق لان العشائر من عربان ودروز كانت تملأ المدينة وما أوقفها عن الاصطدام ببعضها سوى الخضوع للامراء



صورة واجهة قصر الامير سعيد في رياض دمر الغناء .



À

HAUT COMMISSARIAT
DE LA
RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

DÉLÉGATION AUPRÈS
DE L'ETAT DE SYRIE

Damas, le 19 Juin 1931

No. /SP/2

Objet :

A.S. de

Emir,

Je suis heureux de vous adresser mes vifs remerciements pour les heureux et importants résultats obtenus par la conférence arbitrale qui s'est réunie à Abou Douhour sous votre présidence.- Ainsi que tous mes collaborateurs, j'ai hautement apprécié la compétence, le tact et la fermeté des arbitres qui, malgré toutes les difficultés, ont permis de régler le conflit survenu entre les tribus Maoualis et Haddidines.

Je vous prie d'agréer, émir, l'assurance de ma considération la plus distinguée./.

[signature]

Emir SAID DJEZAIRLI
DAMAS

صورة كتاب المسيو سالوميان المندوب الافرنسي بدمشق ، للامير سعيد يتضمن شكره على الجهود التي بذلها في سبيل اصلاح ذات البين بين قبائل الحديديين والموالي

الذين لهم محبتهم وشعبيتهم في نفوس أبناء الوطن ولانهم كانوا يبذلون المال بكرم في سبيل اعلاء كلمة الوطن ومر بعض فرسان الدروز متجهين نحو حي الاكراد لغزوه لثأر قديم عليه ، فما كان من وطنية عبد القادر الا ان ركب فرسه بمفرده وأرجعهم من قرب جادة الشيخ محي الدين رضي الله عنه وكان هذا خاتمة أعمالهم.

وامتلأت الساحات بالقتلى ويربو عددها على الثلاثين ملقاة جثثهم بالطرق ورفعت أعواد المشانق أمام دار الحكومة للارهاب ولولا خوف هياج الشعب لرفع على أعواد المشانق كثير من الابرياء وإنما رعاية لهذه الظروف نضرب صفحاً عن التفصيل وفيه ماتبيض له وجوه وتسود له وجوه . » ا ـ هـ



في بيروت

بمناسبة وفاة الوجيه اللبناني عمر الداعوق وتشييع جنازته رسمياً من قبل الحكومة اللبنانية ، أخذت الصحف تنشر الأخبار عن أول حكومة عربية بعد خروج الاتراك بناء على برقية الامير سعيد الى رئيس بلدية بيروت عمر الداعوق ورئاسة الداعوق لهذه الحكومة الى ان استقر فيصل بدمشق ، وعين شكري باشا الايوبي نائباً عنه في بيروت ، نقتطف أحد هذه المقالات وهي مقالة يوسف ابراهيم يزبك في جريدة اليوم البيروتية (١)

«نحن في صيف سنة ١٩١٨ ، وكانت بيروت في أعياء مرهق وبؤس مخيف ، فالمجاعة التي فتكت بجميع قرى الجبل ، وأودت بحياة نصف السكان قد تسربت الى بيوت كثيرة في المدينة ، وموظفو المجلس البلدي مرهقون بلم جثث الموتى اللافظين انفاسهم على الطرق العامة ، وقد حصدت حمى التيفوس عشرات الالوف من الاهلين ، وقل الغذاء اذ نفدت مواد الاعاشة ، فلا سكر ولا ارز ولا دقيق ولا حبوب ولا لحم ولا سمن ، ومعظم العيال المتوسطة الحال ومن بقي من العيال الفقيرة — اولئك الذين أنعم عليهم ربهم بان يجالدوا العوز والضيق ، ويظلوا احياء — كانوا يتقوتون بالترمس المسلوق !

أما الرجال والشبان ، ولا سيما من المسلمين ، فاختفى اكثرهم ، بعضهم في الخدمة

---

(١) العدد ٢٠٨٠ بتاريخ الاثنين ٢ كانون الثاني ١٩٥٠ الموافق ١٣ ربيع الاول ١٩٤٩ه

العسكرية في الجهات المترامية الاطراف ، لايعرف ذووهم عنهم أي خبر ، وبعضهم مختبىء في المنازل « المأمونة » في حمى الاطفال والحريم : فراراً من الخدمة الملعونة لايجرؤون على الظهور ومواجهة الشمس الا في سانحات نادرة ، وقد اطلقوا لحاهم وبدلوا ازياءهم لئلا يعرفهم الوشاة ...

وعلى الصدور كبت ، وفي بعضها آلام ودموع . هي ذكريات الشهداء ، من احرار العرب الذين علقوا على المشانق في « ساحة الاتحاد » ما ألمنه اسماً كاذباً ! بعوامل الحقد العنصري وطيش السياسة وانتقام حزب الاتحاد والترقي المسيطر على السلطنة ، وبوشاية فئة ضالة من ابناء هذه البلاد ... لقد كثر ، يومها ، ابناء دغال في العرب ، كما كثر اخوتهم في عهد المستعمرين وابناؤهم في ايامنا هذه !

تلك هي بيروت — « الدرة في تاج عثمان » في ذلك الصيف

وأطل الخريف يحمل أملا : أخذت الشفاه تهمس في الزوايا : جيش الشريف زاحف على درعا ... الاتراك والالمان في ضيق شديد ... لقد تمزقوا في ساحات فلسطين تمزيقاً ... الجماعة ينسحبون بلا نظام ... جيش الشريف ينتقل من نصر الى نصر ... جيش الشريف قد اقترب ... الحكومة في ذعر ...

ولقد كانت الهمسات صادقة ، وان الحكومة اني ذعر ، والرعية في ذعر ، ذعر الاولى من يوم الحساب وذعر الرعية من أمل قد يخيب ومن مستقبل مجهول .

وما ان انتهى شهر ايلول حتى انتشر في المدينة نبأ خطير : عسكر الشريف على ابواب دمشق ! الحلفاء ضربوا رياق ! جيش الدولة ينسحب الى حمص !

ولفظ يوم الاثنين (٣٠ ايلول) انفاسه على حادث جلل ، وافاق البيروتيون صباح الثلاثاء (١ ت ١) على اصوات باعة الصحف يوزعون هذا البيان الخطير :

« بيان عام »

« بناء على التلغراف الوارد الي من دمشق الشام من امضاء حضرة صاحب السعادة الامير سعيد بك الجزائرلي رئيس الحكومة الموقتة في دمشق الشام لذلك ننشر صورته بالحرف :

« بناء على تسليمات الترك فقد تأسست الحكومة الهاشمية على دعائم الشرف؛ طمنوا العموم واعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية .

٤ ذي الحجة ١٣٣٦ »

« ثم بناء على انسحاب حضرة اسماعيل حقي بك والي ولاية بيروت السابق وتسليمه إياي يداً بيد تحريراً رسمياً موقعاً منه وهذه ترجمته بالحرف :

« الى عموم المأمورين :

« بناء على اعلان الحكومة العربية اصبحت المدينة تجاه امر واقع . فلقد عهد بامور ادارة الحكومة لرئيس البلدية . تجاه هذه الوضعية اصبحت وظيفتكم منتهية لذلك اطلعكم على هذه التبديلات واودعكم اياها .

١ ت ١ سنة ١٣٣٤ » اه

« وعليه استنسب تعيين احمد مختار بك بيهم مديراً للامن العام عوضاً عن قوماندية الجاندرمة والبوليس ، وتعين له معاونان كل من سليم افندي طيارة وجان بك فريج . وتعين كل من محمد افندي فاخوري ويوسف افنــــدي عوده لادارة المؤسسات الخيرية . وتعين لادارة الاعاشة حضرة حسن افندي قرنفل ونسيم افندي مطر . أما باقي المأمورين فكل يبقى في مركزه موقتاً لاشعار آخر ويجب على عموم الاهلين اتباع الاوامر الاتية :

اولا — على الاهلين والمأمورين ورجال الجندرمة والبوليس متابعة اشغالهم ووظائفهم بتمام السكينة والهدوء وبكل نشاط واستقامة ، ويحتم على الاهلين ان لايتداخلوا بما لا يعنيهم وان لايعتدي بعضهم على بعض .

ثانياً — ممنوع قطعياً حمل السلاح والخروج الى الطرقات ليلا بعد الساعة الثامنة بعد الغروب .

ثالثاً — اذا حدث تعد على أحد فعليه حالا ان يخبر أقرب مخفر للبوليس ..

رابعاً — اذا وقعت اقل مغدورية او مخالفة او تهاهل بالوظيفة على الاهالي من قبل اي كان فعليه ان يعلمني حالا .

تلغرافنامه

بيروت رياسة البلدية الموقرة

دمشق

بناء على تسليمات الدولة التركية فقد تأسست الحكومة الهاشمية على دعائم الشرف فطمنوا العموم واعلنوا الحكومة باسم الحكومة العربية

١٠ ذي الحجة ٣٦

رئيس الحكومة الموقتة الامير

سعيد

البرقية التاريخية التي استند اليها الرئيس الداعوق في اعلان الحكومة العربية

تلغراف پوسته سى

بيروت ولايتى

اسماعيل حقي

خامساً – كل من يتجرأ على مخالفة هذه الأوامر يجازى أشد الجزاء بلاشفقة ولا رحمة وكل من تجاسر على سلب الأمن العام يحاكم على الفور ويعدم شنقاً أو رمياً بالرصاص .

سادساً – المظاهرات والتجمع والقاء الخطب ممنوعة بتاتاً من جانب الاهلين .

سابعاً – بما ان المأمورين الاتراك وعيالهم وسائر الغرباء هم بمثابة وديعة عندنا فيجب على كل فرد ان يعتني تمام الاعتناء برفاهيتهم وراحتهم كما تقتضيه الشهامة العربية .

رئيس الحكومة العربية في بيروت : عمر الداعوق

بيروت الثلثاء في ٢٤ ذي الحجة ١٣٣٦ ، ه

كيف تألفت الحكومة

كان رئيس بلدية بيروت في ذلك العهد ، كما رأيت ، صديقنا الدمث الأخلاق المغفور له عمر بك الداعوق ، فلما تلقى البرقية طار قلبه هلعاً ، وحار في مايعمل ! انه رجل مسالم ، لم يسبق له ان عمل في ميدان السياسة ، ولم يخض غمرة أي نضال قومي ضد حكم جلالة السلطان ، أمير المؤمنين ، وهو لم يعين رئيساً لبلدية المدينة خلفاً للرئيس التركي طاهر كنعان إلا لانه كان مشمولا برعاية الوالي عزمي بك لما عرف عنه من عنصر كريم ، ويد نزيهة ، واقدام على العمران ، ونزعة مسالمة صادقة في عثمانيتها ، فكيف يقدم على « اعلان الحكومة العربية » وباسم سيادة شريف مكة (المغفور له الملك حسين بن علي) والشريف واولاده قد اتهمتهم حكومة الاستانة بالخيانة العظمى وحكمت عليهم ، غياباً ، بالموت ، وحرضت عليهم الكتاب والأعيان العرب ، وفي مقدمتهم المرحوم الأمير شكيب ارسلان والشيخ احمد السنوسي وسواهما ، فأخذ هؤلاء يتهمون أمير مكة وأنجاله بمختلف التهم ، وينصحون لهم باسم الدين والعروبة بأن لايؤخذوا بعهود الانكليز ووعودهم المرقوبة ، مما لا مجال للتبسط فيه الآن . وكان لما كتبه الأمير شكيب ارسلان رحمه الله في تحذير العرب من مجازفة الشريف حسين وقع شديد وتأثير قوي في

كثير من النفوس ، ولا سيما في الذين لم يسبق لهم ان عملوا في حقل النهضة العربية وظلوا موالين لحكومة جلالة السلطان امير المؤمنين ، ومنهم صديقنا النبيل الخلق المغفور له عمر الداعوق الذي خسرنا مروءته ودماثته وطيب عنصره ، فاضطرب صاحبنا ساعة تلقى برقية الأمير سعيد الجزائري اضطراباً عظيماً واسقط في يده ، ولم يلبث ان هداه ثاقب تفكيره الى وجوب اللجوء الى « معين » النهضة القومية في بيروت ، احمد مختار بيهم وسليم علي سلام – يرحمها الله – فهما صاحبا اليد الكريمة على هذه النهضة ، وهما صاحبا المواقف الجريئة النبيلة في سبيلها منذ « الحركة الاصلاحية » ومن حق العروبة والانصاف علينا ونحن نكتب الآن في التاريخ ، لا في « السياسة » ، ان نقول ان الفكرة العربية في بيروت عريقة الاتصال ببني بيهم ، وقد ترعرعت في بيتهم منذ أيام فقيدها العلامة الداهية الحاج حسين بيهم ولما شب سليم علي سلام واحمد مختار تعاهدا على الوفاء بها والعمل لها ، فكان لهما في الحركة الاصلاحية فضل معلوم ، فالتجاء عمر الداعوق اليهما على أثر استلامه برقية الجزائري كان معقولا جداً ، بل كان « مشروعاً » إذ عمل بقول الصاحب بن عباد : « هذه بضاعتكم ردت اليكم .. »

واجتمع عمر الداعوق والفرد سرسق وسلام علي سلام واحمد مختار بيهم في منتصف الليل في بيت سلام وبحثوا في مضمون البرقية الواردة على رئيس البلدية وقر رأيهم على ابلاغها الوالي والطلب منه تسليم الحكم والانسحاب ؛ ولكنهم رأوا ان يحتاطوا للأمر ، وهم في ذلك الموقف العصيب ، بان يرافقهم أفراد من اخوانهم وانسبائهم يثقون بهم ، فذهب امين بيهم الى منزل خاله ، وجيهنا الكبير محمد عمر بيهم ، وذهب علي سلام وأخواه محمد ومصباح الى منزل عمهم كامل سلام ومنزل سليم طبارة ومختار ناصر فايقظوهم جميعاً . وجاء هؤلاء مسلحين وفي ثياب النوم ورافقوا الوفد الرباعي الى منزل الوالي (بيت الدكتور دوبران يومها ؛ ومقر المدرسة الفرنسية العلمانية للبنات اليوم) فدخل الأربعة الأولون الى الدار وبقي « حراسهم » حول سور الحديقة يرتقبون . وقد أجمع الذين عرفت منهم هذه التفاصيل على تحديد

هذا الموقف الجريء الذي وقفه في تلك الساعة فقيد الاقدام والرجولة الفذة سليم علي سلام ، قالوا لي : عندما هم الاربعة بدخول بيت الوالي في ذلك الليـل البهيم التفت الينا العم ابو علي وقال لنا بلهجة القائد المستميت : « اسمعوا ياشباب ، نحن لانعرف ماسيكون من اسماعيل حقي بعد ان نبسط له مهمتنا ، فاذا سمعتم جلبة ، او لحظتم ان الوالي طلب قوة لاعتقالنا فادخلوا حالا وانصبوا عليهم بالرصاص ... كونوا حذرين والى الملتقى ! »

لم يقتنع اسماعيل حقي بك بما عرضه عليه زائروه وأبى الانسحاب ؛ ثم استدعى قائد موقع بيروت (حمدي بك ؟) فوافق على الانسحاب ولكن الوالي أصر على الرفض ، واخيراً استدعى حسين كاظم باشا والي سالونيك المتقاعد ، وهو شيخ جليل وعالم كبير لعب دوراً خطيراً في سياسة السلطنة ، وفي الحرب العالمية الاولى سكن بيروت وله الفضل الاول في وضع كتاب « لبنان » ـ المؤلف الفريد بفوائده العلمية والتاريخية ـ فلما وصل هذا السياسي الحكيم الى الاجتماع نصح حالا لاسماعيل حقي بوجوب التسليم ، وهكذا كان ...

وبعد ان استلم عمر الداعوق « وثيقة الانسحاب » وقد اذاعها في بيانه المنشور فوق هذا الكلام — التفت حسين كاظم الى الاعيان الاربعة وقال لهم بالعربيـة :

« انشا الله ، ياعرب ، تتوفقوا !.. »

وكانت مجاملة وأحاديث بين ممثلي العنصرين المفترقين بعد وحدة طالت مايقرب من ستة قرون ، مما قد نعود اليه في مناسبة ثانية . ثم رجع البيروتيون الى منزل آل سلام وبعثوا في طلب الاصدقاء والانصار واتفقوا على تأليف الحكومة ووضعوا البيان التاريخي ، ووكلوا الى « الشابين » محيي الدين النصولي ومحمد سلام سرعة طبعه ، فذهبا الى منزل الاستاذ رامز سركيس وأيقظاه مع الفجر ، وفي الساعة السادسة من صباح الثلاثاء كان « البيان العام » مطبوعاً في مطبعة « لسان الحال »

وقبيل الساعة الثامنه ، قصد رئيس الحكومة العربية واخوانه وزملاؤه الى

السراي الكبير و « احتلوه » وقد وجدوا في الصندوق مئتي الف ليرة ذهبية ومليون ليرة ورقاً فكلف صلاح عثمان بيهم ومحمد سلام بالمحافظة عليه .

وعاشت بيروت وعاش الجبل ، ساعات في سكرة الدهر !

أي حلم كان !

وفي اليوم التالي (الاربعاء ٢ ت ١) سافر المرحومان احمد مختار بيهم والفريد سرسق الى مرجعيون لاستعجال الجيش الانكليزي على دخول بيروت خوفاً من « حركة » يقوم بها الجنود الاتراك ، ولا سيما من بيت مري وبرمانا حيث مدافعهم . ثم اتصل الوجيهان بدمشق برقياً مستعلمين عن شكل العلم العربي وعن الحالة فيها .

وكانت أسلاك البرق مستمرة في عملها بين العاصمة الجديدة وسائر المدن السورية واللبنانية تمطر البلديات والمراجع الدينية والاعيان برقيات الامير الجزائري واننا لننشر بعضها في مايلي :

« بعبدا ...

« اعلنت سوريا الاستقلال العربي وشتتنا جيوش الترك . فبكل الاوجه احضروا لبعبدا لتشكيل حكم مطلق (كذا ...) ياشباب ؛ انتم عرب فأقيموا المظاهرات قبل كل شيء »

(الامضاء ...)

« الى رئيس بلدية بيروت الموقرة وأعيانها الافاضل :

« بلغوا رجال الترك بان الحكومة العثمانية طلبت الى انكلترا عقد صلح منفرد وان طريق رياق حمص غاص بالعربان والانكليز وانهم اذا اقدموا على عمل ما يسيء للعرب تصبح حياتهم في خطر فليحفظوا أرواحهم » (الامضاء)

في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٦

« سيادة الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت المعظم :

« انه بعون الله قد تأسست الحكومة العربية المستقلة باسمنا فنطلب منكم باسم

العربية والوطنية ان تشتركوا بتأسيس الحكومة العربية المستقلة عندكم في لبنان.

٢٥ ذي الحجة (الامضاء)

« الى رئيس بلدية بيروت الموقرة وأعيانها الافاضل !

« دخل جيش مولانا الشريف الامير فيصل سلطان العرب الى الشام بمحفل لم تشهد بمثله (كذا) سوريا . وقد ملأ جيش العرب السهول والجداول فلا تخافوا!. ابطشوا بكل معاكس ، أريقوا الدماء ولكن بعدل . احفظوا ارواح بقية ابناء المذاهب فهم اخواننا بالوطنية .

فليحي الاستقلال العربي وليحي سلطان العرب !. »

(الامضاء)

« رفع العلم في حفلة شعبية »

وفي يوم الخميس ٣ ت ١ وردت برقية على جريدة « البلاغ » جاء فيها مانصه : هيئة الراية العربية الجديدة : ثلاثة قطع من الالوان موضوعة بخط استوائي أسود وأخضر وأبيض .

فالأسود علامة العباسيين ، والاخضر العلويين ، والأبيض الامويين

ثم قرب السارية يدخل في هذه الالوان الثلاثة مثلث يشبه رقم ٨ رأسه في قلب العلم وكعباه على طرفي السارية ولون هذا المثلث احمر وهو علامة المملكة العربية الجديدة .

وما ان عرف شكل العلم الجديد ، حتى هب البيروتيون على اختلاف مذاهبهم الى صنع الاعلام المنوعة الاحجام ، من ورق أو قماش .

وقرر « رجال الساعة » وجوب رفع العلم الجديد على دار الحكومة ، فعقدوا يوم الجمعة اجتماعاً كبيراً في دار آل سلام لتنظيم حفلة خاصة لهذه الغاية حضره جمهرة من الشباب المتحمس ؛ ورأى سليم علي سلام ان يكون للحدث رمزه وهدفه فالقى كلمة مؤثرة عن الشهداء الابرار ولا سيا اولئك الاحرار الذين انجبتهم مدينة

بيروت وكانوا في استشهادهم نبراساً للعصر الجديد ، واقترح ان تكون اليد العربية التي ترفع العلم العربي ذات قربى وصلة بالشهداء ، وإذن فلتكن الآنسة فاطمة محمصاني اخت الشهيدين محمد ومحمود ، هي التي تحمل العلم الى سطح السراي .. وكان لهذا الاقتراح البعيد المرمى وقع مؤثر جداً في النفوس فبكى الحاضرون وصفقوا له طويلا

وفي اليوم الثالث ازدحم البيروتيون في السراي الكبير فافتتح الحفلة سليم علي سلام (وكان رئيس الحكومة الجديدة مريضاً في ذلك اليوم) فرفعت المحمصانية الجريئة العلم ، والقى كل من سماحة المفتي الشيخ مصطفى نجا وسيادة المطران جراسيموس مسرة (دعاء) وخطب الشيخ مصطفى الغلاييني خطاباً قومياً نارياً ثم القى الخوري يوسف اسطفان (الدكتور حبيب اسطفان بعدئذ) قصيدة استهلها بقوله :

هي العـــدالة إعلاء وعمران | والظلم آخره ذل وحرمان

وبعد ان وصف جور الحكم البائد وما أنزله بالامة العربيـة من المصائب والنكبات في جميع ميادين النشاط الانساني ختم قصيدته القاسية بهذه الأبيات :

متى تجد حاكما للشعب ممتهنـاً | فقل تداعت لهذا الحكم أركان
هم الرعايا عماد العرش ان خذلوا | يوماً فللعرش اذلال وخـذلان
كذا مضى الترك لا يرثى لذلهم | إلا دنيء لئيم النفس خوان
قد افهموا ان ملاك الظلم ان رقدوا | بالأمن فيه فان العدل يقظان
ولوا وأثرهم اللعنات يسكبها | من المعابد أشياخ ورهبان
هذا انتهاء ملوك الظلم فاعتبروا | ياحاكمين الورى فالعدل ديان

* * *

رحم الله جميع الأحرار الذين عملوا في تلك الأيام العصيبة لحرية بلادهم ؛ انهم الكرام الخالدون ! ، أ ـ هـ

وفي مقال للأديب انيس النصولي بنفس المناسبة في جريدة « بيروت ـ المساء » يتابع احداث بيروت بعد ان يذكر كيفية اعلان الحكومة العربية فيها ويقول : (١)

« وكان البيروتيون في هذه الاثناء يعطفون فعلا على الاسر التركية والجنود الاتراك الذين اسرتهم حكومة الداعوق وجردتهم من سلاحهم وقد شاهدتهم يسكنون السراي الكبيرة الى ان تولت امورهم سلطات الاحتلال البريطانية أما الاتراك في دمشق فلاقوا الامرين في عهد الامير سعيد الجزائري ، لان شهوة الانتقام تغلبت على كثير من السكان الموتورين والمجرمين الذين افلتوا من سجون القلعة فاعملوا في البقية الباقية منهم سلباً وتقتيلا وما يزال يروي لك الرئيس الداعوق ان الاجانب كانوا مثالا حسناً للطاعة حتى ان السفير البابوي وهو جار له كان لايخالف للحكومة العربية الموقتة أمراً .

ورأت حكومة الامير سعيد الجزائري الموقتة ان تتسلم زمام الاحكام في بيروت فعينت شكري باشا الايوبي حاكما عسكريا عليها ثم عينت معه جميل الالشي رئيساً لاركان حربه .

وأتى الايوبي الى بيروت على رأس كتيبة تتألف من مائة جندي واعلن انضمام العاصمة اللبنانية الى اسرة الحكومة العربية ثم رفع العلم العربي على السراي الصغير باحتفال مهيب ودعا حبيب باشا السعد وأقامه حاكما مدنيا على بيروت بعد ان اقسم يمين الطاعة للشريف السلطان حسين .

وشعرت فرنسا ان هذه الخطوات التي خطتها حكومة الامير سعيد الجزائري في سوريا تناقض معاهدة سايكس -- بيكو فقامت تطالب انكلترا ان يعهد اليها بادارة المناطق التي تخولها لها هذه المعاهدة ريثما يبت بمصيرها في مؤتمر الصلح ، فقسمت اذ ذاك القيادة العليا للحملة المصرية وعلى رأسها المارشال اللنبي البلاد السورية الى ثلاث مناطق واطلقت عليها اسم (بلاد العدو المحتلة) .

المنطقة الشرقية : وتشمل ولاية سوريا القديمة من معان جنوبا حتى حدود

(١) العدد ١٣٣ بتاريخ الاثنين في ١٢ ايلول ١٩٤٩

تركيا شمالا مع اقضية ادلب وجسر الشغور والباب غربا والفرات شرقا على ان تديرها حكومة عربية صرفة يتولى رئاستها الامير فيصل ابن الشريف حسين .

والمنطقة الغربية : وتضم لواء بيروت ولواء جبل لبنان ولوائي اللاذقية وطرابلس من ولاية بيروت القديمة وقضائي انطاكية واسكندرونة من ولاية حلب وتدير هذه المنطقة فرنسا مباشرة وعين لها الكولونيل بياباب حاكما لها .

والمنطقة الجنوبية : وتشمل فلسطين من الحدود المصرية جنوبا حتى الناقورة غربا فنهر الاردن شرقا وتضم لواء القدس ولوائي نابلس وعكا من ولاية بيروت القديمة وتتولى السلطات البريطانية ادارتها وعين الجنرال بولز حاكما عليها .

ولما اعلن المارشال اللنبي هذا التقسيم للبلاد السورية طلبت فرنسا الى الامير فيصل ان ينسحب شكري باشا الايوبي من بيروت وان ينزل العلم العربي عن سارية السراي ، فكان لها ماأرادت وتم انزال العلم العربي باحتفال كئيب حزين ، وغادر الايوبي والمائة جندي بيروت الى دمشق وظل الاشي معتمدا عربيا في بيروت وتولى الكولونيل بياباب الحكم في المنطقة الغربية وكان هذا بدء النفوذ الفرنسي الفعلي في لبنان وبدء ظهور الاشي بعدئذ سياسياً في سوريا يعتمد في قوته على الانتداب الفرنسي . وارتفع العلم المثلث الالوان على لبنان والساحل السوري . ١هـ



اعتقال الأمير

لقد تركنا قصة الأمير سعيد، لنلقي نظرة على ما حدث في بيروت يوم الاستقلال، ونعود الآن وننقل الى القراء كيفية اعتقال الأمير في المزة واطلاق سراحه كما جاء على لسان «مؤرخ» في أعداد الكفاح:

«وبينما كان الأمير سعيد ذاهباً لملاقاة محمد علي التميمي الذي عينه مديراً للشرطة يوم اعلانه الاستقلال، لقيه هذا المدير ومعه قائد الدرك سعدي الكحالة فوق جسر المرجة فاشارا لسيارته بالوقوف، فوقف الأمير وهو خالي الذهن من كل حادث فسألهم ماذا تريدون؟ فأجابوه: ان رضا باشا الركابي يطلبك. فقال: ها أنا ذاهب اليه. وهكذا صعد الأمير الى السراي، وما كاد رضا باشا يشعر بمجيئه من ياوره حتى دخل الى غرفة معاونه وكان يومئذ عادل ارسلان فسأله الأمير: ماذا تريدون مني؟ فأجابه: ليس الباشا هو الذي طلبك وانما الماجور ستيرلنك (الكولونل سترلنك) فترك الغرفة وأراد الذهاب لعند الماجور فاعترضه سعدي كحالة ومحمد علي التميمي وسألاه فيما اذا كان يحمل سلاحاً فنهره الأمير وقال ألا تستحي من توجيه هذا السؤال إلى من ولاك هذا المنصب وله الفضل فيما حصلت عليه البلاد؟ فوجم التميمي واحمر خجلا ولم يزد كلمة واحدة، ولما أراد الأمير أن يركب سيارته ابلغ انها صودرت بأمر الحاكم العسكري وقدم له رجال البوليس عربة حقيرة فامتنع عن ركوبها وفضل المشي على الأقدام، ولما منع عن ذلك قال للشرطة: إما أن أسير على قدمي وإما ان تركبوني هذه العربة وأشار إلى عربة الحاكم الواقفة

أمام دار الحكومة وهذه العربة أيضاً صودرت من جنرال تركي اسمه مصطفى رمزي باشا ، وهكذا ركب الأمير العربة وحولها عشرات من فرسان الدرك المدججين بالسلاح ووجهتهم سراي المشيرية التي كانت مشغولة من الانكليزفادخلوه على الماجور (ستيرلنك) فرحب به ولما سأله عن سبب طلبه بهذا الشكل الذي يتنافى مع العدل ولا يتناسب مثل هذا الاجراء مع أمير له عمله الانساني وخدمة الوطنية فأجابه ستيرلنك بانك موقوف لارسالك للرملة أنت وأخيك لعند الجنرال اللنبي .وقد كتم قتل أخيه خشية ان يثور. فأجابه الأمير إن مثلنا لايحتاج ان يرسل موقوفاً فنحن على استعداد الذهاب حيث شئتم من تلقاء أنفسنا ونحن مستعدون أيضاً أن نأتيكم بكفلاء ونحن جبيننا ناصع ولا نخشى من أحد الا الله الواحد الاحد مادمنا لم نفعل شيئاً يخالف القانون .فقال ستيرلنك : ان ماتقولونه هو صحيح ومنطقي ولكني مأمور بارسالكم مخفورين الى الرملة . فأخذوا الأمير الى غرفة خاصة بقي فيها الى المساء فجاءه ابن عمه الأمير ادريس وأراد ان يخفف وقع الفاجعة عليه فأخبره بأن أخاه حينما رجع من زيارة جده بالصالحية اصطدم مع الجند وقد تمكن من الافلات منهم بعد ان جرح برجله جرحاً طفيفاً ولما كان يعرف جرأة أخيه فما عاد يكترث بنفسه . وبعد هذا جاء ضابط انكليزي واستصحب الأمير مع نفرين من البوليس الانكليزي الى معتقل المزة فوضعوه بغرفة على التراب لاتحتوي على شيء من مقاعد ولا فرش وخشية أن يسفروه وهو يجهل مصير أخيه جاءه ابن عمه الأمير كاظم عند منتصف الليل وأخبره باستشهاد أخيه البطل ، وأول ماسأله : هل مات أخي بطلا وهل ثار لنفسه قبل ان يموت؟ فقال له مراعاة لشعوره: نعم قتل خصومه قبل ان يقتل وان عزاءكم الوحيد هو انكم رفعتم العلم بشجاعة وتضحية ، ولكن هذا العلم انزل بعد الكارثة وأخذه لورانس بحجة انه سيوضع في متحف لندن كتحفة لأول علم رفع فوق سراي الحكومة ، ولا تسل عن الآلام التي قاساها بسبب فقد أخ كان جناحه الأيمن ولو أنه بقي حياً لما ترك أخاه يسجن على ذلك الشكل كما فعل أخاه يوم اوقفوا عبد القادر فما غمض له جفن حتى اطلق سراح

اخيه رغم ارادة السلطة ، وهكذا فان ذوي النفوس الكبيرة الذين لهم صراحتهم أمام الجبارين عرضة للاذى ، وعند الصباح طلب الأمير سعيد ان يسمح له بمقابلة قائد الحملة الموجود باحدى بساتين المزة وهو كولونل انكليزي فسمح ، له ولما قابله قال له : هل هذه عدالتكم أيها الانكليز ؟ أهكذا تعاملون في بلادكم اشخاصاً رفعوا راية بلادهم وخدموا بأخلاص وطنهم ؟ فأجابه الكولونل وكان لاشك ذا سريرة طيبة ، إني آسف جداً كانكليزي لما حدث ، وان هذه الجناية تقع مسئوليتها على غيرنا ، ومما يزيد في أسفي أنني سمعت عن حسن أعمالكم وطيب عنصركم ورغم اني مأمور صغير وليس لي من الامر شيء فأني مستعد للقيام بكل خدمة أقدر عليها . فطلب الأمير ان يسمح له بوداع اخيه الوداع الأخير وأن يمشي بجنازته فقال له : لك ذلك ، وفي الحال خابر دمشق فأجيب ان الجنازة ستسير في الساعة الرابعة وانه سمح للأمير ان يرافقها وانقضى الوقت ولم تصل السيارة التي ستنقله فخابر الكولونل بغضب فقيل له ان الجنازة سارت في الساعة الرابعة قبل الظهر على الميعاد التركي فثارت ثائرته واحتج على ماحدث قائلا : إن من الظلم ان يحرم شقيق مفجوع بشقيقه قضى الليل بالبكاء والنحيب من تشييعه ، وبعد قليل تلقى أمراً بارسال الأمير سعيد الى المهاجرين الى مقر الاركان الحربية في البناية التي كانت لرئاسة الجمهورية وعند المسير سأل الكولونل الأمير اذا كان ممكناً ان يطلب سيارته فأجابه ان سيارتي محجوزة بأمر الركابي فبعث في طلبها ، ولما امتنعت الحكومة من التسليم أخذت منهم بالقوة وجيء بها وهكذا ركب الأمير يصحبه شرطيان الى مقر الاركان الحربية ، وهناك استقبله الجنرال رئيس الاركان وحياه أحسن تحية وقال له : ليس لدينا هنا مكان يليق بالأمير ولكن على كل حال خصصنا لكم ثلاث غرف من أوفق الغرف وسوف تكون جميعها بخدمتكم الى ان يفرج عنكم وهذا لايكون بعيدا ، فشكره الأمير .

وفي اليوم الثاني أقبل الجنرال على الأمير وقال له : نحن مأمورين بالقيام على ضيافتكم هنا فاذا كان لكم ماتحتجون عليه فأنا مستعد لارساله حالا المرسلة للجنرال

اللنبي الذي اليه يرجع الأمر . فكتب الأمير احتجاجاً شديد اللهجة للجنرال على قتل أخيه بصورة همجية لاتقبلها امة تحترم شريعة وقانوناً وانه على استعداد للدخول الى محكمة ليحاكم بها اذا كانت السلطة تعتبره مجرماً ، وإلا فالعدل يوجب باخلاء سبيله وفتح محاكمة لاظهار الجناة الذين فعلوا هذه الفعلة الشنعاء . فأجابه الجنرال بان الحكومة تتهمه وأخيه بانهما أدخرا السلاح وساعدا الاتراك وغير ذلك من التهم التي لاتنطبق الا على الذين سوف يكشف الزمان عن ماضيهم الاسود ، وبعد ثلاثة أيام من وجوده في الاركان الحربية جاءه الجنرال وقال له : يسوءني ان يفجع مثلكم بأخيه ويكون بعيداً عن اسرته لمواساتها ، وبما اني لاأملك حق اطلاق سراحكم كما قدمت ولكني اتحمل مسئولية تسريحكم الى الدار فقط شرط ان تبقوا فيها ولا تخرجوا منها وعلى شرط ان لاتحاولوا القيام بحركة اخذ الثأر فاذا كنتم تعدوني بذلك فاني اعتمد على شرفكم ؛ واتحمل المسئولية واطلق سراحكم الآن .

ماكاد الأمير سعيد يعود الى بيته ويستقر به المقام حتى اخذت وفود المدينة تأتي للسلام والتعزية وكان في مقدمة من حضر العلماء وعلى رأسهم المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين والعلامة السيد جعفر الكتاني . وكان الجنود الانكليز الواقفون على الباب للحراسة يحيونهم فساء هذا الحكومة وكانت تحرص على اماتة الجرم ! . وما حان وقت الليل حتى حشدت جماعة من جنود وغير جنود وراحوا من وراء دار زيور باشا التي يقطنها الأمير وكانت خلواً من البناء يطلقون الرصاص من بنادقهم بكثرة كأنهم في معركة ، فسارع الجنود الانكليز ونبهوا الأمير الى مايجري فأمرهم بعدم القيام بأي حركة لانه مرتبط بعهد الا اذا هاجموا الدار ولكن الجنود ارسلوا واحداً منهم الى (كورنوالس) وكان معتمداً للانكليز في سورية فجاء يرافقه الماجور ستيرلنك بسيارة نقل نحو ثلاثين من جنود الهند فسألوا الأمير عن الخبر فأجابهم : أني أجهل كل شيء ولكني باقٍ على عهدي ولاأقوم بحركة إلا مدافعاً . فعرضوا ابقاء الجنود حول الدار للمحافظة فقال لهم انه ليس هناك مايوجب

الخوف وما دام في بيته فليس بامكان أحد اقتحامه ، ولكن كورنوالس أصر على بقائهم فترك لهم الخيار وهكذا ظلوا يحرسون الدار من الخارج حتى الصباح وقد أثبت التحقيق ان الحكومة حشدت هذه العصابة للاقلاق وما اعيتها الحيل ، حشدت جواسيسها فصاروا يمنعون الناس من الدخول لبيت الأمير نطاردهم الجنود الانكليز الواقفون على باب الدار ، وهكذا اخفقت جميع تدابير الحكومة ولكنها عادت فارسلت في الليل عشرة من البدو ، فصاروا يقرعون الباب الخارجي بالعصي ، فأسرع احد الجنود الانكليز فأخبر الأمير ، فسار نحو البوابة وما كاد يفتحها حتى رأى العربان يفرون وبأيديهم البنادق ، فلفت نظر الحرس الى انه ما كان مهاجماً بل ان الاعداء يهاجمونه بقصد التشويش فاسرع أحدهم على الموتوسكل فأخبر رؤساءه فجاء كورنوالس مع نحو ٤٠ جندياً بسيارة نقل ومعه ستيرلنك ايضاً فوزعوا الجند باطراف الدار وفي الصباح الباكر زاره المستر كورنوالس وستيرلنك وقالا له : انك بمكوثك هنا ستقلق راحتك وان كان في استطاعتنا المحافظة عليك فاذا أردت السفر الى حيفا فتكون فيها مطلق الحرية ويكون ذلك أضمن لرؤية دعواك بحرية أمام محكمة مؤلفة من ضابطين افرنسي وبريطاني . فوافق على ان تجري المحاكمة بأسرع ما يمكن .

وفي اليوم التالي اتجه الى حيفا يصحبه ابن عمه الأمير كاظم مع ضابط كندي واختار المحامي عطايا ليدافع في قضية اخيه الشهيد وبعد مكوثه يومين بالفندق علم ان الدعوى لاتنتهي بسرعة فاستأجر داراً لجنرال تركي كانت السلطة على وشك مصادرتها وكان حول البيت ساحة واسعة يؤتى كل يوم اليها بعشرات من العمال المدنيين فيجازونهم بتحميلهم الاحجار الثقيلة ويضعونها على خشبة من آلات التعذيب وكانت هذه المشاهد تؤلم النفس ، وما خلق الله العباد الا ليكونوا احراراً فذهب الأمير لعند الحاكم فقال له : أما يكفي تغريبي وتسويف دعواي حتى أرى مشاهد تؤلم النفوس الأبية ولا يليق ان تصدر من دولة تدعي المدنية ؟ وقد أثر هذا الاحتجاج

في الحاكم فمنع التعذيب بتلك الساحة وبعد مدة جاء ضابط الى الأمير لتقديم دار لائقة به ذات فرش وكل مايحتاج اليه بدعوى ان البيت الذي استأجره كان محجوزاً للسلطة فذهب معه فقدم اليه داراً مفروشة فرشاً متقناً فسأله عن صاحبها فقال : انها لاحدي زوجات مصطفى باشا الخليل وهي تقطنها . وهناك دور اخرى ملاصقة يمكن صاحبتها ان تسكن مع ضرتها بدار واسعة فرفض السكن مجاناً وظل في مكانه ولما طال أمر اجراء الحاكمة ، وفي الحقيقة لامحاكمة ولا شيء وانما كانت حيلة مدبرة لابعاد الأمير عن وطنه لان وجوده في دمشق كان باعثاً لقلق مرتكبي تلك الجناية النكراء لكي يترك للزمان تخفيف مصابه .

وابلغ حاكم حيفا الأمير بعد أيام ان الجنرال كلايتون قادم لحيفا وكلفه ان يعد تقريراً له ثم جاء امين سر الحاكم يبلغ الأمير كيفية استقبال الجنرال وانه سيدخل مع الهيئات السياسية في اول الداخلين .

وجاء الأمير في الوقت المعين يحمل تقريره واذا به يرى ازدحاماً كبيراً أمام السراي والناس يصفقون كأبناء المدارس للدخول على الجنرال وبعدان يصافحونه يخرجون من باب آخر فعاد الى منزله وبعد الانتهاء من هذه الاستقبالات جاء السكرتير يقول للأمير ان الجنرال يرغب في مقابلتك فلماذا لم تشرف ؟ فأجابه اني ماجئت لهذه البلاد لاحضر هذه المراسيم ، ان المقصود من مقابلتي له هو الاحتجاج على تسويف الدعوى وما جئت الى هنا الا لهذه الغاية .

واجتمع الأمير بالجنرال في الغد بدار الحكومة فسلم عليه بلطف ومودة وأظهر أسفه على ماحصل وقال له : اني مع مشاركتي لك بآلامك لايسعني إلا ابداء الأسف لما حصل واني بعد اسبوع وبعد درس التقرير أسعى لتأليف المحكمة للنظر في قضيتك. ولكنه لم يف بالوعد .

ولما طال الأمر وحل التسويف زار الحاكم استانتون باشا وانذره قائلا : أنا وفيت بعهودي وصبرت صبر الكرام على تسويفكم وبما اني لاأقدر على الصبر

أكثر من هذا فلا بد لكم من اطلاق حريتي او محاكمتي اذا كان للسلطة أي دعوي علي فقال له الحاكم :

اني في هذه المدة التي قضيتموها عندنا وقفت على اخلاقكم وحسن نواياكم وعرفت انكم من أشرف الأسر وقدعجبت كيف يكون بينكم وبين الأمير فيصل عداوة مع اني لم اسمع منكم كلمة واحدة بحقه ومن اجل ذلك فأنا سأخابر بأمر عودتك الى بلادك ، واذا سمعت نصيحتي كصديق فاني اخبرك شخصياً بانك صاحب التاج في سوريا ، وما الأمير فيصل الا غريب جاء من الحجاز وسيعود اليها وانت ابن الوطن وهذه نصيحة ثمينة اقدمها لك تقديراً لشهامتك ، ولا أطلب منك الا البقاء هنا مع اسرتك والسلطة مستعدة لتأمين جميع مصارفاتك ومتى آن الأوان فسوف يناديك التاج .

وكان هذا جواب الأمير للحاكم :

ماكنت احسب ان دولة عظيمة كبريطانيا تخالف عهدها على لسان ممثليها . لقد صبرت على تسويفكم صبر الكرام ومع شكري لنصيحتكم الغالية فينبغي ان تعلم أني لا أبغي عن الحاكمة بديلا ولو منحت لي سوريا ملكاً خاصاً وليس للتيجان عندي قيمة الا اذا كان من ورائها انقاذ امة ، وفي النهاية ارجوك اخبار مرؤسيك انه بظرف ثمانية واربعين ساعة اذا لم تطلق لي الحرية فسأطلقها لنفسي واسافر الى بيروت » فوجم الحاكم وقال له هذا خارج عن نطاق صلاحيتي ولايمكنني المخابرة بمثل هذا ، فقال له اذن فاعلم اني احافظ على القانون بقدر مااستطيع وافدي ولو نفسي بالدفاع عن حرية عزيزة علي والى الملتقى بعد الوقت المعين .» أ ـ هـ



تأييد لبنان للأمير

في الوقت الذي اضطر فيه الأمير سعيد الى الاقامة في حيفا حتى يتابع مسعاه في سبيل محاكمة قتلة اخيه الأمير عبد القادر حتى لايذهب دمه هدراً ، ويظهر للملأ الدافعين لهذا العمل الجنائي المريع ، كانت الأمور في سوريا ولبنان على غاية من الاضطراب ، والتبلبل السياسي ، فقد كان الأمير فيصل الذي دخل دمشق على رأس القوات العربية يحكم سوريا الداخلية ، أي ولايتي دمشق وحلب بحدودها التي كانت لها قبل انسحاب الاتراك ، أما الساحل فكان تحت النفوذ الافرنسي ، لان فرنسا انزلت جيوشها الى البر السوري في ١٠ تشرين اول١٩١٨ واحتلت بيروت واللاذقية واسكندرونة ، واحتجت على رفع العلم العربي على سراي بيروت ولم تعترف بشكري باشا الايوبي الذي عينه فيصل ، واضطر هذا مغادرة بيروت ، واعترفت فرنسا بجميل الالشي كممثل لحكومة فيصل الداخلية لديها في بيروت ، بينما كان الجنرال الانكليزي اللنبي قد عين الكولونيل الافرنسي دي بياباب لادارة بيروت والمنطقة الغربية .

وكانت فرنسا تريد ان تهيء الجو لمفاتحة السكان بالمعاهدات السرية بينها وبين انكلترا باقتسام مناطق النفوذ في الموطن العربي حسب اتفاقية سايكس - بيكو ، فضربت بيد من حديد على كل دعاية عربية تؤيد الأمير فيصل ، وتقربت من السكان قاطبة المسيحيين منهم والمسلمين ، وكان الأمير فيصل يعمل جاهداً ، ان يحقق الاحلام التي وعد بها الانكليز أباه في مراسلات حسين مكماهون ، وفوجيء

الأمير فيصل بينما كان في حلب ببرقية من والده تأمره بالتوجه الى باريز لتمثيله في مؤتمر الصلح العام ، والدفاع عن قضية البلاد العربية . وازدادت فجأته عندما حاولت فرنسا عرقلة سفره الى بلادها ، ثم ابلغته عندما وطئت اقدامـه الارض الافرنسية انهـا ستحتفي به كابن ملك حليف ، لا كممثل رسمي لوالده لانها لم تبلغ رسمياً عن ذلك ، وحاول كثيراً بمساعدة لورانس الذي جاء من بريطانيا الى فرنسا خصيصاً لمرافقته ، ان يعدل عن قرار الحكومة الافرنسية ، ويجعلها تعترف به رسمياً ، وبعد ان زار الجبهة الغربية والالزاس وتمكن من مقابلة رئيس الجمهورية الافرنسية بونـكاريه ، ذهب الى لندن حيث استقبل استقبالا رسمياً. وتوسطت لندن لدى باريز بالسماح له بحضور مؤتمر الصلح في باريز ، فقدم الى المؤتمر مذكرة ٦ شباط ١٩١٩ التي بسط فيها قضية العرب وأمانيهم وحقهم في تقرير مصيرهم واعلان استقلالهم ووحدتهم .. ولكن خطابه في اعضاء المؤتمر الذي ترجمه له لورانس الى الانكليزية ومذكرته لم تحركا عواطف السامعين أمام مساعي الصهيونيين لتأسيس وطن قومي لهم في فلسطين وسعيهم لفصلها عن البلاد العربية ، وأمام أطماع فرنسا ورغبتها في فرض سيطرتها على سوريا الداخلية والساحلية ، وأمام تراخي بريطانيـا في تحقيق وعودها للعرب وللحسين على لسان مكماهون لانها كانت مرتبطة بنفس الوقت مع اليهود بوعد بلفور ومع فرنسا بمعاهدة سايكس بيكو ، وتحلم من هـذا كله ان تبسط يدها على العراق وفلسطين وشرقي الاردن ، وانتهى الأمر بسـاسة مؤتمر الصلح في فرساي ان قرروا ارسال لجنة دولية لاتشترك فيها بريطانيا ولا فرنسـا برئاسة تشارلز كراين لاستفتاء السكان في نوع الحكم الذي يرغبونه في المستقبل وهي اللجنة المعروفة باسم : لجنة كراين ـ كينغ . وبرقت عينا الأمير فيصل لهذا القرار ظاناً ان الدول ستعمل بنتيجة الاستفتاء الشعبي الذي سيجمع حـــتماً على الاستقلال والوحدة والاعتراف به ملكاً على البلاد ، فأبحر في الاسبوع الاخير من شهر نيسان ليستأنف ادارة الامور في دمشق بانتظار وصول لجنة الاستفتاء وخاطب

الأمير فيصل عندما نزل بيروت في ٣٠ نيسان ١٩١٩ الجماهير التي استقبلته بجملته المشهورة : « الاستقلال يؤخذ ولا يعطى .. » وأردف ذلك بقوله : « لقد أعطانا العالم الاستقلال ، فعلينا ان نأخذه وأن نطلبه تاماً خالياً من كل شائبة ، وكل من يطلب انكلترا أو امريكا أو فرنسا أو ايطاليا فهو ليس منا ، ونحن لا ننكر اننا محتاجون الى المعاونة وسنتفق عليها مع من نريد بحسب مايوافقنا ، وهذا لايكون إلا بعد أن نأخذ الاستقلال التام المطلق .. » ووجد فيصل في دمشق الافكار مازالت مضطربة والقلق على مستقبل البلاد سائداً ، فلم يطلع الرأي العام على خيبة الأمل العظيمة التي لازمته في رحلته الى اوربا ، وموقف فرنسا والصهيونيين منه ، بل راح يبني آماله ، في خطبه التي القاها على لجنة الاستفتاء الاميركية التي ستفد الى البلاد .

ودعا فيصل الشعب السوري الى انتخاب ممثلين رسميين له ، يجتمعون في دمشق ويبدون رأيهم أمام لجنة الاستفتاء في نوع الحكم الذي يختارونه ، وبذلك اجتمع المؤتمر السوري الاول الذي ضم نواباً عن جميع مناطق سوريا ولبنان وفلسطين وافتتحه الأمير فيصل في ٧ حزيران ١٩١٩ بخطاب حماسي حدد فيه مهمة المؤتمر بتمثيل البلاد أمام لجنة كراين وسن قانون أساسي لها .

وكانت فرنسا صاحبة النفوذ تعمل في نفس الوقت لاحباط كل مسعى يقوم به الأمير فيصل ، وتقوم بالدعاية الواسعة في الاوساط اللبنانية ليطلبوا الى لجنة الاستفتاء الحماية الافرنسية ، والناس على مفترق الطرق ، حيارى بين حكومة فيصل العربية ووعود فرنسا المعسولة ، وفي هذا الوقت كان الأمير سعيد في حيفا يصر على الكولونيل ستانتين الانكليزي السماح له بالسفر الى بيروت .

وكانت بريطانيا من ناحيتها أيضاً تعمل في الخفاء ضد الأمير فيصل ، وتفتش على رجل يمكن ان تهدد به الأمير فيصل ، يوازيه بالحسب والمكانة في أعين المسلمين وفكرت بالأمير سعيد ان تستخدمه لتحقيق مآربها ، ولكن الأمير سعيد أدرك

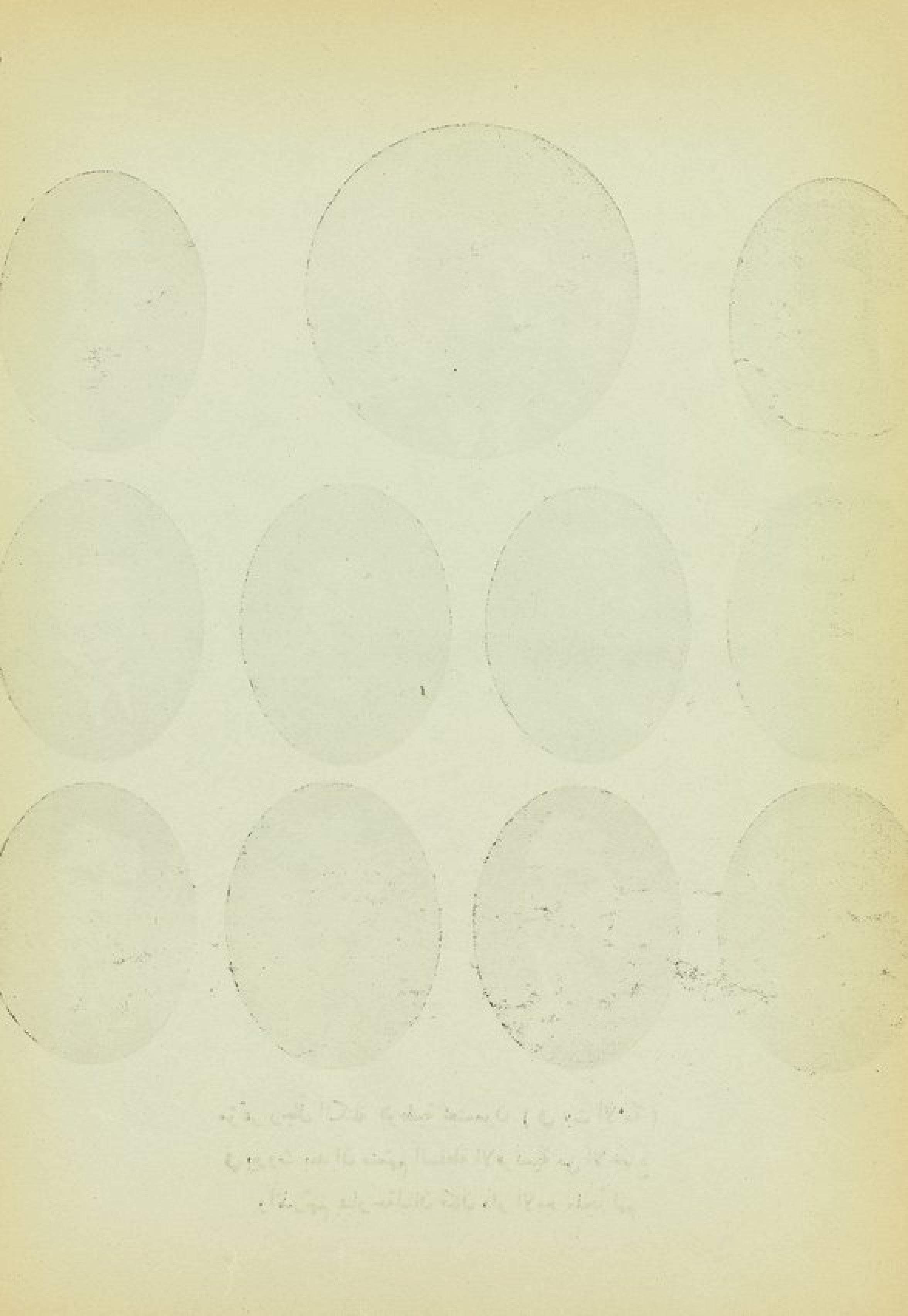
خيانتها ولم يرض أن يكون كبش الضحية ، ورفض عروض بريطانيا السخية ، إذ في أحد الاجتماعات بين الأمير سعيد وحاكم حيفا الكولونيل ستانتين التفت الكولونيل الى الأمير وقال له :

« اني اقدر فيك المواهب والميول الانسانية وأعرف مقام جدك الأمير عبد القادر ومكانك في قلوب المسلمين عامة والسوريين خاصة ؛ وحسبك ، ونسبك ، وآمل ان تسمع الى نصيحتي الغالية ، فانك اذا مددت يدك الى بريطانيا لتعمل معها فالحكومة الانكليزية ستعمل على تتويجك ملكاً على سوريا بدلا من الأمير فيصل الحجازي . وهذه فرصة عظيمة لن تتاح لغيرك . وتحقق بها آمالا أعظم مما لو بقيت الدولة العثمانية في البلاد التي كنت مخلصاً لها ، عاملا على مساعدتها في الحرب ، وستحاط منذ الآن بمظاهر الحفاوة والتكريم من قبل السلطات الانكليزية الى ان تأزف الساعة المناسبة لتتويجك » فأجاب الأمير على الفور : « يؤسفني ياسعادة الكولونيل أن أقبل هذا العرض السخي من دولة بريطانيا التي تكيل الوعود بلا حساب ، ولا تفي بواحد منها ، فكيف أثق بها وقد وعدت الشريف حسين فيما مضى بالاعتراف بملكيته على البلاد العربية ، وأيدت الأمير فيصل ، وتريد الآن ان تطمنه من خلف ، بوعدي أنا بملك سوريا ، فتستغلني وتستغله لحسابها ، وان جل ما أطلبه منك الآن هو اعادة حريتي والسماح لي بالسفر الى بيروت »

وفي صبيحة يوم ١٦ حزيران ١٩١٩ غادر الأمير سعيد حيفا بعد تسعة أشهر قضاها فيها ، وقبل نزوله الى الباخرة سلمه الكولونيل الانكليزي رسالة مختومة ليحملها معه الى قائد القوات البريطانية في بيروت ، وفيها توصية بان تدفع الحكومة الانكليزية للأمير سعيد راتباً شهرياً قدره ١٠٠ جنيه انكليزي كتعويض عن اقامته الجبرية في حيفا على ان تستوفي هذه المبالغ من واردات املاكه فيما بعد ، فمزق الأمير الرسالة لانه خشي ان يستثمر الانكليز ذلك بالدعاية ضده وأنه أصبح صنيعتهم وصار يتقاضى منهم رواتب ضخمة ، وهو لم ينس اتهامات جمال باشا ضد



مؤتمر رجال الكتلة الوطنية يجتمعون (في بيت الامة)
في بيروت بعد ان منعتهم السلطة الافرنسية من الاجتماع
وانذرتهم بمبارحة لبنان وكان دار الامير ملجأ لهم



عائلته بان اعتبر الرواتب التي تنالها منها مقابل قيامها بخدمات لفرنسا ، مع انها جزء من واردات أملاكها الواسعة في الجزائر .

وفي بيروت استقبل الأمير سعيد استقبالا فخماً ، من قبل الشعب اللبناني الذي عرف الأمير أيام الحكم العثماني بمقالاته الرنانة يدافع بها عن الحقوق المهضومة ، وينتقد المحاولات الاستعمارية ، ومن قبل السلطات الافرنسية التي أملت أن تجذبه لناحيتها ليؤيدها في دعايتها التي كانت تصرف الأموال الطائلة في سبيلها ، وكانت فرنسا ترى في الأمير سعيد الرجل الند للأمير فيصل الذي يمكن ان تتوجه على لبنان اذا أصر اللبنانيون على حكومة ملكية ، وأن تتوجه على سوريا ولبنان إذا أصر السكان في سوريا ولبنان على الملكية . وكانت فرنسا ترى ان المسيحيين يرغبون بالأمير سعيد أكثر من رغبتهم بالأمير فيصل لموقف جده الأمير عبد القادر من حوادث دمشق عام ١٨٦٠ ، ولموقف الأمير سعيد نفسه من حماية الضعفاء والسكان أثناء انسحاب الاتراك من دمشق ، وأن المسلمين يحترمون كلاً من الأميرين فيصل وسعيد لشرفهما ونسبهما . فأسرعت فرنسا الى الحفاوة بالأمير سعيد وأعادت له الراتب الذي كان يتقاضاه سابقاً وهو ١٠٠ ليرة عثمانية ذهباً ، وأوعزت إلى أنصارها بالالتفاف حول الأمير وتأييده ، نكاية ببريطانيا التي كانت نواياها نحو مستقبل لبنان وسوريا لم تظهر تماماً ، وكانت تراوغ كلاً من فرنسا والأمير فيصل .

واتخذ الأمير سعيد قصراً في حي « مينة الحسن » أصبح كعبة تغص في جميع ساعات النهار وأكثر ساعات الليل بمئات الوفود المهنئة بسلامة وصوله ، من مختلف مناطق جبال لبنان ، تطلب اليه ان يتزعم حكومتها ، فاليه يرجع الفضل في تبشيرها بفجر الاستقلال يوم أعلن أول حكومة عربية في بيروت... وبعد عشرة أيام من وصول الأمير سعيد الى بيروت زاره في قصره القائد الافرنسي ستفاني وكان برتبة مقدم (كوماندان) في الجيش الافرنسي واعتزل العمل الحربي لانكسار ذراعه في الحرب ، وانخرط في العمل السياسي ، وعرض على الأمير ان يدخل معترك

السياسة بجانبه وان يكون مستشاره السياسي ، وأن يحل من نفسه محل لورانس من نفس الأمير فيصل ، فاعتذر الأمير مبدئياً قبوله مثل هذه الخدمة الفنية لحاجته الى الراحة بعد ماعاناه من آلام السفر ، وما لاقاه من معاكسة من قبل الحكومة التركية ، أولا في منفاه الى بورسة ، ثم من قبل الحكومة البريطانية في إقامته الجبرية في حيفا ، ثم عاود المقدم الافرنسي ستفاني عروضه وخدمته على الأمير ، وقدم اليه مبلغاً ضخماً من الأموال قائلا : « هذه حفنة صغيرة من مال ؛ أنت بحاجة اليها لتوزعها على رجالك وحاشيتك ، وسأسعى لأقدم لك أمثالها لتساعدك على القيام بالأعمال السياسية ، فلقد اعتدت أن تكون كريماً ، وهذا يساعدك أيضاً على المضي في عاداتك ، ومتى اصطلحت الأمور وتصرفت بإرادات أموالك يمكن أن تحاسب عليها .. » فاعتذر الأمير أيضاً هذه المرة ، لكن أحد أصدقاء الأمير وجيرانه الذين التفوا حوله وهو « ميشيل سرسق » نصحه بقبول المال ليشد به أزره ، وليكون عوناً له على متابعة المطالبة بحق أخيه الشهيد . وبذلك قبل عروض ستفاني جميعها ونزل ساحة العمل السياسي ، واتصل بزعماء بيروت وجبل لبنان وصارت تعقد الاجتماعات العامة والخاصة التي تدعو الناس للالتفاف حول الأمير سعيد (١)

وكانت لجنة الاستفتاء قد وصلت سوريا في ١٠ حزيران ١٩١٩ وطافت بمختلف المناطق الشمالية واستمعت الى مختلف الطبقات والجمعيات في المدن والقرى ، وقد

---

١ كان الخطباء والشعراء يلقون الخطب والقصائد في حضرة الامير عند زيارته ، وكان مما قيل في وصفه من قصيدة طويلة ذكرت فيها اعمال جده العظيم عبد القادر الشاعر جورج بشعلاني :

(ياسعيد) الجدود زانتك منهم ... مكرمات غر ونفس فضاء
اي اصليك لم تطمه المعالي ... جدك المجد ام ابوك العلاء
لفظة منك مدها البرق فلت ... درع جيش دانت له البطحاء
لايلام الحسود ان ذمك اليوم ... فصعب على الحسود الثناء
ان فرداً بلفظة يهزم الجيش ... لفرد ماانجبته النساء
هكذا تنجب الملوك ملوكاً ... للرعايا وهكذا الامراء

بيروت في ٦ تموز سنة ١٩١٩

استلمت في دمشق في ٣ تموز مذكرة المؤتمر السوري الذي طالب فيها باستقلال سوريا بحدودها الطبيعية من طوروس الى رفح ، ومن الخابور والفرات الى البحر الابيض المتوسط ، وأن يوضع الامير فيصل ملكاً عليها . وكانت فرنسا قد غضبت لهذه القرارات ، وهاجمت بريطانيا على سكوتها عن الامور التي تجري في داخل البلاد ، وعملت على ان يرفع مجلس ادارة لبنان قراراً الى مؤتمر الصلح بواسطتها تطلب فيه استقلال لبنان السياسي والاداري وضم الأقضية الاربعة ، وكلفت الباطريارك الماروني بالسفر الى باريز للمطالبة بانشاء لبنان الكبير تحت الحماية الافرنسية.

واستفاد الافرنسيون في بيروت من حوادث سوريا الداخلية ليثيروا مخاوف الاهالي من حكم الأمير فيصل ، وخاصة عندما نشرت حكومة فيصل منشوراً تدعو فيه الناس للتجنيد ، فأخذت الاشاعات تروج بأن الامير فيصل يرغب بارسال الجنود العرب السوريين الى الحجاز لقتال عبد العزيز بن السعود الذي كان قد اختلف مع الملك حسين في الجزيرة العربية ، واتجهت أنظار اللبنانيين الى الامير سعيد لترشيحه على عرش سوريا ولبنان ، فلقد جاء في جريدتي النادي والروضة اللتين تصدران في بيروت بتاريخ ٢٦ تموز ١٩١٩ مايلي :

في دار سمو الأمير سعيد عبد القادر

مابلغ منشور التجنيد في الشام مسامع أهل حلب وحمص وحماه حتى توافدت الجماهير لبيت سمو الامير سعيد من كل هذه الاقطار المذكورة يستغيثون به ويلتمسون ترشيحه للامارة السورية حفظاً لحقوقهم وحقناً لدماء أبنائهم الذين يتهددهم الموت في محاربة ابن السعود ، وكلهم برأي واحد ، يؤيدون هذا المبدأ بكل مالديهم من القوة ويطلبون راية سورية مستقلة ، شعار حكومة ديموقراطية لاصبغة فيها للملك الحجاز ؛ فوعدهم الأمير خيراً ولو اقتضى الامر لبذل النفس والنفيس ، فخرجوا وكلهم صوت واحد يصرخ : فليحي الأمير محمد سعيد .

فلما سمع البيروتيون بهذه الحركة العظيمة ، دبت بهم روح الحمية وشمروا

بضرورة الاتفاق مع اخوانهم في الداخلية ، فتألبوا لدار الأمير زرافات ووحدانا من مسلمين ومسيحيين يؤيدون أمانيهم بالبراهين الدامغة ، ولا غرو فسمو الأمير سعيد أهل لكل إكرام وجدير بكل منصب . أ.هـ

وتألف في بيروت عدد من الجمعيات السياسية التي صارت تتصل بالأمير وتقيم الاحتفالات الشعبية المتعددة في جميع أحياء مدينة بيروت تدعو فيها الجماهير لتأييد الأمير سعيد ، والمطالبة بتتويجه ملكاً ، وكان من شدة احتشاد الناس في هذه المهرجانات الشعبية أن خشيت بريطانيا من ازدياد نفوذ الأمير سعيد لدرجة تقاوم أطماعها علناً ، فسعت جهدها لاحباط مساعيه ، وأخذت تراقب حركاته وسكناته ، لدرجة أن أحد كبار جواسيسها برتبة كولونيل استأجر داراً الى القرب من قصره ليكون على مقربة من كل كبيرة وصغيرة ، وأخذ يراقب كل داخل وخارج الى القصر ويوزع الأموال بلا حساب على أعدائه ليأتوه بتفاصيل محادثات واجتماعات الأمير ، وكان أشهر هذه المهرجانات الشعبية ثلاثاً :

١ ـ الحفلة الاولى اقيمت في المرسح الجديد في بيروت تحت رعايته ، وصفها حنا ابو راشد في كتابه عن الأمير سعيد بقوله :

كان مساء الخميس الواقع في ٣١ تموز سنة ١٩١٩ في المرسح الجديد ليلة زاهرة جمعت الوجوه والأدباء ورجال الصحافة ورؤساء نقابات العمال حتى ضاقت بهم الباحة على رحبها . دخل سمو الأمير فدوى المرسح بالتصفيق المتتابع وبالهتاف الشديد : فلتحي فرنسا . فليحي الأمير سعيد .

جلس سموه في اللوج الرئيسي تحيط به حاشيته الكريمة وبقربه القومندان دوازله ..

فافتتح الحفلة حضرة الأب الفاضل الخوري مارون غصن مؤلف الرواية وصاحب الدعوة بقصيدة عامرة عدد بها مآثر آل عبد القادر ، كان لها استحسان عظيم وهي الآتية :

عرفان الجميل

قصيدة مرفوعة الى الكريم المحتد والأصل وسليل بيت النبل والفضل
سمو الأمير سعيد عبد القادر

« هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم »
هذا سليل قريش من لكعبتها ... في كل عام تحج العرب والعجم
هذا سليل نبي المسلمين فـلا ... تقصروا اليوم في التعظيم ياأمم
ولا تظنوا النصارى قد نسوا نعماً ... أفاضها جده في الشام فاعلموا
إن النصارى كما أنتم أولو ذمم ... لاعاش ذاك الذي ماعنده ذمم
ياابن الأمير الذي قد سل صارمه ... يوماً ليدفع عنا ظلم من ظلموا
قدماً لسد كان مبدأ الترك فاشتعلت ... مابيننا فتنة ضجت لها الامم
فهب جدك حيا الله تربتـه ... وكر بالسيف يحمي من به اعتصموا
قضى الليالي سهراناً وفي يده ... سيف عليه شعار المجد مرتسم
فكيف تنسى نصير الحق في زمن ... كانت حقوق عباد الله تهتضم
لا كانت الترك ان الترك قد بذرت ... بين الطوائف حقداً جنيه الـندم
مرت قرون بنا والعدل مندثر ... والظلم منتشر والحق منهزم
لذاك قامت ملوك الارض شاهرة ... حسام عدل على الظلام فانهزموا
وكنت ياأيها (المولى) مبشرنا ... بالبرق ان جيوش الترك قد هزموا
محقت رايتهم في الشام فانمحقت ... بمحقها صفحتان الظلم والظلم
ورحت ترجع مجداً كان من قدم ... للعرب في الشام لما رفرف العلم
كذاك نحن على لبناننا ارتفعت ... رايات أرز علاها الشيب والهرم
فعاش ذابلها واخضر يابسها ... وقام يحرسها صمصامنـا الخذم
وعاش من فوق سوريا لها علم ... تفيض منه على أوطاننا نعم

٣١ تموز سنة ١٩١٩ — الخوري مارون غصن

وعند انتهاء الفصل الأول من الرواية التي امتلكت القلوب برشاقة اسلوبها وقوة معانيها وبراعة ممثليها، تلا حضرة المؤرخ الشهير الفيكونت فيليب دي طرازي أبياتاً وجيزة كان لها أجمل وقع ...

وبعد انتهاء الفصل الثاني وقف الشاعر الاديب فايق افندي بدران احد محرري جريدة (النادي) وأنشد قصيدة بلسان نقابة العمال العامة معدداً مآثر الامير الغراء المطبوعة بماء الذهب على جبهة الشرق، فتحمس لها الشعب وطلب تكرار بعض أبياتها.

وقد كان يتخلل الفصول انغام الموسيقى الشجية وادبرت المرطبات والحلوى على الجمهور باسم سمو الامير الذي ودع كما استقبل بالحفاوة والاكرام.

وهذه هي القصيدة التي تليت باسم النقابة :

آمال وأماني

افتى الملوك الصيد والاعـــلام — في غير يومك ماصفت أحلامي
هـــذي بلادكم هدمتم معقلا — شادوه فيها فوق ركن دامي
بعزيمة تفري الحديد وعزة — شيدت عليها دولة الاسلام
ورسالة هلموا لها فكأنها — نبـــأ السماء بمصرع الظلام

....

يابن الملوك ومن لجدك ناكر — ذكراً نخلده مدى الاعوام
بالامس جرد في الجزائر عسكراً — يمشي اليه النصر دون زمام
بكتائب تسمو بكل أخي وغى — يلقى الحمام بثغره البسـام
اسد من الاعراب لم يتعودوا — في الحرب غير الطعن والاقدام

....

لك في جبين الشرق أكرم آية كتبت بمجد المرهف الصمصام
نسب لأعرق دوحة وسلالة من خير نبت في البرية نامي
ياطالما حنت ليومك امـــة يحدو بها حادي جوى وهيام
حتى نعى الناعون أشأم دولة وكذا مصير البغي والاجرام
فترنح السوري تجمعه بكم صــلة الاخا وروابط الارحام
كحنو أم أحببت أولادهـا تحنو على شعب لحبك ظامي
ياقائل العثرات إنا نفتــدي بيتاً على هام المجرة ســامي
أبشر فأنت معيد مجد غـابر طمسته كف نوائب الايام

. . . .

نعماك سوريا تعهدك الحيا برضى الامير محقق الاحـــلام
أبناء لبنان الكبير يشوقهم مرآك في خير وفي انعـــام
تمشي بظل فرنسة جنباً الى جنب واقـــدام على اقـــدام

. . . .

مولاي للأيام في نزعاتها يومان يوم هنـــا ويوم سقام
آن الأوان لنبذ مايلقيه فينا ساسة الدخلاء والاخصام
عار علينا ان نباع ونشترى بوظيفة أو درهم ووسام
فانرفعـــنه لواء جمهورية كالنجم يسطع في سماء الشـام»

وفي العدد ٥٤ من جريدة النادي البيروتية لصاحبها حنا ابي راشـد وتاريخ ٥ آب ١٩١٩ نشر مقال بعنوان : «من لايشكر الناس لم يشكر الله» وتوقيع صاحب السمو الأمير سعيدعبد القادر ، وصف فيه الأمير تاريخ خدماته الوطنية منذمقاومته لجمال باشا الى منفاة الى بورسة وعودته حتى مقدمه الى بيروت ،فاغضب ذلك السلطات الانكليزية في بيروت ، واستصدرت امراً من الجنرال اللنبي نفسه بتعطيل جريدة النادي ومنعها من الصدور ، وبقيت شهراً كاملا معطلة ، وسمح لها

بالصدور بمساعي فرنسا والمسيو كوبان الحاكم الاداري الافرنسي العام بعد ان اخذت عهداً من مديو سياستها ان لا يتعرض بنقد الى الحكومة الانكليزية ولا الى الحكومة الفيصلية الموالية لها .

٢ – الحفلة الثانية : وقد اقامتها نقابة العمال العامة في « المنتزه » في فرن الشباك وجاء في كتاب حنا ابي راشد خبر هذه الحفلة في صحيفة ٥٢ :

نقابة العمال العامة

« اجتمع فريق كبير من رؤساء الحرف والفروع في النادي العام في فرن الشباك وقرروا برئاسة المؤسس العام الصحافي الاخ حنا ابي راشد اقامة حفلة تكريمية لضيف بيروت الكريم سمو الامير سعيد عبد القادر ترحيباً بسموه لما له من الخدمات الجلى نحو الانسانية ، واقراراً بجميل جده المرحوم الامير عبد القادر الكبير في سنة الستين واظهاراً لعواطف العمال نحو مبشرهم الاول في استقلال البلاد تحت اشراف فرنسا ، وسموه كان من المدافعين عن حقوق اللبنانيين أمام اللجنة الاميركية ، فعليه تقرر اقامة حفلة تكريمية كبيرة في « المنتزه » الكبير لصاحبه أحدنا الاخ أيوب يزبك فصدق على ذلك ، وتبرع الاخ أيوب بتقديم المنتزه مجاناً اكراماً لسموه . والرئيس يقدم جميع مصارفات الحفلة ، وتقرر أيضاً طبع اوراق دعوة مخصوصة وتعيين نهار الاثنين الواقع في ١١ آب سنة ١٩١٩ الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر موعداً لاقامة الحفلة تحريراً في ٧ آب سنة ١٩١٩

السكرتير والترجمان العام : يوسف غلبوني

وكان برنامج الحفلة :

حفلة نقابات العمال في فرن الشباك

لم تقلب الشمس الى المغيب حتى تقاطرت الوفود على اختلاف طبقاتها من مشائخ وصحافيين وشعراء وادباء وعمال الى فرن الشباك حيث النقابة اعدت بهواً كبيراً بين أغصان الصنوبر مفروشاً بالسجاد والطنافس « والفوتايات » الحريرية

مزينة بالاعلام الافرنسية ومصدرة بشعار النقابة (رغماً عن أوامر الحكومة الانكليزية المحتلة بعدم رفع الاعلام) التي تمثل :

الثبات – النور – الاتحاد – الحرية

ولم تدن ساعة الاحتفال حتى غص المحفل بالمدعوين البالغ عددهم ماينوف عن سبعماية كرسي عدا الذين كانوا وقوفاً في شارع فرن الشباك المزينة بالرياحين واليك بروغرام الحفلة :

بروغرام

نقابة العمال العامة

للحفلة التكريمية المقامة لسمو الامير سعيد عبد القادر

في منتزه فرن الشباك

تفتتح الحفلة برئاسة صاحب السمو الامير سعيد عبد القادر الساعة الرابعة والدقيقة ثلاثين .

كلمة ترحيب مع قصيدة : للاخ جورج افندي يزبك الخوري

قصيدة عرفان الجميل : للاخ يوسف افندي الغلبوني

قصيدة لحفيد عبد القادر : لابراهيم بك الاسود

قصيدة لسان الحال : الاخ علوان افندي الخوري

قصيدة مدح : الاخ عبد الرحمان افندي المجذوب

قصيدة حقوق الامارة : للاخ اميل افندي صعب

قصيدة مديح : للشيخ احمد افندي علي رزق الجزائري

قصيدة عامرة : الاخ بشاره افندي رعد

ثم تخلل الخطب والقصائد تقديم المرطبات والحلويات على اختلافها .

تحريراً في ١١ آب سنة ١٩١٩ نسخة طبق الاصل

السكرتير والترجمان

يوسف غلبوني عمدة نقابة العمال العامة

أما الكلمات التي قيلت فيها فهي :

كلمة ترحيب

أهلا بسمو الأمير الخطير أهلا بسليل بيت الشرف والمجد

مولاي ! سيداتي ! سادتي !

باسم رئيس وأعضاء نقابة العمال العامة في لبناننا الكبير ، ارحب بحفيد الامير عبد القادر الكبير وكفى . ارحب بأكبر عامل في تشييد صرح استقلال هذه البلاد . ارحب بفاتح الشام باسم الحلفاء وقاهر الاتراك باسم سيفه الصقيل ورأيه السديد .

فأهلا بسمو الأمير الخطير أهلا بسليل بيت الشرف والمجد

سادتي :

إن مادعا هذه الهيئة العاملة النشيطة الى اقامة هذه الحفلة التكريمية لسمو زائرنا الكريم هو صوت الواجب الوطني المقدس الذي يأمر كل فتى يجول في عروقه الدم اللبناني الطاهر ليقدم عاطفة الشكر باسمه وباسم رفات أجداده المظام لصاحب الايادي البيضاء والخصال الحميدة ، لحفيد من قلد هذه البلاد جميلا لاتنساه لهامادار بخلدها ذكر فتنة الستين التي أثارها هوس بعض الجهلة ، فخفف ويلاتها بحسن درايته وجميل فعاله المجيدة .

وقد تلطف سموه أيده الله برد الزيارة التي شاءت هيئة النقابة العامة ان تتشرف بها لمنزله العامر فبرهن بذلك على حسن اهتمامه بالصالح الوطني الذي تخدمه هذه النقابة بهمة لاتعرف الكلل ، والهمة التي يبذلها منشؤها ورئيسها الهمام حنا افندي ابي راشد وهي دليل كاف على مانقوم به وما نرجو من كبار رجال هذا الوطن وذواته الكرام ان يمدوها بآرائهم الرشيدة ويعضدوها بما تحتاج اليه من المساعدات المعنوية والادبية والمادية للقيام بهذا المشروع الكبير . ولها ملء الثقة بالنتيجة الحسنة التي يتوخاها بنو لبنان من تأييد استقلالهم واسترجاع اراضيه المنسلخة ،

وذلك بفضل عناية دولة فرنسا الفخيمة المعبودة من اللبنانيين وبمساعي رجال الوجاهة والحصافة نظير سمو الأمير الذي طالما برهن للبنانيين عن حسن نياته في سبيل تأييد امنيتهم وجاهر أكثر من مرة باقتناعه بصوابية مطالبنا الحقة .

سلام على الاريحية التي اشتهرتم بها ابناء لبنان الكبير ، سلام عليكم وعلى الوطن الذي تخدمون وعلى الارز الذي يظللكم وبه تفخرون .

وأما أنت ياصاحب السمو فسيحفر لك على قلوبنا الذكر الجميل كما هو لجدك من قبلك وستبقى هكذا مخلداً ماظللت ارزة له في لبنان وأشرق في الافق النمران »

فرن الشباك في ١١ آب سنة ٩١٩ (أ-هـ)

جورج يزبك

وبلغ من تخوف السلطات البريطانية من نتائج الحفلات الشعبية ان منعت الأمير سعيد من حضور أكثرها ، فهذه الحفلة التي ذكرنا برنامجها والخطب التي القيت فيها لم يتمكن الأمير سعيد من حضورها ، بل كانت صورته الشمسية تمثله على عرش فخم في صدر الاحتفال ، لان الحكومة الانكليزية حشدت قواتها على طول الطرق المؤدية الى حي فرن الشباك ، وأخبرت الحكومة الافرنسية بانها ستمنع الأمير بالقوة من الوصول الى مكان الاحتفال ، وخشيت فرنسا ان تتعرض حياته للخطر فبعث الكومندان ستفاني ورجا الأمير سعيد باسم السلطتين الافرنسية والانكليزية في بيروت الامتناع عن حضور الحفلة خشية على حياته ، وارسل الأمير سعيد ابناء عمه الامراء لينوبوا عنه في الحفلة .

٣- الحفلة الثالثة : اقيمت في قصر الأمير رغم ممانعات السلطات البريطانية في اليوم التالي من الحفلة السابقة واعيدت فيها نفس الخطب والقصائد .

وكان قصره محاطاً من جميع أطرافه بالقوات البريطانية المسلحة لتلقي الرعب في قلوب المدعوين ، كما ان المدرعات البريطانية في المرفأ أرسلت أنوارها الكاشفة وسلطتها على قصره . فزادت بريطانية بهاء الحفلة بهاء دون ان تشعر .

وفي هذا الوقت كان كثير من الناس يفضلون تتويج الأمير سعيد بدل الملك فيصل ، ولقد جاء في جريدة بيت المقدس لصاحبها بندلي الياس مشحور في العدد ٣٨ السنة الاولى ، بتاريخ ٤ ايلول ١٩٢٠ الموافق ٢١ ذو الحجة ١٣٣٨ مقال بتوقيع حسني عبد الهادي هو :

الأمير ابن الأمير

أو مقايسة بين الشريف سعيد والشريف فيصل

قرأت في جريدتنا المحبوبة « بيت المقدس » الغراء خبراً أفعم قلبي جذلاً وحبوراً ألا وهو عودة الأمير ابن الأمير الامير سعيد الجزائري الحسني لسوريا . وأرى بهذه المناسبة أن أقايس بينه وبين الشريف فيصل مستنداً على حقائق محسوسة منزهاً عن كل غرض متوخياً الارشاد الى مافيه الصلاح . وقبل الشروع في المقايسة أرجو من القراء الكرام أمرين :

١ — أن يتأملوا في ما أكتبه ويحكموا فيه العقل والقياس المنطقي عوضاً عن العواطف والمسموعات .

٢ — أن لايظنوا أنني أبتغي من الأمير سعيد أمراً مقابل ما أكتب ، بل أنا رائد حقيقة أتجمها لطلابها ولا يهمني أمر دون ذلك ؛ ثم اني قررت ان لاأتوظف فيما بعد ولذا أقول لعباد الوظائف أنني لم أعاد فيصلا لاجل الوظيفة ، ولم أصاحب الأمير سعيد للغاية نفسها . لقد قضيت ١٥ سنة في أكبر وأعظم الوظائف حتى ملتها نفسي وها أنا أتركها الآن لعشاقها . وبناء عليه فكل ما أكتبه الآن وماسأكتبه في الاستقبال قائم على أساس واحد غير متنوع وهو؟ مصلحة سوريا فقط . هذا ماأتوخاه ومن لايصدق فستثبت له الأيام صدقي كما جرى في قضية فيصل . ألم أصدق في كل ماأسلفت ؟

فلنرجع الآن الى مانحن بصدده . كيف تكون المقايسة بين الرجال ؟ قبل كل

شيء يقرر بعض الأوصاف الثابتة والمقرر امتيازها ومقارنتها للفضيلة ثم ينظر في نصيب الرجلين المقايس بينهما من تلك الاوصاف ويجري الحكم على هذا القياس. فما هي الأوصاف اللازمة للرؤساء؟ هي عشرة:

١ — الحسب والنسب. ٢ — العلم. ٣ — الشهامة. ٤ — المال. ٥ — القوة ٦ — الثبات. ٧ — الشهرة الحسنة. ٨ — الجد. ٩ — الاعوان ١٠ — الماضي الحسن المنزه عن الاضرار بالوطن.

هذه الأمور العشرة أراها ضرورية لمن يبغي الرئاسة. فاذا نقص منها أمر واحد فلا بد ان تنقلب الآية مع طالب الرئاسة. وهو وان حظي برهة بمرامه فلا بد أن يخسر أخيراً. وبينما يراه الناس نجماً يتلألأ في كبد السماء اذ هو حصاة مهملة على سطح الغبراء.

أولا الحسب والنسب: أيهما أشرف الأمير سعيد أم الأمير فيصل؟ كلاهما من نسل النبي (صلعم) الاول حسني والثاني حسيني وما الفرق بين الحسن والحسين؟ انهما اذاً يتساويان من جهة الشرف.

ثانياً العلم: الأمير سعيد يحمل شهادة من المدرسة السلطانية في الاستانة والأمير فيصل لم يدرس الا في المدارس الابتدائية، وإذا قال بعض مشايعيه انه متخرج في المدرسة الملكية فأقول ان هذا عار عن الصحة وهذا جدول متخرجي المدرسة الملكية (اي مدرسة العلوم الحقوقية والسياسية) بين يدي، ولم أر ذكراً للأمير فيصل منذ تأسيسها الى الآن. وبما أنني من خريجي هذه المدرسة فأعرف جميع الناشئين فيها يوم أسسنا جمعية خريجي الملكية قبل عشر سنوات. ثم أن الأمير سعيد يعرف اللغتين الانكليزية والافرنسية، وأما الأمير فيصل فلا يعرفها أبداً، وكلاهما يعرف اللغة التركية ولكن فيصلا تعلمها من الخدم والجواري وسعيد تعلمها في المدرسة وشتان مابين الطريقتين. والأمير سعيد يتقن اللغة العربية وهذه مقالاته تزين الجرائد، وأما الأمير فيصل فانه لايعرف الا اللغة العامية فقط.

والأمير سعيد خطيب والأمير فيصل يتلجلج في الكلام فضلاعن الخطابة ، والأمير سعيد يقرأ يومياً « التيمس » و « الطان » ، ويقف على مجرى أحوال العالم بالذات والأمير فيصل يحتاج الى مترجم .

إذاً كفة الأمير سعيد هنا أرجح من كفة الشريف فيصل .

ثالثاً الشهامة : هذا أمر معنوي يحتاج الى براهين حسية وبما انه لايخلو من المدح والقدح فأرى اجتنابه اليق . ولكنني أقول انني لم أسمع عن الأمير سعيد ميلا الى التجسس والافساد وقتل الابرياء والتفريق بين المسلمين والنصارى والنفرة من العلم والعلماء والتجربة والمجربين والفضيلة والفضلاء مثلما سمعت وشاهدت من الأمير فيصل . وهذه الأمور تظهر فيما اذا تولى المشار اليه الحاكمية . ولا يمكنني قبل ذلك أن أقول شيئاً .

رابعاً المال : الأمير سعيد أغنى من الأمير فيصل بمرات . وللثروة تأثير كبير على نفس صاحبها تجعله عزيز النفس . فالأمير سعيد لايبعثر الأموال يميناً وشمالا لانه يعرف قيمة عرق الجبين ، أما الشريف فيصل فقد كان ينفق كل ما في يده لانه لايعرف معنى الثروة الخاصة .

ومن كسب النضار بغير جد — يهون عليه تبذير النضار

فهو لذلك كان ينثر الدراهم بلا حساب . ولكن على من ؟ لقد عرف الناس كلهم على من كان ينثرها !

إذاً ترجح كفة الأمير سعيد من هذه الجهة ايضاً .

خامساً القوة : حزب الأمير سعيد أقوى من حزب الأمير فيصل بمرات . لاسيما ورجال الأمير سعيد هم العلماء والافاضل والاصلاء وحزب الأمير فيصل هم أولاد صغار متعلمون نصف تعلم . وغاية مناهم وظيفة او عشرون ليرة يقبضونها شهرياً ولو أقاموا في بيوتهم .

وللأمير سعيد علائق ودية بكثير من أشراف الاوربيين الذين له عندهم

المقام الأول لما هو عليه من الاخلاق المصرية الرضية . أما الأمير فيصل فانه يلبس الكوفية والعقال الى الآن ولا يعرف لغة اوربية تمكنه من محادثته الناس وعقد صلات صداقة ووداد معهم .

كان الأمير فيصل يخاف من الأمير سعيد والأسباب عديدة . فهو رئيس المغاربة المقيمين في الشام وهم اشداء ذوو بأس بخلاف الحجازيين الذين يخافون من خيالهم . وهو رئيس حزب المتعلمين لاسيما مأذوني المدارس العليا . وكاتب هذه الحروف كان ولا يزال واحداً منهم ويفتخر برئاسة الامير سعيد الشريف العالم الشهم الغني بذاتة القوى بصفاته . أما الأمير فيصل فلم أقبل ولن أقبل برئاسته لانه بعيد عن المزايا الأربع المذكورة . وأمثالي مأذونو المدارس العليا كثيرون ويبتهجون اذا رأوا من الأمير سعيد ميلا الى قبول الرئاسة في سوريا . ويعضدونه لا كما عضد فيصلا أشياعه لاجل الدينار بل يعضدونه لاجل الوطن والشرف. يعضدونه بالعلم والتجارب المديدة لابالتدليس والخطب الرنانة وحفلات الشاي الأنيقة .

وللأمير سعيد نفوذ واسع في الشام لاسيما عند اخواننا المسيحيين حرمة لجده الأمير عبد القادر الذي كان لهم العضد الأكبر في حادثة الستين . فالأمير سعيد اذاً صاحب الصوت الأقوى في الشام ، والمقام الأعلى عند العالم الاسلامي لمحامده ومكارم عائلته . أما الأمير فيصل فانه لم يكتسب قلباً واحداً في سوريا الا بالدرهم أو بالوظيفة فشتان مابين الرجلين .

اجتمع عالم من علماء الدين مرة بالأمير سعيد وأفضى بينهما الحديث الى الكلام عن العاجز . فقال له العالم : هل قرأت مايكتبه حسني عبد الهادي منتقداً سياسة الشريف فيصل ؟ فأجاب : كنت أقرأ ذلك في جريدة الزهور البغدادية حينما كان فيصل في خليج العقبة . وقد مرت السنون ولهجته لم تتبدل . وهو يكتب تحت سماء الشام مثلما كان يكتب تحت سماء الاتراك . ألا يمكنك ان تعرفني بهذا

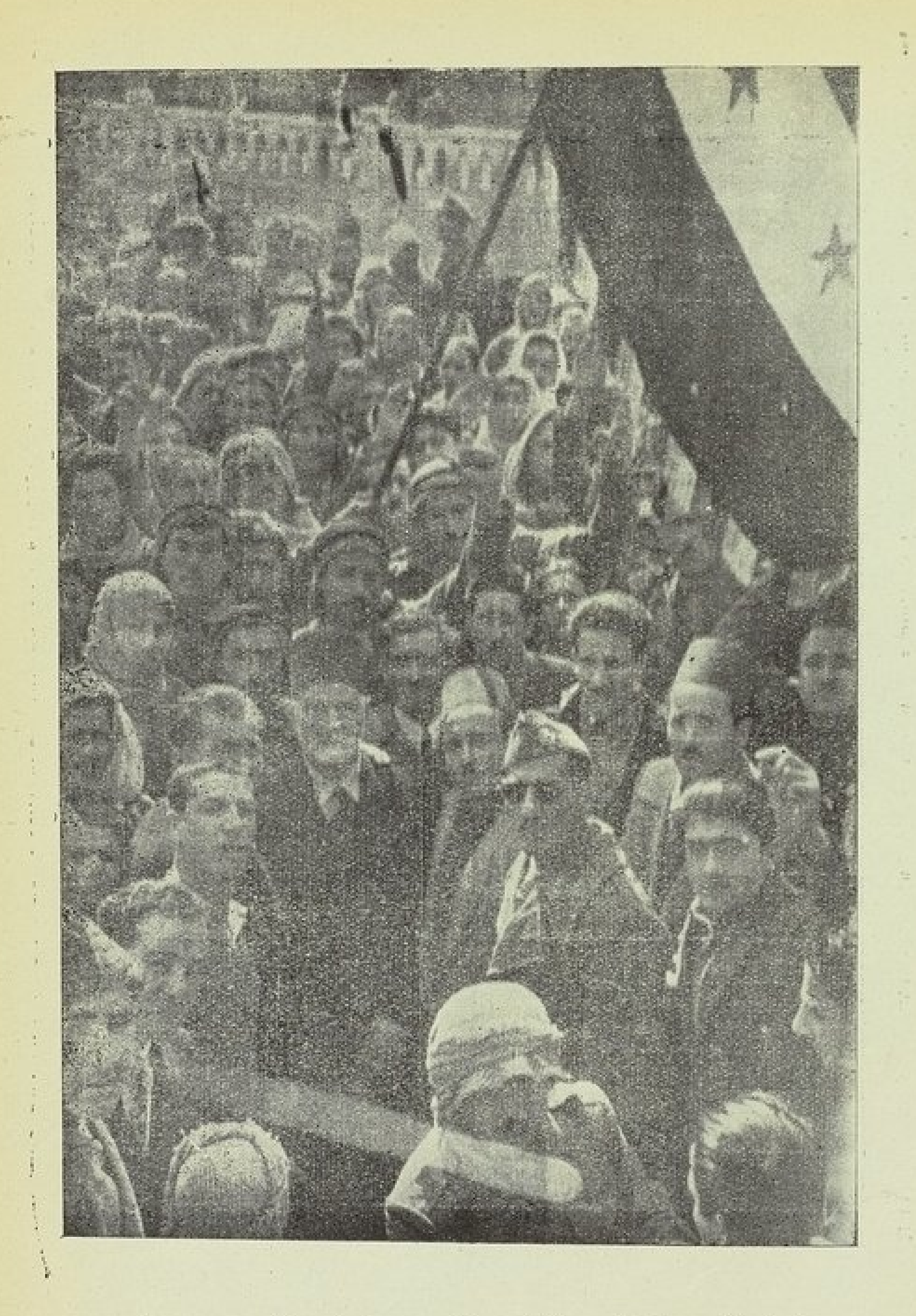
الشاب ولك وله عندي كل ماتريدون ؟ فقال الاستاذ : هذامستحيل ولايقابلك ابداً لانه يخاف ان يقال انه مدفوع من قبلك . وهو لايعمل الا بارشادوجدانه. وقد عرفته من عهد قريب . — فكان بعدئذ ان كل مغربي جاء الشام يسعى بأن يأتي بي الى الأمير سعيد وأنا امتنع . ومن هنا يستدل على انه شهم يقدر المخلصين ولو بذل شيئاً من عزة نفسه . وقد امتنعت مرة عن مقابلة الأمير زيد فكانت النتيجة أن أصدر أمره لخمسة وعشرين بوليساً بأبعادي الى عمان . فتأمل رعاك الله بين الحالتين ! امتنعت عن مقابلة الأمير سعيد فازداد حباً بي وشوقاً . وامتنعت عن الأمير زيد فأراد نفيي رحمة الله عليك ياابن خلدون فقدأحسنت وصف الحجازيين!

والسبب في ذلك ان حاشية الأمير سعيد جماعة عقلاء يأتون الامور من أبوابها ، وأما جماعة الأمير فيصل فأكثرهم غلمان يظنون العصا قاضية الحاجات .

سادساً الثبات : الأمير سعيد ثابت منذ نشأ في المدرسة على سياسة واحدة.أما الأمير فيصل فكان في أول الأمر تركياً ثم انكليزياً ثم عربياً ثم (كليمنسوياً) ثم لاأدري ماذا !

سابعاً الشهرة الحسنة : أي مسلم ذهب الى الحج ورجع وهو يحب الحجازيين؟ وأي عربي يتصور الشريف فيصل وهو يضرب الامام يحيى لأجل نيشان ويقول انه عربي ؟ كم مرة ضرب الحجازيون اليمن والعسير لاجل نيشان ؟اليس اليمنيون والعسيريون عرباً ؟ وكيف يضرب العربي العرب مرضاة للسلطان عبدالحميد؟ فلو كان عربياً او محباً للعرب أما كان يجب عليه ان ينسحب من العالم الرسمي لئلا يتلطخ تاريخه بهذه اللطخة السوداء ؟ وهذا فان شهرة الشريف فيصل سيئة عند العرب والمسلمون الساكنون في أقطار العالم البعيدة يكرهون الحجازيين كرهاً عجيباً لان الحجاج الذين يبيع الواحد منهم قميصه وفراشه رغبة في الحج يقتل او يهان هناك لأحقر الأسباب .

اذاً شهرة الأمير سعيد أحسن من شهرة الأمير فيصل بمرات .



صورة تمثل الامير وفرقة من المجاهدين في سبيل فلسطين الذين جمعهم على نفقته وقد استشهد العشرات منهم في ساحات فلسطين والامير في الوسط يقود احدى هذه الفرق .

تاسعاً المجد : الشريف فيصل رجل غريب عنا عرفتنا به السياسة ولولاها لما سمعنا باسمه . أما الشريف سعيد فانه ابن سوريا ولد وترعرع تحت سمائها . وهو ذو حق حقيق بها ولا يعرف له وطناً غيرها ، يتكلم بلهجة السوري لا بلهجة البدو واللهجة جذابة . عاداته كعادات السوريين ومصالحه مصالحهم . ولذلك فان له موقعاً في قلوب الناس بالنظر الى الاشتراك في اللهجة والعادات والمولد والتعليم والاملاك والمصالح . والمجد الحقيقي هو المكانة في قلوب العقلاء من الناس .

تاسعاً الأعوان : النصارى عموماً يحبون الامير سعيد وكلهم السنة شاكرة للخدمات التي قدمها لهم جده الأمير عبد القادر . والمسلمون قسمان اولئك الذين اسكرهم الدعوى فيركبون غارب الخيلاء ويصعدون الى العلاء يبنون القصور في الهواء ولا يستيقظون الا على صوت سقوطهم الهائل . هؤلاء هم جماعة فيصل أمس وأعداؤه اليوم . وما خلا هؤلاء فهم أعوان الشريف سعيد وهم الاكثرية الساحقة .

عاشراً الماضي الحسن : لم نسمع عن الأمير سعيد انه أضر بالوطن بشيء . لم يضرب الأمام يحيي ولم يكسر شوكة الادريسي ، ولم يذل أحداً من العرب ولم يساوم على مصالح المسلمين ولم يسع ليجعل سوريا قسمين مسلمة ونصرانية . بل كل ما رئي منه وسمع عنه انه كان يحب التآخي بين المسلمين والمسيحيين . ولهذا فان ماضيه حسن نقي من كل شائبة . أما الأمير فيصل فالله أعلم بحاله وقد مر أعلاه شيء عن ذلك . فالأمير سعيد يرجح اذاً على الأمير فيصل من عشرة وجوه .

***

عفواً ياسمو الأمير لمقايستك بذلك الأمير . وأنا أعلم أن هذا حط من قدرك ولكن ما العمل والبروباغندا الفيصلية الدينارية قد غيرت وجه الحقائق وشوهته وثق ان العالم الاسلامي والاوربي يعرفك كما أنت .

وقبل الختام اريد أن أعرض على القراء الكرام هذه النكتة ليروا كيف كانت سياسة فيصل وكيف ان مصرع الظلم وخيم :

كنت مرة جالساً ومعروف افندي صاحب جريدة الاستقلال فجاءني حلمي افندي بوليس التحري وقال لي ان مدير البوليس يريد مقابلتك . فصحبته عند المدير فقال : ان الامير زيد يريد ان تخرج من بلاده ، فقلت لاأخرج إلا بأمر تحريري أو بأمر بوليسه فيخرجني قسراً . فسكت مدير البوليس بهجت بك وقال أراه ثم اجيبك . فقلت ارجوك ان تسأله عن السبب وان تقول له ان حسني يريد محاكمة ليسمع الحاضرون قضيته ويرى الناس ان الحجازيين الذين يريدون استقلال سوريا يحرمون ابناءها من أقدس وأقدم الحقوق وهو الاقامة فيها . وأي استقلال يقول بطرد السوريين من دمشق ليحل محلهم أعراب الحجاز ؟ ان كان هذا هو الاستقلال فانني اخرج من نفسي . وهل ان الحرية الحجازية هي التي تمني ان يحظر على الرجل معاطاة مهنته مهنة المحاماة في عاصمة سوريا ؟ وعاد الي بعد يومين وقال أريد أن اقابلك مع الامير . فقلت وكم اميراً لسوريا . واحد هنا وواحد في اوروبا فمع ايها تريد ان تقابلني ؟ عندئذ أخذ يعتذر لي قائلا ان الامير يحبك ولكن الواشين وشوا بك . فقلت : يالله ماهو ذنبي ؟ فقال أخذنا رابوراً من بيروت يقال فيه انك من رجال الأمير سعيد وان جماعته منقسمين على ترشيحك لاحدى الوزارات . قسم يريدك للمعارف وآخر للخارجية . والامير سعيد يريدك للداخلية بشرط ان لاتدع على وجه سوريا حجازياً . ولهذا فأن الامير لايحب ان يراك او يسمع باسمك . فقلت عندئذ يامن لاتخافون الله ! واقسمت الايمان المغلظة انني لم ار وجه الامير سعيد ولم اطلب منه شيئاً ولا أعلم بهذا الترشيح . وان هو الا تزوير بحت من جواسيس فيصل المنبثين في بيروت . فقال الرجل : أنا أعرف منزلتك وسأسعى لازالة سوء التفاهم بينك وبين الامير . ولكني لم أقبل وسافرت وهذا هو الأمير قد عاد وليثق القراء انه لم يجر بيني وبينه بحث بالسياسة ولاعلاقة لي بسموه ابداً . لافي تلك الاوقات ولا اليوم ، ولكن هي وشاية واش نمام عارية

عن كل دليل كفت لتخريب بيتي وشقاء أولادي مدة اربعة اشهر بالتمام . وأنا أعرف وحدي ماقاسيت من المشقات عقيب تلك الوشاية .

لهذا وأمثاله هدم الله ذلك العرش المبني على الوشايات والنميمة .

نابلس في ٢٩ آب ١٩٢٠

حسني عبد الهادي

وبعد أيام من هذه الحفلة الاخيرة دعي الامير سعيد لحضور حفلة رابعة كبرى في جونية ، وكان الداعون لهذه الحفلة قد رتبوا الامور على دعوة كبار اللبنانيين المسيحيين والمسلمين والمناداة بالامير سعيد ملكا على البلاد ، وحاولوا كتمان الامر عن الامير نفسه ، وحتى لا تمنع السلطات البريطانية اقامتها ، وحتى يفاجئوها بالامر الواقع ، لكن عيون الانكليز وجواسيسهم كانوا في كل مكان ، فنقلوا نيات المحتفلين الى السلطات البريطانية ، فاحتج الجنرال اللنبي على هذه الاحتفالات ، وهدد السلطات البريطانية بسكوتها عن أعماله وقال : « إن بقاء الامير سعيد في بيروت خطر على السياسة البريطانية ، وإذا لم تجبره السلطات الافرنسية على ترك البلاد ، فأنا بنفسي سأتركها والتي تبعية ذلك على الحكومة الافرنسية . » ثم قرر الانكليز القيام بعمل حاسم دون انتظار تأييد فرنسا لهم ، في اليوم التالي من دعوة الامير لحضور اجتماع جونية وكان يوم الجمعة ، بينما كان الامير سعيد يستعد للذهاب الى صلاة الجمعة على عادته ، دخل قصره ، بدون استئذان ، عدد من الضباط الانكليز شاهرين سلاحهم ، فعجب الأمير لهذا التعدي على حقوق الافراد ، وصاح بالافرنسية نحو الضباط : « ماذا تريدون من دخولكم قصري ، ولم ترفعون السلاح في وجهي ؟ كأنكم في ساحة حرب ، أو أمام عدو ترهبون أن يقتالكم ... اعلموا انكم في حرم الأمير سعيد الجزائري الآمن ، وكل من دخله آمن ... أعيدوا سلاحكم إلى مواضعه ، وقولوا ماذا تريدون ؟ » فأجاب أحد الضباط : « هو أنت

الأمير سعيد ... » فقال : «نعم !...» فقال الضابط : « أنت موقوف بأمر الجنرال اللنبي... » وتقدم من الأمير سعيد ليقبض عليه ، فقال الأمير بلهجة هادئة متزنة : « حسناً ، اجلسوا ، وأنا ليس من عادتي أن اناقش ضباطاً صغاراً أمثالكم مجبورين على تنفيذ الاوامر الصادرة اليهم ، وسأجهز نفسي للسير معكم لمقابلة الجنرال اللنبي واحتج لديه » فأجاب الضابط : « لانستطيع ان نسمح لك دخول غرفتك الخاصة حسب الاوامر المعطاة لنا ، بل يجب ان تسير معنا كما انت الآن » الأمير : « والى أين ؟... » الضابط : « الى البحر... » الأمير : « وماذا يوجد في البحر حتى أسير اليه... » الضابط : « إن باخرة على الساحل تنتظرك » الأمير : « ولكن كيف أركب الباخرة وأنا في هذه الثياب ؟ وللامراء ملابس خاصة لكل مناسبة ، فلا بد من أخذ حوائجي وتبديل ملابسي » فأصر الضابط وهدد باطلاق الرصاص ، وكان الى جانب الأمير سعيد ابن عمه الامير عز الدين شهيد الثورة السورية ١٩٢٥ - ١٩٢٦ فحاول ان يثور في وجه الضابط ليجبرهم على الانصياع لرغبة الأمير سعيد ، لكن هذا منعه قائلا : « ليس هذا أوان الشجاعة والمقاومة .. » وما خرج الأمير سعيد من باب قصره حتى شاهد المصفحات البريطانية المحيطة بالقصر ومدافعها الرشاشة متجهة نحوه . وعلم أن الاوامر كانت اعطيت للضباط ان يضربوا القصر ويهدموه على سكانه ان وجدوا فيه جمعاً حاشداً من الناس ، وكان القصر من حسن الحظ ، خالياً من ضيوفه ، لان عائلة الأمير كانت في المصيف في ضهور الشوير ، والوقت وقت صلاة الجمعة ، والمسلمون في استعدادهم لاداء فريضة الصلاة ، والمسيحيون كانوا في عيد لهم صدف ذلك اليوم ، فلطف الله بالأمير وضيوفه . وأنزل الأمير أمام البنك العثماني المطل على البحر في بيروت ، وصعد سلم باخرة كانت واقفة بجانب الرصيف ، واستقبله كولونيل بريطاني بوجه باش ، وقاده الى

الجناح الذي خصص له على ظهر الباخرة وأخبره انه مسافر على الباخرة ، لان الجنرال اللنبي أمر بنفيه من بيروت ، واستلم سلاح الامير الذي يرافقه دائماً ،لان حمل السلاح في البواخر ممنوع حتى على العسكريين،ووعده باعادته اليه بعد وصوله الى منفاه ، ثم سأل الكولونيل الامير إذا كان يرغب ان يرافقه في رحلته بعض أعوانه ، وقد رضخ الأمير للأمر الواقع ، وسلم الكولونيل بطاقة منه يدعو فيها بعض خدمه ، فجاءوا بهم بعد لحظة ، ودهش عندما رأى من بينهم الضابط توفيق الشريف وابن عمه الامير مختار واسرا اليه انهما أحبا مرافقته ، وجاءا باسم خدم الامير . وعندما وصلت الباخرة الى بور سعيد انزل الامير وصحبه وقدمت لهم سيارة لتقلهم الى القطار الذاهب بهم الى القنطرة ، ولشد مادهش الضباط المرافقون للأمير ، من تجمع الناس حول سيارة الامير في محطة القطار وهتافهم بحياته ، وخاصة عندما علموا ان الامير سعيد يفد الى هذه المنطقة لاول مرة ، وكان الناس قد علموا بوصوله من كاتم سره الضابط توفيق الشريف الذي سمح له بالنزول والتجول في المحطة باعتباره خادم لايستطيع ان يفعل شيئا . وفي القنطرة اقتيد الامير الى معسكرات الاعتقال الكبرى التي أقامها البريطانيون لأسرى الترك ، واستقبله ضابط انكليزي قاده الى خباء كبير وسط فسحة صغيرة تحيط بها الاسلاك الشائكة ، وفي وسطها سرير واحد أعد له ؛ أما رفيقاه فما كان عليهما الا افتراش الثرى . وفي الصباح استيقظ الامير على عادته . وبعد الوضوء خرج فأذن بصوت عال وتقدم لصلاة الصبح ، فاذا عشرات من العمال والاسرى المسلمين الذين استيقظوا على صوته وهو ينادي : حي على الصلاة ، حي على الفلاح . وهي أول مرة يسمعونها في تلك المعتقلات ، فسارعوا الى مصدر الصوت واقتدوا به في الصلاة ، وبعد اداء فريضة الصبح التفوا حوله ، وعرفوه وحيوه ، مما أزعج قادة المعسكرات

وخشوا حدوث فتنة وعنوا الخلاص منه ، وما كادت شمس أصيل ذلك اليوم ترسل اشعتها على تلك المنطقة الصحراوية حتى شعر الامير بحر المكان . فطلب ورقة وقلما وكتب احتجاجاً شديد اللهجة الى الجنرال اللني رأساً ، بين له فيه ان هـذه الاجراءات مخالفة لجميع الانظمة الدولية . وان واجب الجنرال ان يحيله الى المحاكم المختصة ان كانت هناك تهمة موجهة اليه . فجاءت أوامر اللني بنقل الامير الى القاهرة ...



الى فرنسا

ارسل الامير رأساً الى قلعة محمد علي بالقاهرة التي خصصت آنذاك لتخفي وراء جدرانها عدداً من رجالات العرب الذين كانوا يناهضون السياسة البريطانية. وما كاد الامير يدخل بابها الرئيسي في طريقه الى الغرفة التي اعدت لضيافته في القلعة حتى سمع صوتاً يدوي في احدى القاعات «يعيش الامير سعيد الجزائري زعيم الامة العربية»، ورردده عدد من المعتقلين في صعيد واحد، وتجاوب أصداء الزبد في أطراف المكان، ويعقبه حركة سريعة من الحراس، لاسكات المتحمسين وزجرهم عن مخالفة قوانين السجون، والمعتقلات، وكان الامر، ان احد هؤلاء المعتقلين وهو السيد جودت الجندي من سكان حمص لمح الامير من تقرب باب غرفة السجن، ومن ورائه الجند تحرسه، فعلم انه اصيب بما اصيب به الكثيرون من اعتقال وتوقيف. ودفعه حماسه ان يصيح صيحة لاشعورية بتحية الامير تحية الزعماء، ليعلمه ان مكانه محفوظ في صدور الناس، سواء كانوا طلقاء احراراً، او كان على افواههم الرقباء. وان الضغط الذي تفرضه السلطات البريطانية لايستطيع ان يدخل اعماق القلوب ويقتلع منها التقدير والاخلاص لمن تعتقد فيه الزعامة والاخلاص... وكانت هذه البادرة الغريبة التي استقبل بها الامير منذ اللحظة الاولى سبب تخوف وحذر من سلطات قلعة محمد علي، فقد خشوا حدوث ثورة في القلعة، واعتصاب الموقوفين، وعجبوا من شهرة الامير وجاذبيته وكيف انه في كل مكان يحل فيه يجد انصاراً ومؤيدين ومعجبين، فقد نقلوه من معتقلات

القنيطرة الصحراوية لان العمال والاسرى التفوا حوله . وهنا بين جدران قلعة محمد علي عرف رأساً وصاح القوم بتحيته رغم مايتهددهم من عقوبات فمنعوه من الخروج من غرفته حتى لايتصل باحدى المساجين ويحدث مالا تحمد عقباه ثم سمحوا له بعد ثلاثة أيام الخروج في كل نهار ساعة واحدة برفقة احد كبار الضباط من القلعة في الوقت الذي يكون فيه جميع المسجونين محجوزين وراء الابواب الموصدة واصيب الامير وهو في القلعة بألم في أضراسه ودعي له طبيب انكليزي برتبة كولونيل فرفض المداواة على يده وفضل ان يتحمل آلام اضراسه عن ان يستسلم الى رجل ينتمي الى الامة التي حجزت حريته وقبضت عليه وساقته مرغماً من بلاده الى هذا المكان النائي المنيع .

وكانت موجة من الاستياء العام قد انتشرت في مدينة بيروت على اثر سريان خبر اعتقال الامير سعيد من قبل السلطات البريطانية ونفيه الى مكان مجهول ، وتتابعت الاحتجاجات على السلطات الافرنسية في بيروت لانها لم تستطع حماية الامير من ان يصل الى أيدي السلطات البريطانية وتقبض عليه بتلك الصورة التي تأباها القوانين والعدالة ، كما تتابعت الاحتجاجات على السلطات البريطانية التي أقدمت على عمل منفرد في بلاد يتقاسم فيها النفوذ دولتان هما فرنسا وبريطانية ، وكان الجنرال اللنبي يتلقى هذه الاحتجاجات ولكنه لايجيب عليها ، وبدأت المفاوضات تدور بين اولي الامر في الدولتين الافرنسية والبريطانية على مصير الامير سعيد ، وانتهى الاتفاق على نقل الامير الى فرنسا على ان تتعهد بان لاتسمح له بالعودة الى بلاد الشام وانما تحمله الى موطنه الاول وهو بلاد الجزائر ، فتتوجه هناك ملكا على الجزائريين الذين يرون في احفاد الامير عبد القادر الابطال المنقذين . ووصلت اوامر الجنرال اللنبي بالافراج عن الامير سعيد وتسليمه الى القنصل الافرنسي مخفوراً في بور سعيد على ان يبقى تحت المراقبة حتى يبحر .

وكانت الصحافه العالمية تتسابق الى نشر المعلومات عن اعتقال الامير وتصريحات

المسؤولين عن اسباب ذلك ، ومن امثلة ذلك ماجاء في جريدة (المقطم) المصرية في العدد ٩٢٦٩ الصادر يوم الجمعه في ١٢ سبتمبر (ايلول) ١٩١٩ :

باريس في ٩ سبتمبر - قال اللورد اللنبي في حديث جري في مرسيليا ان الامير سعيد (الجزائري) اوقف لاسباب حربية محضة فانه كان يعمل ضد الادارة الحربية في سوريا وفلسطين ويخالف جميع النظامات ، ولم يعبأ بالاحكام العرفية ثم ذكر انه مستعد لاطلاق سراحه اذا قررت الحكومة الفرنسوية نفيه من سوريا حيث لا ينجم عن سلوكه الا القلاقل والاضطرابات .

كما جاء في نفس العدد من الجريدة المصرية خبر الافراج عن الامير ونقله الى فرنسا ثم الى موطنه الاول (الجزائر) واثر ذلك :

باريس في ٩ سبتمبر - ابتهجت الجرائد بختام الحادث الذي نجم عن ايقاف الامير سعيد لانه موجب للارتياح ، وقد سلم الامير الى قنصل فرنسا وسيعاد الى وطنه في أول باخرة تسافر الى مرسيليا .

فلاعجب اذا احتشد الصحفيون على رصيف مرفأ مرسيليا بانتظار وصول الامير والتسابق الى نشر تصريحاته حول الموقف العام في الشرق العربي، وأخبار رحلته من بيروت الى مصر ومنها الى فرنسا، وكان اول مندوب دخل عليه وهو لايزال على ظهر الباخرة هو مندوب هافاس محاولا إحراز قصب السبق بكتابة اخباره ولكن سرعان مادخل بقية الصحفيين فاستقبلهم بشاشة وأخذ يجيب على اسئلتهم المتعددة باللغات التي يعرفونها لافرق لديه بين التركية والافرنسية والانكليزية. فاعجب الجميع به وشكروا له اكرامه لهم وسارعوا الى صحفهم يزودونها بالحديث الصحفي ، وكان سرعة انتشار اخباره في الصحف التي ظهرت طبعاتها قبل ان يرتاح الامير من عناء سفره في افخم فندق في المدينة سببا في ازدياد تخاوف الحكومة الانكليزية من الامير وخشيتها من ان يتعلق الناس به في باريز ويؤيده السياسيون فيها ، فعملت مع الحكومة الافرنسية على منعه من الوصول الى باريز وتغيير وجهته الى مدينة ايكس آن بروفانس .

وأخبر ان اقامته في جنوب فرنسا ستطول ويسمح له بطلب زوجته واولاده من بيروت ، فرضخ للامر الواقع واذن لعائلتـه بالالتحاق به واختار مدينة نيس لتكون مقاما له طيلة شتاء ذلك العام هو وعائلته .

وكانت الصحف الفرنسية في هذا الوقت وهي تهيء افكار العالم لما كانت تضمره للملك فيصل في سـوريا من كراهية وما تعمل في الخفاء لازاحته عن العرش واحتلال سـورية تحاول ان تقارن دائماً بين الامير سـعيد والملك فيصل وتدعو الساسـة الافرنسيين الى العمل على رفع الامير سـعيد على العرش الذي يحتله فيصل وكان الانكليز والافرنسيون قبل إقدام غورو على انذار الملك فيصل وقبل موقعة ميسلون اتفقوا على ان يغضوا الطرف عن اعمال فرنسا ضد مملكة سوريا المستقلة فأخذت الصحف الانكليزية والامريكية تؤيد أقوال الصحف الافرنسية في تفضيل الامير سعيد على الملك فيصل وكان من أشهر هذه المفاضلات مقالة لمراسل جريدة (التايمس) في باريز بتاريخ ١٩ تموز عام ١٩٢٠ وترجمتها الى اللغة العربية الصحف العربيـة الامريكية الموالية للسياسة الافرنسية ، منها مجلتا (السائح) و (مرآة الغرب) انتطف منها الكاتب اللبناني حنا ابي راشد في كتابه عن الامير ص ٤٥ ـ ٤٧ مايلي :

« ان الحرب اذا كان لابد منها فهي ستكون حرباً بين خصمين هما الامير فيصل والامير سعيد الذي يؤيده الجيش الفرنسي ، فقد كان فيصل حتى هذا الحين يستطيع ان لايعبأ بخصمه اذ كان ظهره وزاره الخارجية الانكليزية واذا لزم الامر فالجيش الانكليزي ، ولكن سلوكه وسلوك سـواه من زعماء العرب ممـا حول شعور الانكليز عنهم وزادفي ، قام الامير سعيد الذي عدا عن انه حاصل على مؤازرة الفرنسويين له فان نظارة الهند الانكليزية تؤازره ايضاً ضـد ابن ملك الحجاز وهذه النظارة ترى فيه خير رجل يكون زعيما مسلماً على الشرق الادنى لانه أقل من سـواه طموحا .

منذ عدة اشهر والخلاف قائم بين هاتين النظارتين الانكليزيتين ويحمل اتخاذ الفرنسويين هذه الخطوة العسكرية على التميز الذي اكتسبته مكانة الامير سعيد فانهم بالرغم من ميل اللبنانيين والمسيحيين في سوريا لم يتمكنوا من احراز شأن لهم او نفوذ في مقاومتهم فيصلا فقد هوجمت مراكزهم مراراً وأوامرهم كانت تشجب من العصابات العربية التي تتبعت مشيئة فيصل او لم تتبعها، وكان الجنرال غورو قد ارسل بلاغه النهائي الذي قابله فيصل باحتجاجه على الزحف الفرنسي لكي يضع حداً لتلك الغارات البدوية والمصادمات .

الا انه مهما تكن نتائج الحالة الحاضرة بين فيصل والفرنسيين فليس الا قليل من الرجاء بالسلام ، فان زعيم الحركـــة العربية الذي جعل الانكليز اباه ملكا على الحجاز والذي هو نفسه صار ملـكا على سوريا ليس له الا وطر واحد وهو محاولته ان يكون مستقلا عن كل نفوذ اوربي وان يحكم من عاصمته في دمشق مملكة ممتدة من خليج العجم الى البحر المتوسط .

اما الامير سعيد فمختلف بحالته عن خصمه فهو سياسي بينما ان فيصلا حربي والامير سعيد ايضاً طالب ثأر ايضاً فانه اذ وصل فيصل الى دمشق بعد انكسار الترك وجد فيها حكومة موقتة قد أقيمت قبل وصوله وعلى رأسها الامير سعيد .

الى ان قال :

ولد الامير سعيد في مدينة الشام وله اليوم من العمر سبع وثلاثون سنة وهو متوسط القامة جميل المنظر مهيب الخلق رضي الاخلاق ليس على شيء من الكبرياء ولا عرف شيئاً من معاني التعصب وقد درس في الجامعات الكبرى وهو يجيد اللغات الاجنبية كالفرنسوية والانكليزية وله علائق ودية مع كثير من أشراف الاوربيين الذين يحفظون له المقام الاول في صدورهم لما هو عليه من الاخلاق المصرية ، وهو عظيم الثروة وله نفوذ واسع في الشام وكل سوريا عدا ماله من

حقوق الزعامة على عموم المغاربة المقيمين في دمشق بعد هجرتهم اليها مع جده عبد القادر الكبير ، ولصهره عطا بك عميد عائلة الايوبي الشهيرة جاه عريض ونفوذ كبير في المنطقة الداخلية السورية وهو رئيس لحزب كبير غايته مناهضة الحجازيين ومقاومة استبدادهم في أحكام سوريا يخشى بأسه فيصل ويتعب خاطره ويكثر مخاوفه وهواجسه .

بناء على هذا فيكون للأمير سعيد الصوت الأقوى في البلاد من الأمير فيصل الذي لا مراء بعدم النصير اذا الوى عن سوريا يوماً واحداً فانه لم يكسب قلباً واحداً في كل سوريا الا بالدرهم وبالوظيفة او بالتخويف او بالتهديد خلاف القلوب التي تعضد سعيداً فانها تحبه لذاتيته الرضية ولحامد عائلته ولكونه فعلا من أبناء البلاد لا من الدخيلين الطامعين بها الجاذفين بحياتها واللاعبين على روحها في سوق القمار .

اذا كان لابد لسوريا من حاكم يورث الحكم الى بنيه وبني بنيه الى ماشاء الله فالأمير سعيد أحق من فيصل بل هو ذو حق حقيق وذاك لا حق له البتة . فان سعيداً سوري ولد تحت سماء سوريا وفي ارضها ، ولا يعرف له وطناً غير سوريا وقد نشأ بين سوريين فله غيرة على شؤونهم الوطنية يهمه مايهمهم بخلاف الغريب الطامع الذي يهمه مالا يهم أبناء البلاد ، بل هو يجعلهم مطية لمطامعه ويعرضهم للهلاك في سبيل حصوله على بعض أمانيه .

فيصل قد أفل نجمه فانه وضع نفسه بين النار والبحر ، فاما ان يسلم سوريا بشروط غورو فيخسر مكانته عند بني سوريا ، وإما أن يستأسر لقوات الفرنسويين فيرسل الى منفى سحيق أ.هـ

وكان سبب سكوت بريطانيا عن أعمال الجيوش الافرنسية في لبنان ضد سوريا المستقلة وضد الملك فيصل ، ان المجلس الأعلى للحلفاء اجتمع في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ في سان ريمو في ايطاليا وقرر وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الافرنسي ، ووضع

العراق تحت الانتداب الانكليزي ، وكذلك فلسطين مع تنفيذ وعد بلفور للصهيونيين ، ولذلك فان حملة صحفية في امهات الصحف الاوربية اخذت ترجح حكم الملك فيصل وتؤيد الاحتلال الافرنسي لسوريا الداخلية بعد أن تم احتلال الافرنسيين للساحل السوري ، وكان الجنرال غورو قد عين في اواخر عام ١٩١٩ مفوضاً سامياً افرنسا في سوريا ولبنان ، وأخذ يهيء احتلال الداخل والقضاء على المملكة الجديدة ،فأرسل انذاره في ١٤ تموز ١٩٢٠ الى الملك فيصل بدمشق بخمس مواد أهمها قبول الانتداب الافرنسي والتعامل بالعملة الورقية الجديدة التي اصدرتها فرنسا وتسريح الجيش السوري الفتي ؛ ورغم قبول الملك فيصل لهذا الانذار وبدئه بتسريح الجيش السوري ، فان الجيش الافرنسي زحف على دمشق بحجة تأخر جواب الملك فيصل الى الجنرال غورو ، وكان قائد الجيش الزاحف الجنرال غوابيه ، وغادر بيروت في ٢١ تموز ١٩٢٠ ووصل الى روابي ميسلون يوم السبت في ٢٤ تموز ١٩٢٠ ، وكان الجيش العربي مرابطاً هناك بقيادة يوسف العظمة وزير الدفاع ، ولم يكن يزيد عدد الجنود النظاميين معه عن ٤٠٠ جندي و ٢٠٠ هجان يضاف اليهم حوالي اربعة آلاف متطوع متحمس ، بينما كان الجيش الافرنسي يضم ست كتائب فرسان وسبع بطاريات مدفعية ورشاشات يؤيده سرب من الطائرات وانتهت المعركة باستشهاد يوسف العظمة مع ١٥٠٠ شهيد عربي ودخول الجيش الافرنسي دمشق بعد ظهر الاحد في ٢٥ تموز في وقت ركب فيه الملك فيصل وعائلته وحاشيته القطار الى درعا ثم توجه الى اوربا للدفاع عن القضية العربية

وبعد ان احتلت فرنسا سوريا الداخلية ، وقضت على المملكة السورية الناشئة وأمنت على نفوذها في سوريا الداخلية والساحلية سمحت للامير سعيد ان يعود الى سوريا ، فلقد كانت تحجزه في فرنسا لكي تهدد به الملك فيصل ، وكثيراً ما كانت تعرض عليه تاج سوريا فيأبى قائلا : انى لأكون ملكاً انتخبه الشعب وأيدته الامة وان أقبل أن أكون سبب تفرقة كلمة السوريين واللبنانيين . فكانت الحكومة الافرنسية مقابل تشدد الامير سعيد بذلك تتابع مراقبتها له ، وتمنعه من العودة الى سوريا خشية ان يتصل بالملك فيصل ويخبره بالحقائق وان فرنسا تحاول استثماره ،

رغم ان فرنسا سمحت للأمير سعيد ان ينتقل الى باريز حيث يبقى ثلاثة اشهر فيها وهم يراوغونه ، ويعدونه في كل يوم بالسماح له بالعودة الى اوطانه ، وغادر الأمير سعيد مرسيليا عقب معركة ميسلون ووصل بيروت في اوائل شهر آب ١٩٢٠ فاستقبله الشعب بحماس منقطع النظير ، واقبل عليه اصدقاؤه وأنصاره اللبنانيون يجددون مبايعتهم له ؛ واحتفالاتهم به ، لدرجة ان فرنسا خشيت ثانية ان يفوق نفوذه وتأثيره في الجماهير على نفوذها الذي نالته في لبنان بالتقرب من بعض الطوائف والجماعات ، وفي سوريا بقوة الدم والحديد ، وكانت احدى الخطب التي قيلت في في حضرة الأمير سعيد في بيروت عقب عودته مانقله ابو راشد في كتابه :

« ياسليل البيت الكريم ! انت أميرنا الأكبر ولا نريد ان نعرف سواك أميراً . شاءت مظالم العهد الفيصلي البائد فكانت سيوفنا مع فيصل وكانت قلوبنـــا عليه . وهيهات ان تتغير الجواهر اذا تشوهت الأعراض .

مولاي ! اذا نيلت الامارة بالتضحية فأنت ضحيت اكثر من الجميع . او بالجدارة فأنت أجدر من نري فينا . أو بالأخلاص فأنت اكثر الناس اخلاصاً لوصية عظيمة استرخصت في سبيل صداقتها النفس والنفيس وبلاد بذلت لهـــا مافي قلبك من العواطف ومافي نفسك من القوى . او بارادة الشعب فالشعب لايعتمد الا عليك ولا ينادي الا بك ، واذا نيلت الامارة بالشرف فأنت ابن محمد ﷺ ويكفي بمحمـد شرفاً ينطح السحاب .»

ومما نذكر من جواب الأمير له : لقد انتهت مهمتي الأولى ولي في جهادي تعزية كبرى على ماكلفتني راحة الوطن .

انا بحاجة الآن الى الراحة ، اما اذا دعتني الامة لخدمتها فاني مستعد اصرف آخر نسمة من حياتي في سبيل رفاهية البلاد وسعادة الامة والسلام عليكم .»

نسأل الله ان يطيل حياة هذا الأمير وينيل سوريا على يده كل رقي واقبال انه سميع مجيب . أ.هـ

عهد الانتداب

في اوائل ايلول ١٩٢٠ أعلن الجنرال غورو قراراته بتسريح الجيش الوطني في سوريا ، وباستقلال لبنان عن سوريا بعد ان اضيفت اليه الأقضيه الاربعة وهي : حاصبيا وراشيا وبعلبك والبقاع وسمي « لبنان الكبير » كما أعلن تقسيم سوريا الى أربع دويلات وسنجق مستقلة استقلالا اداريا وماليا وهي : دولة دمشق ودولة حلب وحكومة العلويين وحكومة جبل الدروز وسنجق الاسكندرون ، ثم عاد الجنرال غورو وأصدر في ٢٩ حزيران ١٩٢٢ قراراً بانشاء اتحاد بين دول حلب ودمشق والعلويين برئاسة صبحي بركات نظراً لما رآه من رغبة ملحة عند السكان الوحدة . ولكن خلفه الجنرال ويغان الغى هذا الاتحاد السوري في اواخر عام ١٩٢٤ وانشأ « دولة سوريا » برئاسة صبحي بركات وتضم سوريا الداخلية ، وأبقى على انفصال العلويين وجبل الدروز ، ولواء الاسكندرون . وقد سئم السوريون الطرق السلمية في المطالبة بوحدتهم واستقلالهم ومعاملتهم معاملة حسنة من قبل الدولة المنتدبة ، وكانوا قد ثاروا عقب دخول فرنسا الى سوريا ثورات عديدة في حوران وفي جبل العلويين بقيادة الشيخ صالح العلي ، وفي جبل الدروز بقيادة ابراهيم هنانو ، وفي دير الزور ، ولكن ثوراتهم هذه قد اخمدت بسرعة من قبل الجيوش الافرنسية التي تفوقها عدة وعدداً ، فشكل السوريون الأحزاب الوطنية ذات المناهج المنتظمة المطالبة بحقوق المواطنين . وقد تألفت وفود من حلب ودمشق في اوائل ١٩٢٥ قابلت الجنرال ساراي المفوض السامي الجديد عقب ويغان وبسطت له أماني البلاد

وشكواها من سوء معاملة الموظفين الافرنسيين الذين سيطروا على دولاب العمل الحكومي ، وسوء سياسة التفرقة في البلاد وما تؤديه الى ضعف اقتصادي ، ولم يرتح الوفدان لنتائج هذه المقابلة ؛ وأخذت نفوس الوطنيين تغلي من جراء تغاضي رجال الحكم الافرنسي عن حقوق السوريين الصريحة ، وصدف ان الافرنسيين لم يرعوا حرمة العرف والتقاليد الدرزية ، فقبضوا على أحد اللاجئين الى دار سلطان الاطرش زعيم اسرة الطرشان في الجبل ، ثم رفضوا اقتراحات وفد درزي بتعيين حاكم وطني على الجبل بدل الحاكم الافرنسي ، وتآمروا على هذا الوفد ، بأن قبضوا على بعض رجاله فوراً وأودعوهم السجون ، فثار سلطان الاطرش في ٢٢ تموز ١٩٢٥ وهاجم المراكز الافرنسية ، ومالبثت شرارة الثورة أن ألهبت جبل الدروز وجعلته اتوناً مستعراً من نيران الدروز الشجعان .

وعلى أثر اتصال الأمير حمد الاطرش بالدكتور شهبندر زعيم حزب الشعب في دمشق ، امتد لهيب الثورة الى دمشق ، وخرج أبناء دمشق ورجالها وكبار الوطنيين فيها الى الغوطة رافعين لواء الجهاد المقدس ضد الافرنسيين المستعمرين ، وأخذوا يصلون الحاميات الأفرنسية نيراناً حامية ، ومنعوا وصول الحملات العسكرية العدوة الى الجبل ، وسرعان ماتنادى السوريون في كل صقع الى حمل السلاح في وجه العدو الغاشم ، فانضم سكان جبل قلمون الى الثورة ، واتفق زعماء مدينة حماه الخالدة على العمل مع اخوانهم زعماء دمشق والجبل ، وخرج القائد فوزي القاوقجي بجنوده عن طاعة الجيش الافرنسي وهاجم دار الحكومة في حماه ثم انسحب ليتصل بباقي الأبطال ، وليقدم خبرته العسكرية الى المتطوعين من الثوار ، وأخذ الثوار في كل مكان يتفوقون على الجنود الافرنسية النظامية ويوقعون بها الخسائر الفادحة حتى اضطرت الحكومة الافرنسية أن تبعث بالنجدات من فرنسا ومن سائر المستعمرات الافرنسية ، وان ترسل الى سوريا خيرة قوادها ، فأرسلت الجنرال ميشو الذي خسر معركة المزرعة مع الدروز ، ثم استعاضت عنه بالجنرال غاملان الذي ظن ان

عبقريته الحربية تتيح له اخماد أنفاس الثوار بحركة التفاف واحدة ، ولكن الصدمة الاولى بينه وبين ثوار الغوطة كانت كافية لتحطيم أعصابه وتبديد ظنونه ، وتفهيمه ان الروح الوطنية المتأججة في الصدور أقوى بكثير من الجند المنظم ووسائل التقتيل والتدمير الميكانيكية .

خلال تتابع هذه الحوادث الدامية ، شعر الأمير سعيد بضميره الحي يلح عليه ان يعمل لحقن الدماء . كما عمل يوم خروج الاتراك من دمشق ، ودخول الجيوش العربية والانكليزية خلال الحرب العالمية الاولى ، وان يقوم بمساع يخدم بها البلاد خدمات لاتقل عن حمل السلاح في ساحات الجهاد ، فقصد مدينة عاليه حيث يصطاف المفوض السامي الافرنسي الجنرال سراي ، وأخذ يسدي اليه النصح ، بأن لايريق الدماء الزكية هدراً ، وأن يقر بمطالب الوطنيين الحقة ، ويعترف بالحقوق التي وضعتها لهم جمعية الامم وأن لايعامل السوريين معاملة أهالي المستعمرات ، فلقد سبقوا البلاد العربية الى حمل مشعل القومية والنهضة الحديثة خلال القرن الماضي وقدموا دماء خيرة رجالهم يوم شنقهم جمال باشا في دمشق وبيروت ، لتروي أرض الوطن ، وتنبت الحرية التي يستنشقها ابناؤه ، وتنادوا للعمل تحت راية الحسين في الثورة العربية الكبرى ؛ لتأييد قضية الحلفاء العامة ، ولنوال استقلال ناجز تام ، لاليخرجوا من تسلط الترك ، ليقعوا تحت كابوس الاستعمار الافرنسي البغيض . وكاد الجنرال سراي يعمل بمشورة الأمير بعد عدة مقابلات واجتماعات ، لولا أن جاء عاليه في ذلك الوقت حاكم دولة سوريا صبحي بركات الذي كان يضغط على السوريين تقرباً من الافرنسيين ، ويحقر من شأن ثورتهم ليبقى متربعاً على كرسي الحكم ، وكم تعمي كراسي الحكم أفئدة الحاكمين وأبصارهم عن رؤية الحق والانصياع له ؟ فعاد المفوض السامي وأخبر الأمير سعيد انه قرر متابعة الثوار وملاحقتهم والقضاء على حركتهم بالقوة العسكرية مهما كلفه ذلك من ضحايا وخسائر ، فعاد الأمير الى دمشق وهو مؤمن بقوة الثوار وبخيانة صبحي بركات للثوار وللافرنسيين

معاً ، لان متابعة القتال ليس من مصلحة الطرفين ، ولان الرضوخ لمطالب الوطنيين السوريين أمر لابد منه لاقرار السلام في ربوع بلد أقسم أبناؤه على تضحية النفس والنفيس في سبيل حريتهم ، وما هي إلا أيام حتى كانت معارك المسيفرة والمزرعة والغوطة دروساً عظمى في الوطنية والاخلاص والتضحية والشجاعة ، انتصر فيها الثوار على جيوش افرنسية جرارة كاملي العدة . تؤيدهم الطائرات في السماء ، والدبابات والمصفحات على الارض ، وبعض الخونة ممن لاخلاق لهم بين صفوف الثائرين ، وارتفع فيها سلطان الاطرش ، وعدد آخر من الطرشان وحسن الخراط والقاوقجي والاشمر وعشرات أمثالهم الى مصاف الابطال ، وكان المفوض السامي الجنرال ساراي قد قدم دمشق وأقام في دار العظم بالبزورية ليشرف عن كثب على مقاومة الثائرين والقضاء عليهم ، ولما أعيته الفنون العسكرية باطفاء روح أوقدها الله في نفوس المؤمنين من عباده ، عمد الى الحيلة والمكر ، فأرسل وراء الأمير سعيد ، وخاطبه عندما دخل عليه في قصر العظم : « انظر هذه الأعلام العديدة التي غنمناها من الدروز ؛ وأشار بيده اليمنى الى عدة أعلام ممزقة بجانبه ، انها دليل النصر الذي احرزته قواتنا على العصابات الدرزية . فما عليك وقد رأيت بأم عينيك بشائر هزيمتهم إلا ان تتصل بهم وتقنعهم بالرضوخ لي ، وتفهمهم بان فرنسا دولة قوية جداً ، لايضيرها عصيان بعض رعاياها ، بل تستطيع ان تسحقهم دون كبير عناء ، إني أقول لك ذلك شفقة مني على دمائهم وأموالهم ومزارعهم » . فأجاب الأمير بما معناه : « ان البعوضة تدمي مقلة الأسد » ، وأفهمه أن روح الثوار المعنوية لم تكن في يوم مضى أقوى منها اليوم ، وأن الخطر يتهدد الافرنسيين فيما لو انضم سكان سوريا الشمالية في حلب والفرات الى اخوانهم في حماة وحمص ودمشق والقلمون وجبل الدروز ، وان مفاوضة شعب ثائر في سبيل حريته والاعتراف له بمطاليبه أجدى بدولة فرنسا التي تفاخر التاريخ والأمم الراقية بأنها أول من رفع صوتاً في سبيل حقوق الانسان وأول من نادى أبناؤها خلال الثورة الافرنسية الكبرى

باستمدادهم لمساعدة الشعوب الثائرة على حكامهم المستبدين ، يوم وثب الافرنسيون على الملكية الافرنسية وحطموا قيودها ، وأودوا برأس مليكهم لويس السادس عشر تحت المقصلة . ولكن أنى لمثل هذا الكلام المنطقي ، والاستشهاد بحوادث التاريخ ومحاولة اثارة العاطفة الانسانية التي اتبعها الأمير أن تفعل بنفس رجل عسكري لايخضع الا للقوة ، ولا يفهم قانوناً في الحياة إلا قانون الطعن والقتال ، فلذلك عندما تتابعت الهزائم على الجيوش الأفرنسية ، ولم تعد تستطيع أن تخرج من دمشق ، وأن تتعدى في حركاتها جسر تورا ، وهو جسر صغير ، لايزيد طوله عن ستة أمتار قائم في مدخل الغوطة من دمشق ، بل أن الثوار تطاولوا على على السلطات الافرنسية وصاروا يقتحمون قلاعها واستحكاماتها وسط مدينة دمشق التي تحصنوا بها ، يدخلونها ليلا ، فيقتلون الجنود ويغنمون سلاحهم ، ويعودون آمنين مطمئنين الى مراكزهم بين الاشجار والصخور ولا تستطيع قوات الجنرال ساراي ان تفعل شيئاً .. نعم عندما تتابعت هذه الهزائم على الجيوش الافرنسية بقضها وقضيضها طأطأ ساراي رأسه للأمر الواقع . وفكر جدياً بالمفاوضة عسى يكسب الوقت خلال المفاوضة ، فيحتفظ بالبقية الباقية من جنده على قيد الحياة ، فأخذ يتوسل لمفاوضتهم ، وبعث اليهم بعض الحياديين من السكان ، فاعلن الثوار على أثر مؤتمر عقدوه في الغوطة ان « لامفاوضة قبل الجلاء » واستدعى الأمير ليجعله وسيط خير بينه وبين الثوار ، لكن هؤلاء الشجعان لم يمهلوا ساراي كثيراً ، اذ تقدم المرحوم حسن الخراط بجماعة من شباب دمشق المجاهدين وسط عاصفة من طلقات البنادق تتساقط عليهم كوابل المطر ، واقتحموا أسواق دمشق حتى أشرفوا على قصر العظم حيث يقيم ساراي مفوض فرنسا السامي في سوريا ولبنان ، وأشعلوا في جنباته النيران ، وهاجموا القصر من أعلى جدرانه ، وتسللوا الى داخله يريدون القاء القبض على ساراي ، وكأنهم رحبوا بالموت الذي يتربص كل من يقترب من القصر ، وهزئوا بقوة الافرنسيين ، ودخلوا حجرات القصر ،

فلم يجدوا ساراي الذي اسقط في يده ، وفر من القصر في تلك الساعة الرهيبة داخل دبابة بحماية عدد من المصفحات ؛ كما يفر كل جبان وسط المعركة ، ولم يطق ان يبيت ليلته في دمشق ، بل تابع فراره الى بيروت في مصفحة سريعة الجري ، ومن هناك اتصل بصبحي بركات رئيس الدولة ، وبالضباط الافرنسيين الذين خلفهم وراءه في دمشق ، وأمرهم بضرب مدينة دمشق بقنابل المدافع والطائرات حتى يجعلوا أعاليها أسافلها . ويدكوا دورها الامنة . ويقتلوا نساءها وأطفالها وشيوخها تحت الانقاض انتقاماً لنفسه من الثوار ، وتغطية لفراره من وجه المهاجمين ، وهو الجنرال... الذي لايشق له غبار في الحروب .

ووضعت المدافع على جميع القمم المحيطة بالمدينة وعلى ابراج قلعتها الرابضة في وسطها ، وحلقت الطائرات في الجو ، وفي لحظة واحدة القيت القنابل المدمرة والمحرقة من مختلف العيارات والحجوم ، فكانت تمثل في سقوطها كالمطر المنهمر فوق الدور الآمنة الوادعة حقد الافرنسيين ونقمتهم . وخرج الثوار من دمشق ليجنبوا مدينتهم الخراب والتدمير ويحموا أهاليهم ونساءهم وأطفالهم من القتل حرقا او تحت ردم البيوت ، ويعتبروا دمشق مدينة مفتوحة لايجوز التحصن فيها ولا إطلاق النار ، ولكن الافرنسيين لم يعترفوا لهم بذلك وتجاهلوا انسحابهم من المدينة وتابعوا خلال اربع وعشرين ساعة كاملة يزهقون الارواح ويهدمون الاحياء بلاشفقة ولارحمة ، وكان الناس بعضهم استسلم لقضاء الله وقدره وقبع في داره ينتظر رحمته ليموت تحت الانقاض ، او تخطئه شظايا القنابل فيسلم من اذاها ، وبعضهم هام على وجهه فترك داره الآمنة وسار في الشوارع مضطربا مذعوراً لايلوي على شيء ولا يعرف اين تقوده رجلاه ، وكان أهالي حي الميدان والشاغور من المنطقة الجنوبية من دمشق أكثر الأحياء تعرضاً للقنابل ، لانها – على حد دعوى الافرنسيين – آوت الثوار وآزرتهم ، وبعضهم دفعته حميته الى الخروج من مأمنه ودعوة الهائمين الفزعين الى دخول داره يجدوا فيها المأوى والطعام

بعد ان خربت القنابل دورهم ، وأحرقت مؤنهم ، وكان الامير سعيد أحد اولئك الذين دفعتهم الحمية لجمع الرجال حوله وتقديم المساعدة لكل من أصيب بأذى القنابل وتخريبها وفتح باب داره للوافدين ، فاذا بها تغص بهم على رحبها ، وكان في مقدمتهم وجهاء حي العمارة وحمام القاضي ، وكان من بينهم نخبة من رجال دمشق كالمرحوم عطا بك الايوبي وعارف القوتلي وعبد القادر العجلاني والد منير العجلاني ، وعيد العجلاني وكثير غيرهم .. فقام الامير بواجب الضيافة ، وبعد ان اطمأن القوم أخذوا يتداولون بأمر المدينة واستمرار قذفها بكل نوع من وسائل التدمير ، وبينما هم على هذه الحال قدم المرحوم الشيخ تاج الدين الحسيني موفداً من قبل والده العلامة المرحوم الشيخ بدر الدين يرجو الأمير ان يرأس وفداً من أعيان المدينة ممن سلم من نيران الافرنسيين ليقابل مندوب المفوض السامي ويتفق معه على ايقاف صب ميزاب المدافع ، وسار الوفد برئاسة الامير وكان من أعضائه الشيخ تاج الدين الذي صار فيما بعد رئيساً للجمهورية ، ونسيب بك حمزة والامير مصطفى ابن عم الامير سعيد ، ولكن عندما خرج الوفد من حي العمارة في اتجاه الصالحية شاهد القنابل تتساقط هنا وهناك ، وسمع أزيز الرصاص ينبعث من الاستحكامات الافرنسية من كل حدب وصوب ؛ فالتفت الشيخ تاج الدين الى الامير سعيد وقال له :

— ارجع يا أخي ! فان الطريق خطر جداً واذا لم نقتل خطأ بايدي الثوار فان رصاص الافرنسيين الذي يصوبونه على الجميع دون تمييز سوف يخترق صدورنا واحشاءنا .

فالتفت الامير سعيد وقال :

— كيف نعود وأحياء المدينة تنهار تحت وطأة القنابل؟ واذا استمر الحال على ذلك فلن يبقى فيها حجر على حجر ولن يخرج من بين انقاضها حي يرزق. واذا خفت وأردت العودة فانا وحدي أسير لمقابلة المندوب وافاوض بشأن ايقاف النار.

وتابع الوفد طريقه حتى اذا أشرف على نهاية سوق ساروجة وأطل على طريق الصالحية شاهد ثلة من جنود السنغال والمغاربة بقيادة ضابط فرنسي تصوب بنادقها نحوهم ، وتنتظر الامر باطلاق حشايا هذه البنادق عليهم ، فصاح الامير باللغة الفرنسية وبصوت عال سمعه الضابط والجنود :

— لاتطلقوا النار فانا الامير سعيد الجزائري جئت على رأس وفد لمقابلة مندوب المفوض السامي .

وكان الضابط يعرف الامير من قبل ، فأوقف الضرب وسأله عن مهمته ، فأخبره انه يريد ان يتحادث وساراي ويتفق معه على هدنة موقتة ، فكلف الضابط اثني عشر جنديا من جنوده بحراسة الوفد حتى وصل دار الأركان العامة الواقعة تجاه دار البرلمان الحالية ، وطلب مقابلة الجنرال غوابيه قائد موقع دمشق وحدد له موعد المقابلة بعد خمس دقائق ، وفي هذه الاثناء كان صبحي بركات المقيم بجوار دار الاركان العامة قد شاهد رجال الوفد وأدرك سبب مجيئهم فخشي ان يتفقوا مع الافرنسيين فترك الدار وجاء مسرعا . ودخل على الجنرال غوابية ودس له ان رجال هذا الوفد كانوا من مؤيدي الثوار والمحرضين على دخولهم دمشق ، وانه لو صبر الفرنسيون ساعة اخرى واستمروا بقصف المدافع فان المدينة لاشك تستسلم وتنبذ الثوار وتطردهم ، فاقتنع غوابيه من حديث رئيس الدولة السورية صبحي بركات وأرجأ مقابلة الوفد الى بعد الظهر حتى ينجلي الموقف وتحدث المعجزة التي وعده بها بركات وتضيع الفائدة التي جاء الوفد من أجلها .. وبينما كان الوفد ينتظر وهو لايدري مايحاك ضده بالخفاء خرج السيد « اوبوار » مندوب المفوض السامي في دمشق من احدى الغرف وهو يترنح ذات اليمين وذات اليسار من شدة السكر والتفت الى الشيخ تاج الدين وقال له بلهجة الثمل :

— الا تزال على قيد الحياة ؟ لك حظ ان تعيش .

ومد يده الى جيبه وأخرج مسدسه وكاد ان يطلقه على الشيخ تاج ، لولا ان

الامير سعيد أغلق الباب في وجهه وأبعد الشيخ بيده الاخرى عن رد الجواب المندوب

ثم عاد المندوب للخروج والتفت الى الامير وقال له : « ماذا تريدون ؟ »

فاجاب الأمير :

— جئنا لسببين : الأول انقاذ سمعة فرنسا وشرفها ، والثاني انقاذ المدينة من الدمار .

فعجب المندوب وقال بدهشة وعجب :

« سمعة فرنسا ؟ ماذا تقول ؟؟.. »

فاجاب الامير بلغته الافرنسية الطلقة :

— نعم سمعة فرنسا ! هل شهد تاريخ فرنسا حادثة اطلاق النيران على مدينة آمنة مطمئنة كما حدث لدمشق اليوم ؟ وايس للمدينة من ذنب سوى ان عدداً من الثوار لا يتجاوز المائة دخلها عنوة ولم تستطع جنودكم صدها .

المندوب — انك تبالغ ياسمو الامير ، فالمدينة ثائرة بأسرها والشعب يطلق النار علينا من كل ناحية من نواحيها ، ألا تسمع باذنك اصداء الرصاص يتجاوب في الفضاء من كل اتجاه ؟ على كل فما تريد من زيارتك ؟

الامير : « اريد ان تأمروا بايقاف الضرب حالا ، ونحن نتعهد باقناع الثوار بمغادرة المدينة ، فنريد هدنة موقتة يتوقف فيها قذف المدافع ، واذا لم ننجح في مسعانا فلكم الخيار ان تفعلوا ماشئتم ، أما ضربكم السكان الآمنين دون سابق انذار فهذا مالا يقره لكم قانون ولا عرف .

المندوب : مادمتم قادرين على اخراج الثوار من المدينة فلم لم تمنعوهم من دخولها ؟

الامير : « لامجال الآن لمثل هذا الحديث الطويل ، فلقد وشى لك الواشون اننا شجعنا الثوار على دخول المدينة ومهاجمتكم في صميم تحصيناتكم ، ونحن من ذلك براء ، وغداً سينجلي الموقف وينفلج الصبح لكل ذي عينين ، فان ظلمكم من ناحية وضعفكم من ناحية اخرى سبب جميع ماترون من حوادث دامية ، ولولا

ارتكابكم هذا العمل الانتقامي ، وضربكم المدينة دون تفريق بين المحاربين والمسالمين لما جئنا بهذه الوساطة التي نقصد بها انقاذ أرواح الابرياء وانقاذ سمعة فرنسا وشرفها من العار ...»

المندوب : « لا نتمكن ايقاف أعمال النسف والتدمير بشكل من الاشكال قبل ابعاد الخطر عن بعض مراكزنا التي يهددها الثوار »

الامير : « حسناً ، لنتفق على موعد توقفون به أنتم عدوانكم ومدافعكم ، ويوقف الثوار قبله هجومهم على مراكزكم »

المندوب : « اتفقنا ، فعودوا أنتم الى أحيائكم ، وأفهموا الثوار أنني سآخذ على عاتقي ايقاف الضرب في تمام الساعة الثانية عشرة من هذا اليوم اذا توقف رصاص المجاهدين عقب اتصالكم بهم ، وهناك شرط آخر ، لكي لا أعاود اصدار الاوامر بتجديد ضرب المدينة ، وهو ان تتعهدوا بعودة الحياة في المدينة الى مجاريها الطبيعية كأن شيئاً لم يكن ، وتفتح المخازن والمحلات التجارية أبوابها ويخرج الناس للبيع والشراء »

الامير : « ولكن شرطك الأخير من الصعوبة بمكان ، فكيف نستطيع أن نعيد الطمأنينة الى النفوس ، ولم تتركوا داراً لم تخرب ، ولا عائلة لم تفقد عزيزاً من أعضائها ؟ وكيف يأمن الناس على أنفسهم ونيرانكم تهددهم في كل ساعة ؟

المندوب : « لست أدري كيف السبيل الى ذلك ؛ وإنما هو شرط أساسي لابد من تنفيذه ... »

الأمير : « لا مانع من اصراركم وتعنتكم ، فسنحاول المستحيل وننقذ البقية الباقية من الاحياء ودورهم »

وما كاد الأمير والوفد يغادرون دار الاركان العامة للجيش الافرنسي ويرجعون من حيث أتوا ، حتى أخذت المدافع توجه قذائفها نحو حي العمارة حيث قصر آل الجزائري الفخم ، ذلك ان الجواسيس وبعض ذوي النفوس الدنيئة أسروا في أذن

المندوب ان الثوار التجأوا الى دار الأمير سعيد ، وأنه لولا اتصاله بهم اتصالا وثيقاً ، ولولا رجاؤهم له أن يتوسط بينهم وبين الافرنسيين لما غامر هذه المغامرة وتجاوز الأسلاك الشائكة وجاء اليهم رغم أزيز الرصاص في كل مكان ، واشد ما كانت دهشة رجال الوفد عظيمة عندما شعروا ان القذائف بدل أن تخف وطأتها ازدادت عدداً وقوة انفجار ، وكأن هدفها الآن أصبح قصر آل الجزائري حيث اجتمع مالايقل عن ثلاثمائة نفس مابين شيخ وامرأة وطفل وشاب ، وشوهدت طائرة تحوم فوق الدار ثم القت قنبلة ضخمة أخطأت الهدف وسقطت في نهر بردى في مكان قريب فلطف الله بعباده ، ولم تحدث الاضرار التي اريد لها أن تحدثها ... وما هي إلا لحظات حتى قدمت سيارات مصفحة الى حي العمارة ونزل منها المستشار الافرنسي بجان والقومندان توما مارتين ومدير الشرطة السورية السيد خليل رفعت تحميهم مفرزة مسلحة من الجند ، واتجهوا الى دار الأمير رأساً ليقبضوا على الثوار الذين ظنوا أنهم معتصمون بها ، فلم يجدوا إلا اللاجئين اليها من المسالمين ، والتفت بجان الى الأمير وقال له : « نحن جئنا اليك بأمر الجنرال قائد موقع دمشق ، لننذرك أنت ورجال الوفد الذي يمثل نخبة من وجهاء أهل المدينة بأنه اذا لم يمتنع الأهلون عن اطلاق النار ، وتفتح المخازن أبوابها وتعود الحياة الطبيعية الى المدينة خلال ساعتين تماماً ، فسوف تكون بيوت آل عبد القادر هدف المدافع وستجعل عاليها سافلها .. فأجاب الأمير : « أنت تعلم ياحضرة القائد صلابة آل عبد القادر عند الشدائد ، وكيف لايخافون التهديد والوعيد ، وان عملكم هذا لو أقدمتم عليه ، سيترك صفحة سوداء ملطخة في تاريخ فرنسا المجيد لن تمحوها الايام وان تغفرها لكم الأجيال ... وأنا على استعداد تام لمواجهة كل هجوم على أملاكي ، ولكن اتركوا لي الوقت لكي انقذ هؤلاء اللاجئين من قنابلكم من داري ، فأنقلهم الى مكان آمن .... »

بجان : « وهل عندك في دارك سوى رجال العصابات ؟.. »

الأمير : « الآن فهمت شيئاً لم أدركه من قبل ... يخيل إلي أنك تظن أني أحمي في داري الثائرين... كلا والله ، فان جميع من يضمهم جدران القصر هم من المسالمين الذين لا يحملون سلاحاً ... تقدم معي وانظر بأم عينيك تعلم صدق قولي » ...

وفتح الأمير أبواب القصر ، وأطل الافرنسيون مع مدير الشرطة السوري على الغرف فما وقعت أعينهم إلا على النساء الخائفات والأطفال الناحبين ، فأدركوا ان الأخبار التي وصلتهم عن الأمير كانت كاذبة ، ولكن بجان لم يستطع ان يفعل شيئاً سوى قوله : « ياسمو الأمير ! أنا مأمور بتبليغك ماقلت لك آنفاً والوداع.»

الأمير : « نحن هنا بانتظار ماستفاجئونا به ، ولتكن مشيئة الله »

وكان ضرب دمشق قد أثار العواطف الانسانية في شعوب العالم ، وشعرت حكومة باريس بضغط الرأي العام ، وخشيت عواقب أعمالها العسكرية ؛ فأوعزت الى الجنرال ساراي بايقاف ضرب دمشق ، واشترط ساراي على وفود من أهلي المدينة دفع غرامة حربية قدرها مائة الف ليرة عثمانية ذهبية وتسليم ثلاثة آلاف بندقية ، وبذلك سلمت دمشق من الخراب الحتمي بعد اربع وعشرين ساعة من وابل من القنابل ، ولكن انسحاب الثوار من دمشق لم يكن معناه نهاية الثورة ، فان المقاومة لازالت في الغوطة وفي الجبل وفي كل مكان من سوريا الجنوبية ، ورأت فرنسا استبدال ساراي بدي جوفنيل عسى ان تستطيع الكياسة الدبلوماسية النجاح في مالم تنجح فيه المهارة العسكرية ، لان دي جوفنيل كان أول مفوض سام مدني عين الى سوريا ، وكان ذلك في تشرين أول من عام ١٩٢٦ وأخذ دي جوفنيل قبل ان يغادر باريس يتصل بالزعماء السوريين الموجودين فيها ليتعرف على رأيهم في حل القضية السورية حلا يرضي الطرفين المتنازعين .وليترك الوقت الكافي للعسكريين في سوريا على ملاحقة الثوار والضرب على أيديهم في وقت ليس في البلاد رجل مسؤول عن جميع مايرتكب من فظائع ...

وكان عدد كبير من أهالي دمشق قد سافر الى القاهرة هرباً من ظلم الافرنسيين واتهامهم الابرياء بالاشتراك بالثورة ، أو محاولة لجمع الأموال اللازمة لتغذية الثورة

واستثمار الصحافة للعطف على القضية السورية والسعي لدى المقامات السياسية المختلفة فيما يعود بالصالح على البلاد السورية ، لذلك تعمد دي جوفنيل ان يعرج على القطر المصري في طريقه الى سوريا ...

وفي القاهرة أخذ يجتمع ببعض اولي الرأي من السوريين ، كما ان العاملين في الحقل الوطني اخذوا يعقدون الاجتماعات لتوحيد مطالب البلاد ، ومقابلة دي جوفنيل ومباحثته بها ، في جو القاهرة الهادئ الوادع ، بعيداً عن رائحة البارود في سماء جنوب سوريا .. وكان الأمير سعيد في فندق الكونتيننتال بالقاهرة ، فجاءه الأمير ميشيل لطف الله وفوزي البكري ، وأخذا يحادثانه بتأليف وفد من السوريين يكون الأمير على رأسهم لمقابلة دي جوفنيل وعرض مطالب الشعب السوري على مسامعه ، وبينما هم كذلك قدم شيخ العروبة احمد زكي باشا واشترك معهم بالحديث ، واشترط الأمير سعيد على جلسائه ان يوضع تقرير عام شامل قبل المفاوضة يشرح به الوطنيون وجهات نظرهم ، وعلى الأثر خرج اربعتهم من الفندق وذهبوا تواً الى ناد كان لطف الله قد أسسه في القاهرة ، واجتمعوا هناك بعدد من السوريين اللاجئين الى مصر وبعض الرجالات الاخرى التي وقفت نفسها على خدمة العروبة في أي قطر من أقطارها ، وأصر اكثر الحاضرين على ان يحتوي التقرير طلب سحب الجيوش الافرنسية قبل كل شيء من سوريا والغاء الانتداب واعلان العفو العام عن الثائرين ، ولما كان الأمير على علم بحالة الثورة العامة في سوريا وان الافرنسيين أصبحوا المتفوقين على الثوار لكثرة ما بذلوا من مال ، وما بذلوا من جهد وضغط في سبيل اخماد الثورة ، رأي الأمير ان يكون التقرير أخف لهجة من تلك اللهجة التي اشترطها الثوار يوم هاجموا دمشق وأعلنوا ان لامفاوضة قبل الجلاء ، لان الموقف تغير اليوم ، والغالب هو الذي يملي شروطه عادة ، والثوار بحاجة اليوم بعد ان ضعف أمرهم لكثرة مافقدوا من قتلى الى انهاء الثورة بشكل يضمن لهم حياتهم والعفو عنهم ، ورأى الأمير تعديل التقرير بصورة يؤدي الى طلب اعلان

هدنة بدل سحب الجيوش ، وتحديد الانتداب وموعد نهايته بدل انهائه ، واشترك الجميع في النقاش ، فقال اسعد داغر ونجيب الارمنازي باننا نطلب الكثير لننال القليل ، والمغالاة ضرورية لأن المفاوضة أشبه شيء بالمساومة ، يتنازل كل طرف عن شيء من مطالبه ، وأصر الجميع على رأي الارمنازي ، ووقف الأمير وزكي باشا مؤيدين الرأي الآخر ، ولذلك اعتذر الأمير سعيد عن ترأس الوفد ، وكانت نتيجة المقابلة فاشلة لأن دي جوفنيل عندما رفض مقترحات هذا الوفد قال لهم : « الحرب لمن يريد الحرب ، والسلم لمن يريد السلم ... »

وصدف ان الأمير عاد الى سوريا على نفس الباخرة التي تقل دي جوفنيل ، وبينما كانت الباخرة في عرض البحر تقدم من الامير المرسيو لوبيسيه أمين سر دي جوفنيل وأخبره ان المفوض السامي الافرنسي الجديد في نفس الباخرة وسأله رأيه ان كان يرغب مقابلته ، فأظهر الامير ميله ، فعاد الجنرال يحمل دعوة رسمية من دي جوفنيل يدعوه فيها لتناول طعام الغداء على مائدته ؛ وكانت المائدة تضم المفوض السامي والامير والمطران عريضة الذي صار فيما بعد بطريرك الموارنة ، وكان الحديث يدور حول الثورة السورية وأظهر المفوض السامي دي جوفنيل استياءه من التقرير الذي رفعه اليه الأمير لطف الله وجماعته ، وأخذ الأمير يشرح للمفوض السامي حال البلاد العامة وضرورة العمل على انهاء الثورة دون المس بكرامة المجاهدين الذين باعوا أنفسهم في سبيل بلادهم ، ودون العودة الى السياسة السابقة التي ثبت فشلها . وفي دمشق بلغ مسامع القوم اجتماع الامير بدي جوفنيل على ظهر الباخرة ، فخف عدد من الوجهاء يسألون الامير رأيه في حل الازمة المستعصية بين السوريين والافرنسيين ، وبناء على اقتراح الامير عقد اجتماع عام في دار البلدية بدمشق انتخبت فيه لجنة برئاسة الاميروعضوية السادة : عطا الايوبي وفارس الخوري وعارف القوتلي ونقيب الاشراف احمد الحسيبي ، واكليل المؤيد وشاكر الحنبلي ورشدي الصفدي وابي الخير الموقع ، ومحمد كرد علي وغيرهم ،

ومهمة هذه اللجنة السفر الى بيروت لمقـابلة المفوض السامي الجديد دي جوفنيل وعرض أماني البلاد عليه . وسافر الوفد في القطار ، وفي محطة رياق استقبلهم الجنرال اندريا باسم المفوض السامى ، ورحب بهم أجمل ترحيب ، وفي بيروت استقبلهم المستشرق الافرنسي السيد ميليا باسم المفوض السامي ، وبلغهم ، كما بلغهم اندريا في رياق ، ان دي جوفنيل يرحب بهم ، ولكنه يرغب ان يجتمع الى اعضاء الوفد كلاً على انفراد ، فرفض الأمير هذا الاجراء ، معتبراً ان جميع الاعضاء يمثلون رأياً واحداً عاماً هو رأي الامة مجتمعة ، ولا يمثلون آراء مختلفة ذات وجوه مختلفة ، ليعرض كل وجه بها على انفراد ، فطلب السيد ميليا الى الأمير ان يذهب بنفسه الى دي جوفنيل ويعرض له هذا الرأي ، فاستصحب الأمير معه المرحوم رشدي باشـا الصفدي وذهب الى مقر قصر الصنوبر حيث عرض رأيه على أمين سر المفوض السامى ، وبعد المداولة رضي دي جوفنيل ان يضرب موعداً للوفد ، على ان يجتمع بالأمير قبل ذلك بنصف ساعة ، فسار الأميروفارس الخوري واتفقا مع دي جوفنيل على ان يستمع هذا الى اعضاء الوفد مجتمعين ومنفردين ، ولقـد طالب الجميع باعلان العفو العام عن المجاهدين تعقبه هدنة بين الطرفين ، ودعوة البلاد الى انتخاب اعضاء مجلس تأسيسي يتولى وضع دستور جديد ، وتحديد مدة الانتداب لأجل لا يتجاوز العشرين عاما تخرج فرنسا على أثرها ، واستفتاء الشعب في الأقضية الاربعة التي ضمت الى لبنان عن رغبة في البقاء ضمن لبنان الكبير او العودة الى أحضان امه سوريا... وأظهر المفوض السامي موافقته على بعض هذه المطـالب ، ورفض رفضاً باتاً اعلان العفو الا بعد ان يرمي الثوار سلاحهم بلا قيد ولاشرط ، كما رفض الاستفتاء لان سياسة فرنسا تقضي ابقاء الأقضية السورية الاربعة ضمن الكيان اللبناني ... وبذلك عاد الوفد الى دمشق دون الوصول الى اتفاق حاسم ...

ورأى المفوض السامي الجديد دي جوفنيل بعد ان تأكد من اجماع رجال البلاد على المطالبة بالاستقلال ، ان يقوم بعمل سريع لتهدئة الحالة في سوريا ، فعمد

من ناحية الى امداد الجنود الافرنسية بفرق من السنغال والمغاربة وتغذيتها بفرق من الأرمن والشراكسة في سوريا لتعمل جميعاً على ملاحقة الثائرين والضغط عليهم ومن ناحية اخرى الى تحقيق بعض مطالب البلاد ؟ بدعوته الأهالي لانتخابات نيابية عامة بحجة وقوفه على آراء ممثلي الشعب الشرعيين ، وادركت الأحزاب الوطنية غايته فقاطعت الانتخابات ونجحت المقاطعة في كل مكان سوى منطقة حلب حيث سيطر الافرنسيون وتلاعبوا بصناديق الاقتراع . فقابل المفوض السامي هذا العمل السلبي بالقاء القبض على عدد من زعماء الأحزاب ونفيهم الى اماكن نائية . واستلم الحكم المفوض السامي مباشرة بعد استقالة صبحي بركات ثم عين الداماد احمد نامى بك رئيساً للدولة السورية في نيسان ١٩٢٦ وتمكن من ان يتفق مع عدد من الوطنيين على دخول وزارته كفارس الخوري ولطفي الحفار وحسني البرازي ، ونشرت حكومة الداماد بمساعي هؤلاء الوطنيين بياناً في عشرة مواد تشرح أماني البلاد ، واخذوا في مفاوضة الافرنسيين والثوار على أساسها لانهاء الثورة السورية . ولكن الجيوش الافرنسية تمكنت من الضغط على الثوار في كل مكان فاحتلت السويداء عاصمة جبل الدروز ، وضربت اهالي حي الميدان ضربات متتالية بحجة تأييدهم للثوار ولاحقت الأمير عز الدين الجزائري وسعيد العاص في الغوطة . كما ان المفوض السامي اصدر دستوراً جديداً للبنان في ٢٣ ايار ١٩٢٦ نص على انه لا يجوز التنازل عن اي جزء من ارض لبنان ، وذلك لكي يقطع أي أمل للسوريين باسترداد الاقضية الأربعة وتحقيق الوحدة السورية ، فلم ير الوزراء الوطنيون الا (الاستقالة) من ناحيتهم فاستقال الخوري والحفار والبرازي في ٢ حزيران ١٩٢٦ فنفتهم السلطات الافرنسية الى الحسجة ، وكان دي جوفنيل قد سافر الى باريس لاقناع الحكومة الافرنسية بتحقيق بعض مطالب السوريين ، فلما فشل استقال وتعين المسيو بونسو خلفاً له ، فوصل سوريا في تشرين اول ١٩٢٦ ، وأقام في بيروت ، وأخذ يتنقل بين بيروت وباريس لحل القضية ، وكان ماهراً في المفاوضة عارفاً بفائدة المماطلة والتسويف .

فكان كلما وعد الوطنيين بتحقيق مطلب من مطالبهم يسافر الى فرنسا بحجة مراجعة ولاة الأمور فيها ، ويترك الى رجاله في سوريا فرصة تحطيم كل مجهود الوطنيين ، وكان الوطنيون في سوريا تكتلوا واتجهوا نحو تأسيس أحزاب منتظمة ، وسافر وفد منهم الى بيروت لبذل المساعي لدى المسيو بونسو على دعوة الأهالي لانتخاب مجلس تأسيسي بعد ان انتهت الثورة السورية ، بموت عدد من أبطالها الميامين والتجاء آخر قوادها سعيد العاص الى شرقي الاردن واستشهاد الأمير عز الدين الجزائري ، وبينما كان هذا الوفد في بيروت يوالي عقد الاجتماعات لوضع صيغة البيان الذي سيقدمه الى المفوض السامي بونسو ، قدم بيروت الجنرال كاترو وكان رئيس دائرة الاستخبارات في دمشق ذلك الوقت ، وأوعز الى السلطات في بيروت بضرورة ابعاد هذا الوفد عن لبنان ، وتوصل أحد الصحافيين اللبنانيين ان يطلع على هذا الايعاز لاتصاله بالافرنسيين فحمل الخبر الى السيد خير الدين الاحدب صاحب جريدة « العهد الجديد » فاتصل هذا برجال الوفد وعملوا على الاجتماع في دار آمنة لانتهاجها السلطات الافرنسية ولا اللبنانية . وقر رأيهم اللجوء الى دار الأمير سعيد وكان يقيم ذلك الوقت في بيروت في قصر آل القباني في البسطة ، فجاء عفيف الصلح وخير الدين الأحدب وسألاه هل يمانع ان يجتمع ممثلو الاحزاب الوطنية في داره بعد ان اطلعوه على مساعي كاترو ضدهم ، فرحب بهم ، وعقدت الاجتماعات في داره بعد ذلك برئاسة السيد هاشم الاتاسي ، وكان لطفي الحفار وجميل مردم من بين اعضائه ... وقد جاء ذكر هذا الاجتماع في دار الأمير في الصحيفة الثانية من مجلة « التاج المصري » لسان حال المحفل الأكبر الوطني المصري في العدد ٦٠٩ وتاريخ ١٧ فبراير (شباط) ١٩٣٩ في سؤال وجهه محرر مجلة الجمهور السورية الى الأمير وهو :

« ما رأي سموكم في الحالة الحاضرة في الشام من جراء الاختلافات الحزبية ؟
أولا - أصارحكم مصارحة رجل هو أشد الناس ارتباطاً وعلاقة ببلاده

والحادثات الماضية المدعمة بوثائق تاريخية تثبت اني خدمت بلادي باخلاص وتجرد.
وعلى من يريد أن يتحمل مسؤولية خدمة الوطن ينبغي له التجرد التام ، وقد أبديت رأيي صراحة لرجال الكتلة حينما اجتمع مؤتمر هذه الكتلة لعرض تقرير يتضمن مطالب البلاد كنت أسكن يومئذ محلة البسطة في بيروت وقد قررت السلطة منع عقد هذا المؤتمر فحضر رجال الكتلة وعلى رأسهم هاشم بك (فخامة رئيس الجمهورية السورية اليوم) وذكر انهم جاءوا لتنظيم تقرير يقدم المندوب السامي . وبما أنني أول من رفع علم الاستقلال وبذل الجهود في القضية الوطنية رأوا من الحكمة ان يجتمعوا عندي فلم أمانع بذلك وقلت لهم قبل المذاكرة لوضع التقرير انه ينبغي أن لانجعل المناصب والمقامات العالية هدفاً لنا .

وبعد أخذ ورد جرى البحث في مواد التقرير فكانت أول مادة هي الغاء الانتداب وسحب الجيوش وبحثوا ايضاً جمع المجلس التأسيسي وغير ذلك من المسائل الوطنية وكان ما أدخل من تعديل نتيجة الرأي الذي أبديته ، وهكذا حصل التفاهم بين الحكومة الفرنسية والهيئات الوطنية ومنذ ذلك العهد بدأ دور الحكم الوطني وإني حباً بمصلحة بلادي أصرح برأيي ولا أبالي بأنه لا الحكومة المنتدبة ولا الحكومة الاهلية كانت موفقة بأعمالها والبحث في الاسباب أصبح من الأمور المعلومة والخوض فيها يطول ». أ ـ هـ

ونتيجة لمساعي الوطنيين السوريين الجبارة ، رضخت الحكومة الافرنسية في باريس لبعض مطالبهم ، فأصدر المسيو بونسو في طليعة عام ١٩٢٩ بياناً دعا فيه الى انتخاب جمعية تأسيسية لوضع دستور لسوريا يبين فيه شكل الحكم وتحدد فيه الصلاحيات ، كما اصدر عفواً عن بعض السوريين المبعدين والغى الاحكام العرفية في دمشق واستبدل حكومة الداماد احمد نامي بحكومة موقتة على رأسها الشيخ تاج الدين الحسني بعد ان ارتضى به الوطنيون وذلك في شباط ١٩٢٨

وافتتحت الجمعية التأسيسية أعمالها في ٩ حزيران ١٩٢٨ برئاسة هاشم الاتاسي

(٦)

الجامع الازهر
والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية

مشيخة الادارة العامة
للمعاهد الدينية

استمارة رقم ٣ ورق
٣٠٠٠٠ ـ ٩ ـ ١٩٣٢

رقم القيد ٤٢٦٦
رقم الصفحة والجزء ٢/٨
رقم صفحة الكوبيا
عدد الاوراق

(المكاتبة المتمم تنفيذها)
رقم الملف
تاريخ المكاتبة
رقم المكاتبة

المضمون :

مطلوب الرد

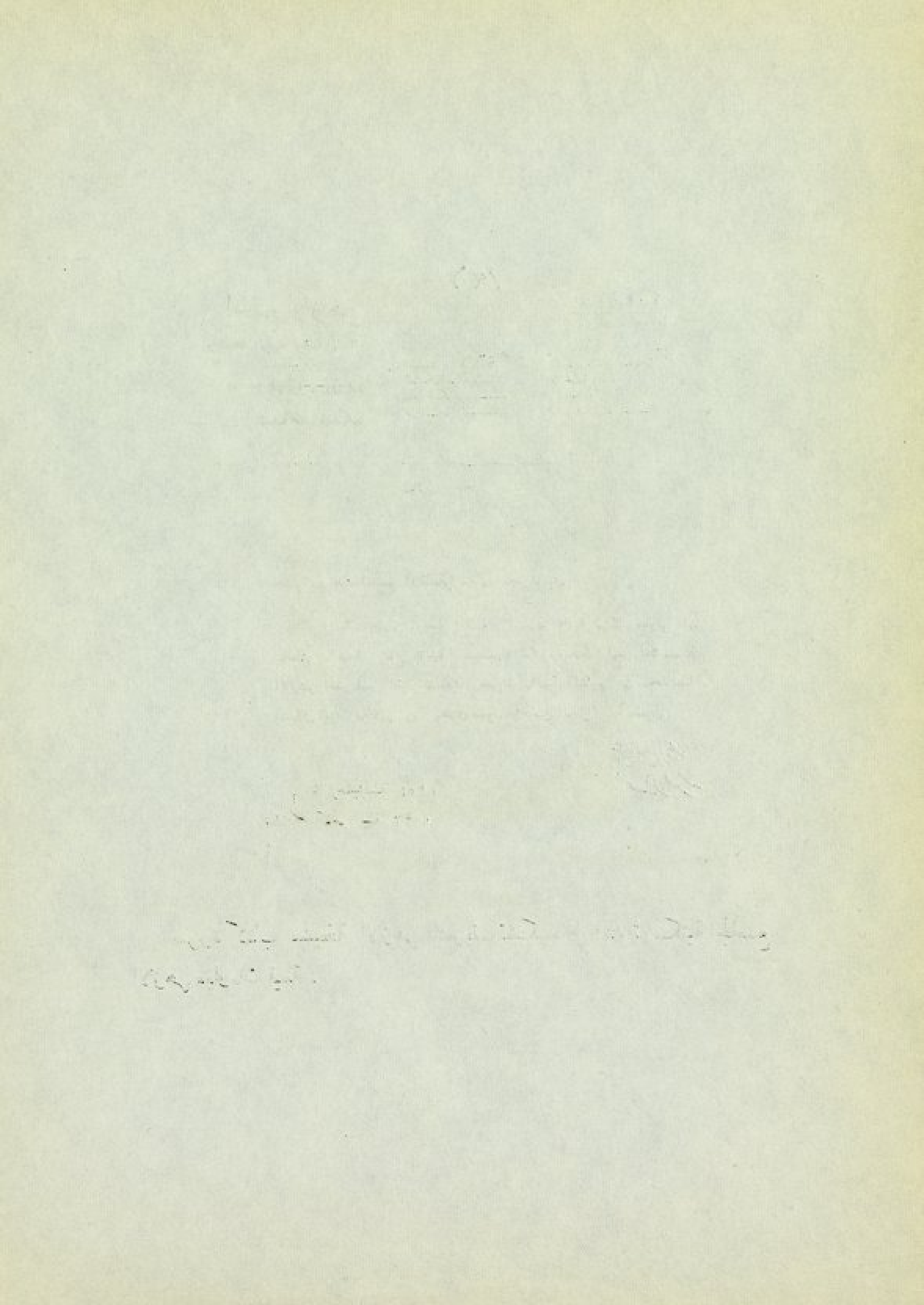
حضرة صاحب السمو الامير سعيد الجزائري

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فاننا نشكر سموكم على تفضلكم باهداء شرح لامية العجم المكتوب بخط اليد لمكتبة الازهر الشريف الذي ستسجله مقرونا باسمكم الكريم في سجلاتها ونسال الله تعالى ان يجزي سموكم احسن الجزاء آمين

٧ رجب سنة ١٣٥١
٦ نوفمبر سنة ١٩٣٢

شيخ الجامع الازهر
محمد الاحمدي [illegible]

صورة كتاب مشيخة الازهر الشريف تشكره على اهدائه مكتبة الجامع الازهر معلومات قيمة .





صورة للكتاب التاريخي الذي قدمه قنصل ايران (عين الملك) لسمو الامير يتضمن شكره على موقفه الشريف وحمايته للنصارى خلال الثورة السورية سنة ١٩٢٦ .



وكان من اعضاء لجنة الدستور هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو والمحامي فوزي الغزي وصاغت الدستور الجديد في ١١٥ مادة اقرت الحكم الجمهوري للبلاد، ووحدة سوريا التي لاتتجزأ، وفصلت بين السلطتين التشريعية والتنفيذية. وجعلت الوزارة مسؤولة أمام المجلس النيابي الوحيد. ولكن المفوض السامي لم ترقه نصوص ست مواد من الدستور، ففاجأ الجمعية في ٨ آب ببلاغ افرنسي رسمي حظر فيه على الاعضاء المناقشة في هذه المواد الست لانها تخالف نصوص الانتداب التي عهدت به جمعية الامم لفرنسا. فقرر اعضاء المجلس بعد مناقشة حادة رفض هذا البلاغ لانه تداخل في حقوقها الشرعية. فأوقف المفوض السامي اجتماعات الجمعية التأسيسية مدة ثلاثة اشهر، ثم علق اجتماعاتها لأجل غير مسمى، ونشر من لدنه في ٢٢ ايار ١٩٣٠ دستوراً جديداً انهاه بالمادة ١١٦ التي اشترطت موافقة الدولة المنتدبة او المفوض السامي على قرارات المجلس، معللاً ذلك بضرورة ضمان سير الأمور سيراً حسناً بين السوريين والافرنسيين قبل الدخول في المفاوضة لعقد معاهدة بين الطرفين..

وبعد اضطرابات عديدة، أصدر بونسو في تشرين الثاني ١٩٣١ قراراً بانهاء حكومة الشيخ تاج الدين الموقتة التي حكمت اربع سنين وتأليف حكومة انتقالية برئاسة مندوب المفوض السامي في دمشق المسيو سولومياك للاشراف على انتخابات جديدة، رافق الانتخابات كثير من الاضطرابات في جميع البلاد السورية وخاصة في دمشق وحماة لمحاولة عملاء الافرنسيين التلاعب في صناديق الاقتراع، فالغيت الانتخابات الاولى في كانون الاول ١٩٣١، واعيدت الانتخابات مرة ثانية في نيسان ١٩٣٢ وفاز فيها عدد من الوطنيين الذين كانوا الفوا حزباً وطنياً سورياً باسم «الكتلة الوطنية» كما فاز عدد من مرشحي الافرنسيين، وانتخب المجلس الجديد محمد علي العابد أول رئيس للجمهورية السورية في حزيران ١٩٣٢ وتألفت الوزارة برئاسة حقي العظم، وانضم اليها وزيران من الكتلة الوطنية وهما جميل مردم ومظهر رسلان اللذان استقالا من الوزارة بعد اقل من سنة لان المعاهدة التي ازمع الافرنسيون على عقدها مع السوريين لم تكن تحقق أماني البلاد...

وبقي الامير سعيد خلال هذا كله مؤمناً بوحدة سوريا عاملا مع العاملين على تحقيق مطالبها ، وقد نشرت له جريدة البلاغ المصرية لمراسلها في حيفا حديثاً مطولا عن رأيه في اوضاع سوريا اقتطفت منه جريدة الايام الدمشقية في عددها ٣٩١ الصادر في ١٣ آذار ١٩٣٣ الموافق ١٧ ذي القعدة ١٣٥١ مايلي :

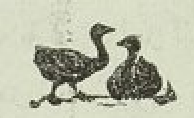
« - ماهي الحالة السياسية في سوريا ؟

- ان البلاد السورية وحدة لاتتجزأ ، والاستقلال والوحدة السورية وكل ما ينشأ عن ذلك من تفرعات هو غاية رامنية كل حزب وكل فرقة ، ان الوصول الى ذلك لاينقصه الا الاخلاص والتجلد والابتعاد عن الانانية والزهد في المناصب فاذا كان القائمون من الهيئات المفكرة حائزين على هذه المزايا فأنا اضمن لهم نيل حقوقهم كاملة غير منقوصة ومن الحزم ان تقوم الامة صفاً واحداً للمطالبة بهذا الحق المعترف به . وأما التشدق بان الوحدة السورية لم يحن أوانها فهو ادعاء لايستند على دليل اذ انه في سنة ١٩١٨ في اواخر شهر ايلول حينما رفعنا علم الاستقلال وانادينا بحرية الامة السورية وأذعنا ذلك على لسان البرق فاول من هتف بهذا الاستقلال ورحب به زعماء الطائفة المارونية التي تعد بنظر الافرنسيين اشد الطوائف تطرفاً في طلب الانفصال عن الوحدة السورية ، وهكذا فان الشعب السوري بلسان واحد نشد الاستقلال التام مع الوحدة السورية وباتحاد جميع الطوائف دون النظر الى اقلية او اكثرية ولكن السياسة هي التي جزأت البلاد وهي التي حينما تشاء يمكنها جمع ماأرادت تفريقه .

ان البلاد السورية وحدة لاتتجزأ سواء كان من الوجهة القومية او من الوجهة التاريخية والجغرافية ؛ فالبلاد كانت ولا تزال منذ العصور القديمة بحدودها من جبال طوروس حتى حدود مصر بلاداً واحدة لايفرق بينها حاجز جمركي ولا شيء آخر ، وان المنطق والعقل يحكمان بانه اذا لم تعد البلاد الى ما كانت عليه فلا يمكن ان تتكون امة او ان تشكل دولة او مملكة ، لقد قال المسيو بونسو هل

من اللائق بدولة كدولة فرنسا ان تقول يوماً لجمعية الامم أنا حليفة دولة سوريا الحالية ، وهي بدون الوحدة التامة كالجسم بلا روح ولا رأس . » اهـ

ولم يقصر الأمير سعيد همه ونشاطه على هذا الباب من العمل في الحقل الوطني بل كان في طليعة العاملين في شتى ميادين الجهاد الوطني ، فلقد ترأس جمعية الخلافة الاسلامية عقب الحرب العالمية الاولى على أثر اخراج أتاتورك سلائل آل عثمان من بلاد الجمهورية التركية وانهائه الخلافة العثمانية ، وترأس لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي الذي اغتصبته شركة دمشق ـ حماة وتمديداتها واستثمرته ونجح في المساعي باعادة الخط الى الاوقاف الاسلامية ، وترأس جمعية مقاطعة شركة الكهرباء والترامواي في دمشق لغلوها في استثمار امتيازها ، وكان كل من يمر بالبلاد من شخصيات شرقية وغربية يتصل بالأمير ويعجب بنشاطه وثقافته ووطنيته وكرمه كشوكت علي زعيم المسلمين في الهند الاسلامية وغيرهم كما كان الأمير على اتصال بالسنوسيين زعماء طرابلس الغرب يؤيدهم في أعمالهم ضد الطليان ، وكان الأمير سعيد الى جانب هذا وذاك دائم التفكير بوطنه الاول « الجزائر » الذي جاهد لأجله جده الأكبر عبد القادر ودافع عنه دفاع الابطال ، وكان لا ينقطع عن العمل في سبيل استقلاله في كل فرصة مواتية ... وسنذكر طرفاً من نشاط الأمير في مختلف هذه الميادين .



الخلافة

كان أول ما واجه المسلمين عقب وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام هي مشكلة من يخلفه في رئاسة المسلمين الدينية والزمنية ، وانتهى اجتماع سقيفة بني ساعدة بمبايعة ابي بكر الصديق « خليفة » للرسول عليه السلام ، وأوجد بذلك نظام « الخلافة » في الاسلام ، وهو نظام خاص بالمسلمين يختلف عن جميع النظم الادارية في بقية الامم والممالك ، فليست تشبه الملكية المطلقة ولا الدستورية ولا تشبه الجمهورية ولا الدكتاتورية ، كما يختلف عن نظام الامبراطورية والباباوية ؛ وقد أخذ المسلمون على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم يبحثون في مسألة الخلافة لأهمية مركزها في حياتهم ، فانقسموا الى فرق وشيع ، لكل فرقة وشيعة رأي تذهب اليه وتؤيده وتأتي بالاسناد والبراهين على صحته ، وكان أشهر هذه الفرق : السنة والشيعة ، والخوارج والمرجئة . وكان أبرز النواحي المختلف عليها بين هذه المذاهب الدينية والسياسية هي : هل الخلافة في قريش ؟ أم أنها حق لكل مسلم تؤهله صفاته الخاصة لتولي هذا المنصب ؟ وهل تكون الخلافة بانتخاب أهل العقد والحل في العاصمة ؟ أم تكون باجماع الشعوب الاسلامية ؟ وهل الخلافة شورية فردية أم إرثية في عائلة معينة ؟ كما كان هناك اختلاف جوهري بين الخليفة والامام عند الشيعة ، حيث يرون ان الامام لا يكون بانتخاب المسلمين واختيارهم وانما هو احد ابناء علي بن ابي طالب ، وجاءته الامامة عن طريق النص والوصاية ، فيذكرون ان الرسول عليه السلام

أوصى لعلي من بعده ، وهذا لابنه الحسن فالحسين ، وهكذا يتتابع الائمة واحداً بعد واحد . وشهد تاريخ الاسلام في مختلف عصوره حروباً أهلية وفتناً داخلية كان منشأها هذه الخلافات حول مسألة الخلافة ، بدأت بمقتل عثمان ، ومبايعة علي ، وخروج عائشة ومعاوية عليه ، ثم الخوارج .. ثم استئثار معاوية بها ، وادخاله نظام ولاية العهد والاحتفاظ بمركز الخلافة في الاسرة الاموية طيلة الحكم الاموي ، ثم قامت الدولة العباسية على أساس أحقيتهم بالخلافة بعد تنازل أحد العلويين لابناء عمومته عنها ، وضغط العباسيون كالامويين على الشيعة ، وثار هؤلاء ثورات عديدة أخفق أكثرها ، ونجح أقلها ، وأسسوا دويلات علوية في شمال افريقيا كان أكبرها الخلافة الفاطمية التي كادت ان تقضي على الخلافة العباسية في بغداد ، وشهد العالم الاسلامي في بعض ظروفه ثلاثة خلفاء شرعيين في بغداد والقاهرة وقرطبة ..

وعلى أثر هجوم التتر وقضائهم على الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦ هـ ؛ انتقل مركز الخلافة العباسية الى القاهرة ، ويقال ان السلطان سليم العثماني الاول عندما فتح سوريا ومصر ، اصطحب معه آخر الخلفاء العباسيين وهو المتوكل على الله الى الآستانة ، وهناك تنازل له عن الخلافة ، وبذلك انتقلت الخلافة لاول مرة من قريش الى عنصر غير عربي وهم الاتراك . واذا كان المؤرخون المحدثون ، يختلفون في صحة هذا الخبر الاخير ، وهل كان أول خليفة عثماني هو السلطان سليم هذا ، أم ابنه السلطان سليمان القانوني ، فانهم جميعاً متفقون على اجماع المسلمين على خلافة آل عثمان الذين اصبحوا سادة العالم الاسلامي ، وتمسك كثير من السلاطين العثمانيين بهذا اللقب وخاصة في عصر الضعف ليزدادوا قوة به ، واستثمر هذا المنصب السلطان عبد الحميد أكثر من جميع من سبقوه ، وكان يدعو الى جامعة اسلامية عامة ، يكون الخليفة الشرعي رئيسها ، ولكن الاتحاديين الذين قاموا بثورة ١٩٠٨ وأسقطوا عبد الحميد ساروا على سياسة عنصرية قومية ، وحادوا عن التمسك بالفكرة الاسلامية ، فلما انتهت الحرب العالمية الاولى بانكسار تركيا أمام الحلفاء

وبتوقيعها معاهدة سيفر في ١٠ آب ١٩٢٠ ، قام أحد كبار ضباط الجيش العثماني وهو مصطفى كمال باشا بحركة تحريرية ، فعقد عدة مؤتمرات في الاناضول منذ حزيران ١٩١٩ ، دعا اليها عدداً من ضباط تركيا الاحرار ، ودرسوا حالة البلاد العامة واقتسام الدول لأملاك الدولة العثمانية ؛ وانتهت مؤتمراتهم بعقد المجلس الوطني الكبير ، في ٢٣ نيسان ١٩٢٠ في انقرة ، الذي أعطى رئيسه مصطفى كمال صلاحيات واسعة لقيادة جيوش الدفاع وانقاذ البلاد من الاحتلال الأجنبي ، فألف مصطفى كمال حكومة المجلس الوطني وحارب الحلفاء وطرد اليونانيين من ازمير ثم التفت الى العاصمة القسطنطينية والمضائق ، وكاد يهاجم الحلفاء لولا قبولهم مفاوضات الصلح واتفاقهم معه على توقيع معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٢٣ . وبعد ان نال مصطفى كمال عدة القاب منها لقب مشير أي مارشال ، ولقب غازي ، ولقب يلدرم أي الصاعقة ، وأتاتورك أي أب الاتراك ، أصبح سيد البلاد بلا منازع ، فاجتمع المجلس الوطني الكبير في ٢ تشرين الثاني ١٩٢٢ برئاسته وقرر فصل الخلافة عن السلطة ، باعتبار ان الخلافة مركز ديني ؛ والسلطة مركز سياسي ، ويمكن الفصل بين المنصبين ، وقرر بنفس الوقت خلع السلطان محمد رشاد ومبايعة الأمير عبد المجيد خليفة للمسلمين ، مع تجريده من كل سلطة زمنية ... ثم أعقب هذه الخطوة بخطوة اخرى ، فأعلن المجلس الوطني الكبير في ٢٩ تشرين الاول عام ١٩٢٣ اختياره النظام الجمهوري للبلاد ، وانتخاب مصطفى كمال رئيساً أولاً للجمهورية التركية ، وفي ٢ آذار ١٩٢٤ أنهى المجلس الوطني مشكلة الخلافة ، باقراره الغاء الخلافة الاسلامية في الجمهورية التركية واخراج سلائل الخلفاء العثمانيين من ارض الجمهورية التركية ..

هنا نشأت مشكلة جديدة أمام العالم الاسلامي ، هل الخلافة ضرورية ؟ أم يجوز ان يبقى المسلمون بدون خلافة ؟ واذا كان لابد من خليفة فمن يتولى هذا المنصب الجليل بعد ان تنازلت تركيا عنه ؟ وهل يبقى المسلمون معترفين بالخليفة الأخير عبد المجيد الذي رفض التنازل عن لقب الخلافة أم ينتخبون غيره ؟ وأخذت الصحف

تنشر المقالات والابحاث . وأخذ كبار المسلمين من أقصى الشرق واندونوسيا والهند الى اقصى الغرب في الشمال الافريقي يتعرضون لهذا الموضوع الخطير ويؤلفون الاجتماعات لتداول الرأي والخروج من هذه الحال الى قرار حاسم فيه صلاح المسلمين في دينهم ودنياهم .

وكان عبد المجيد يدعو المسلمين الى عقد مؤتمر اسلامي ديني كبير لبحث هذه القضية . فلقد جاء في جريدة « صدى الاحوال » البيروتية الصادرة في ١٤ آدار عام ١٩٢٤ وعددها ٢٢٧ برقية لهافاس فيها :

عبد المجيد يتشبث بالخلافة

تاريتات ١٢ — في نداء وجهه الخليفة عبد المجيد الى العالم الاسلامي بواسطة شركة هافاس صرح بأن قرار مجلس انقرة مناقض لروح الاسلام وبأنه يعتبر هذا التدبير انتهاكاً لحرمة الدين لايعمل به وهو يحسب أن العالم الاسلامي وحده يستطيع تقرير هذه القضية الحيوية ويدعو الرؤساء المسلمين في العالم كله كي يقترحوا على عقد مؤتمر اسلامي ديني كبير . أ.هـ

وبناء على هذه الدعوة التي وجهها الخليفة عبد المجيد ، تألف في كل بلد اسلامي جمعية دعيت بجمعية الخلافة ، وكانت اولى الجمعيات بدمشق برئاسة الأمير سعيد ، وأخذ يتصل فور انتخابه لرئاسة هذه الجمعية بزعماء الاسلام ويدعوهم الى مخابرته وتأليف جمعيات مماثلة فقد جاء بنفس الجريدة السابقة البرقية الآتية التي ارسلها مندوب جريدة صدى الاحوال الى بيروت :

برقية من دمشق

جاءتنا من دمشق البرقية التالية :

بيروت صدى الاحوال — وصل الامير سعيد ، سيعقد عنده جمعية الخلافة ممن أصح لهم البيعة . لايخطب باسم احد على المنابر الا بعد قرار المؤتمر العام ، لم تحصل البيعة من ذوي الحل والعقد بعد .   التوقيع : علي

ودحضاً لكل افتراء وتأويل نشر الأمير سعيد بياناً مطولا عن الاسباب التي دعت الى تأليف جمعية الخلافة بعد وصول امراء آل عثمان الى بيروت ، نشرت نص هذا البيان جريدة الاحرار البيروتية في عددها ٤٤ الصادر يوم الخميس في ٢٠ آذار ١٩٢٤ الموافق في ١٥ شعبان ١٣٤٢ وهو :

جمعية الخلافة

بيان الامير سعيد عن سبب تشكيلها

ارسل الينا حضرة صاحب الامضاء البيان التالي ننشره عملا بحرية النشر وهو:

ذكرت الصحف شيئا عن تأليف جمعية الخلافة فكثرت الاقاويل وراح كل فريق يؤول المسألة تأويلا بعضه يتفق مع الحقيقة المتوخاة والبعض الاخر بعد عنها بعد الارض عن السماء .

لقد كان من المحتم بعد ان الغى الاتراك منصب الخلافة وتركوا شؤونها معلقة ان يعمد المسلمون في مشارق الارض ومغاربها الى تقرير امر الخلافة على شكل يتفق مع مصلحتهم ويجلب لهم الخير في دينهم ودنياهم . ومسألة كهذه تحتاج الى التروي وامعان النظر والتعجيل في البت فيها يجلب لتفرق الكلمة وتشعب المذاهب والآراء ولو لم يكن كذلك لرأينا الاكثرية الساحقة من المسلمين في الهند ومصر وبقية الاقطار الاسلامية انقادت الى العواطف والاهواء وراح كل فريق منها يسعى الى غاية ، ولكن هذه الاكثرية لم تشاء الا ان يكون هذا الامر شورى — والشورى ركن من اركان الدين الحنيف — فقررت عقد مؤتمر يبحث في شأن الخلافة وما يتفرع عنه مما يتصل بمصلحة المسلمين مباشرة ولو لم يكن البت في هذه المسألة راجعاً الى سائر المسلمين لما رأينا اخواننا في سائر الاقطار قد اجمعت كلمتهم على عقد المؤتمر الذي نحن بصدده .

وعلى هذا الاساس تألفت جمعية الخلافة وليس لها من غاية سوى مجاراة

الشعوب الاسلامية في بقية الامصار في لفظ الكلمة الاخيرة التي لامرد لها ولا معارض وليس من ينكر ان اجماع المسلمين على هذا الامر ذو فوائد جمة اهمها التزامهم مساعدة من يتفق على تنصيبهم لحمايتهم ومحافظتهم على كرامته ان تنال منها مصالح الدول المتضاربة كما كان يقع بالامس حينما كانت كلمة المسلمين متفرقة لاتجمعهم جامعة ولا تربطهم بعضهم ببعض رابطة .

وقد رأت جمعية الخلافة ايضاً ان هذه الفرصة لايمكن اغتنامها كل وقت للم شمث المسلمين وتوحيد وجهة نظرهم ولذلك فهي انما تأسست لاحياء هذه الغاية رائدها المصلحة العامة وتعزيز شأن الخلافة .

وليس من المعقول ان يكون لهذه الجمعية غير تلك الوجهة اذ انها ستنزل عند رغائب المؤتمر الذي سيشكل الاكثرية الساحقة من المسلمين والذي ستكون مباحثه محصورة فيما سبق ذكره ولو فرض ان جماعة من المؤلفين المؤتمر شذت عن المنهج السوي فهل يدور في خلد احد ان تتفق كلمة الاكثرية على ضلال ؟ هذا مالانخاله .

وان الجمعية ازاء ما يتقوله البعض ممن لا ينقادون الا للعواطف تصرح على رؤوس الاشهاد انها اذا رأت من المسلمين في المؤتمر ميلا الى تنصيب جلالة الحسين ابن علي خليفة فهي اول من يبايعه ويكون افرادها له عونا وظهيرا .

فليتق الله المتقولون في دينهم وليعلموا انهم بما يشيعون من الاخبار غير الواقعية انما يحفرون الاساس لفتنة نعوذ بالله من شرها وما كان الله ليعين الظالمين على ظلمهم وهو وحده الهادي والموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سعيد حفيد الامير عبد القادر

رئيس جمعيات الخلافة في سوريا

كما أذاع الأمير بوصفه رئيس جمعية الخلافة بسوريا بياناً على جميع المسلمين هذا نصه :

نداء الى العالم الاسلامي

حول مسألة الخلافة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله :

أما بعد فقد أتى على المسلمين حين من الدهر لم يكونوا فيه شيئاً مذكوراً ، ذلك لانهم تركوا شعائر الدين وعبثوا بفرائضه واهملوا سننه واحكامه وكانوا اذا لبسوا ثوب الاسلام لبسوه خائفين مترقبين ، متنكرين متكتمين فذهبت ريحهم وضعف شأنهم واضمحل أمرهم واصبحوا أحزاباً وشيعاً تفرق بينهم الغايات وتبعد بينهم المناهج ، وراح كل حزب يسير بالدين حسب مايراه موافقاً لنزعاته ، ملائماً لشهواته الى ان لعب شيطان الغرور بعقول فئة قليلة منهم ، تمادت في الاستهتار في الدين بعد ان كانت حامية ذماره ورافعة لواءه فأهاج ذلك العمل سائر العالم الاسلامي مما يدل على انه لايزال لمجموعه اثر من حياة وانه لايزال ثمة بقية آمال بتقويم ماعوج من امره واصلاح مافسد من حاله .

الجامعة الاسلامية بالنسبة للمسلم هي الجامعة الكبرى التي يجب أن يمنحها بنات قلبه وجوهر لبه قبل أن يمنح ذلك غيرها من الجوامع الاخرى ، وما احتاج المسلمون الى تلك الجامعة في دور من ادوار حياتهم احتياجهم اليها في هذا العصر الذي اصبحوا فيه كما قلنا شتى المسالك والمذاهب ، لاموطن لهم الا تلك الاصقاع المبعثرة في مشارق الارض ومغاربها التي يعيشون فيها عيش الاذلاء المستضعفين ، مهاجرياً كل خبزهم ومبشر يفتنهم عن دينهم ومتعنت منهم وفيهم يريد التسود عليهم بالاستمساك بقشور الدين دون لبه ، فان لم يتعارفوا ويتعاقدوا على التعاون والتناصر تعاقداً يأنسون به عند اشتداد الكربة — كما هي الحال اليوم — ويفزعون اليه من غدر الزمان وظلمه كان مستقبلهم شراً من حاضرهم كما كان حاضرهم شراً من ماضيهم .

ان الوطنية او بالاحرى الجامعة الجنسية هي الطريق الموصل الى السعادة في

هذه الحياة الدنيا أما الجامعة الدينية فهي الطريق القويم والصراط السوي الموصلان الى السعادتين الدنيوية والاخروية ، هذا يا أخي مادعا نخبة من مفكري الامة الاسلامية وعلمائها وقادة الرأي فيها الى تأليف جمعية تدعى باسم « جمعية الخلافة » لاغاية سوى جمع كلمة المسلمين في هذه الاقطار والعمل يداً واحدة للرجوع الى احكام الدين الحنيف في الجهاد العالمي ومعالجة القضايا التي تعرض للعالم الاسلامي بصورة ضامنة لمصالحه حافظة لحقوقه .

وان أول قضية من تلك القضايا المعروضة الان (قضية الخلافة) التي يهم امرها المسلمون قاطبة بلا تفريق ، ويتضح من المعلومات التي وردت على هذه الجمعية والتي اتصل خبرها بكم ان آراء المسلمين في سائر انحاء المعمور قد اجمعت على وجوب عقد مؤتمر لهذه الغاية ، يكون القول الفصل في هذا الموضوع للمجموع فاصبح من البديهي اذاً ان يكون هذا المؤتمر الذي سيجمع بين المسلم الهندي والحجازي والسوري والمصري والعراقي والتركي والافغاني والفارسي والياباني والالباني والكرجي والتركستاني والمغربي خير وسيلة لتضامن المسلمين وتوحيد صفوفهم ليعملوا بعد ذلك الى ما فيه مصلحتهم .

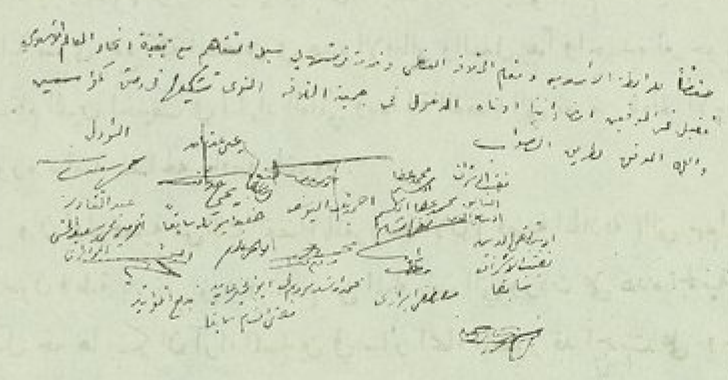
ولذلك فان من الواجب على كل مسلم ان يسعى الى موآزرة هذه الجمعية ومعاضدتها ونفحها بثاقب رأيه وجليل معرفته لتتم الغاية المقصودة منها ويد الله مع الجماعة .

رئيس جمعية الخلافة بسوريا

محمد سعيد حفيد المجاهد الامير عبد القادر ، أ.هـ

وكان من أهم أعضاء جمعية الخلافة الذين آزروا الامير سعيد وأيدوه هم : الشريف يحي باشا والشريف شرف باشا والشريف علي باشا أحفاد أمير مكة الشريف عبد المطلب الذي كان نزيلاً مكرماً عند السلطان عبد الحميد قبل ان يكون الشريف

حسين أميراً لمكة (1) ومفتي الشام الشيخ عطا الكسم ونقيب السادة الاشراف احمد الحسيبي ، ومن أعيان البلاد : بديع بك المؤيد واحمد بك اليوسف وراشد باشا مردم بك .



صورة زنكوغرافية لقرار تشكيل جمعية الخلافة

واذا لم تستطع جمعيات الخلافة المختلفة الوصول الى ايجاد خليفة شرعي يخلف آل عثمان ، فلأن القضية هامة جداً ، وقد انقسم المسلمون دويلات ذات نظم حكومية مختلفة يصعب ربطها عقب الحرب العالمية الاولى بهذا الرباط الديني ، ولذلك لم تعرض قضية الخلافة على المؤتمر الاسلامي الذي عقد في فلسطين بعد ذلك ، كما ذكر الامير سعيد نفسه في حديث له مع مندوب مجلة « الصباح » المصرية في القاهرة الذي نشر في العدد ٧٦ بتاريخ ٨ يناير (كانون ثاني) ١٩٢٢ وهو :

— ما رأي سموكم في الخلافة الاسلامية وأي ممالك الاسلام تفضلونها لها وأي المسلمين ترشحونه لتوليها :

— للخلافة شروط معلومة أولها اجماع المسلمين . ثانيها ان يكون الخليفة له من القوة والسطوة والبأس والسلطان ما يمكنه من المدافعة عن مقر خلافته وعن البلاد المشمولة بها فهل يمكن أن تتوفر هذه الشروط الاساسية الآن ؟

(1) كانت امارة مكة بالتناوب بين ابناء العمومة : آل عون وآل زيد ، وكان الشريف حسين من سلالة عون وهؤلاء الاشراف من سلالة زيد .

وهناك مسألة لاتقل أهمية وهي وجود خليفة للمسلمين يتمسك بخلافته لانه آخر خليفة بويع بالخلافة كما بويع أسلافه من قبل فهل تعتبر هذا الخليفة مخلوعاً ونفتش عن غيره أم نعترف به ونوليه ثقتنا ؟

ـ أما شخصياً أرى أن الخلافة وقد كانت في تركيا وكان الاتراك هم الذين ينوبون عن الاسلام في مبايعة الخليفة فكان لنيابتهم صبغة لا يمكن الاعتراض عليها وحق من حقوقهم اكتسبوه من عهد السلطان سليم . أما وقد تنازلوا عن هذا الحق وتركوه وديعة للمسلمين وطردوا الخليفة من بلادهم فقد أصبح عبد المجيد لا يملك حق الخلافة عن المسلمين الا اذا بايعه المسلمون قاطبة من جديد أو أنابوا عنهم من يبايعه .

وهكذا ترى ان مسألة الخلافة مسألة عويصة ليس من السهل الوصول الى حل لها دون ان تعرض البلاد الاسلامية الى انقسام الرأي واختلاف المذاهب . ومن أجل هذا لم نبحث فيها في المؤتمر . » أ ـ هـ

●●●

الخطّ الحجازي

يعلم الجميع قصة الخط الحجازي الذي يربط دمشق بالمدينة المنورة ، والذي بني في عهد السلطان عبد الحميد وساهم في نفقاته العالم الاسلامي بتبرعاته السخية ،وكان وقفاً للمسلمين ، دون تمييز بين أقطارهم وأجناسهم ولغاتهم ودولهم ، ويعلم الجميع ماذا أصاب الخط في أرض الجزيرة العربية من تخريب أثناء الثورة العربية ، عندما كانت جيوش الأمير فيصل تنسف السكة الحديدية بناء على ارشادات لورانس للضرورات الحربية ، وكيف مانع الحلفاء بعد النصر ، اعادة تعمير هذا الخط واقتسام الدولتين البريطانية والافرنسية استثمار السكك والقاطرات والمحطات الموجودة ضمن حدود انتدابها في سوريا وفلسطين وشرقي الاردن ، ولذلك كان لزاماً على المسلمين ان يطالبوا باعادة هذا الخط الى أملاكهم ، وارجاعه الى الاوقاف الاسلامية لتعمل على استثمار الخطوط الصالحة منه ، وتعمير ما يمكنها تعميره ، وكان ان تشكلت لجنة بدمشق برئاسة الأمير سعيد ، سميت : « لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي » ولعل في منشوراتها المتعددة وأعمالها المتتابعة واجتماعاتها واتصالاتها بالملوك والزعماء المسلمين ، وجمعية الامم وغيرها خير شرح لقضية هذا الخط الحجازي وتعدي الدولتين الافرنسية والانكليزية على حقوق المسلمين ومعرفة السبل التي يمكن فيها ان يستعيد هذا الخط مركزه ، فلقد نشرت لجنة الدفاع بياناً مطولاً وزعته على جميع البلاد الاسلامية فيه شرح كاف لما ذكرنا ، ونقلته أكبر الصحف والمجلات

العربية والهندية ، ففي مقدمته ذكرت فكرة تأليف اللجنة وغايتها وعملها وهي :

«مازالت فكرة تأليف لجنة اسلامية تقوم بالدفاع عن الخط الحديدي الحجازي الخط الاسلامي الوحيد الذي يمر بالأراضي المقدسة ويربطها بالديار الحجازية كعبة المسلمين وروضة النبي الأمين تشغل الكثيرين من مفكري البلدان الاسلامية ، وقد تحققت هذه الأمنيـة في أواسط سنة ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م.) ، اذ تألفت في دمشق لجنة خاصة من خيرة أبنائها برآسة سليل المجد والشرف صاحب السمو الأمير سعيد حفيد الأمير الكبير عبد القادر الجزائري الحسني ودرست حالة الخط في ماضيه وحاضره ووضعت تقريرها الأول موقظة به انظار المسلمين الى ماآلت اليه حالة هذا الوقف الاسلامي البحت ومعربة عما ترتأيه من الوسائل الفعالة لانقاذه من أيدي الشركات الأجنبية المغتصبة التي تتصرف بأمواله وأملاكه ومعامله ومداخره دون مسوغ قانوني يخولها حق التدخل بشؤونه فضلا عن التصرف الكيفي الذي تتمشى عليه شركة (D.H.P.) في الحالة الحاضرة .

ولما كان هذا الخط الاسلامي وقفاً عاماً لجميع المسلمين فقد ارتأت اللجنة ان تتقدم بتقريرها هذا الى العالم الاسلامي في أنحاء المعمور طالبة الى أبنائه الغيورين الأبرار أن يعاضدوها في مسعاها العظيم بتأليف لجان مماثلة في العواصم الاسلامية لتستنير بآرائهم الثقافية وارشاداتهم الثمينة وتسير معهم في سبيل الدفاع السلمي عن حقها الصريح بقدم ثابتة وعزم أكيد ، وقد أثبتنـا التقرير بالحرف منتظرين معونة اخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عملا بقوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى » وبذلك يعود الحق الى نصابه ويؤوب الغاصب الى صوابه والله ولي التوفيق .»

ثم يذكر البيان تقرير اللجنة العام الذي رفعته الى المراجع المسؤولة اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامي العام في القدس وهو :

تقرير لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي

كانت الدولة العثمانية حاملة لواء الخلافة الاسلامية تشاهد بعين اليقين ما يقاسيه المسلمون المتفرقون في أنحاء الكرة الارضية من الصين والهند وبخاري وجاوا الى تونس والجزائر وفاس وسائر الاصقاع من المشاق والمحن حين يتوافدون في كل سنة لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد المصطفى ﷺ لبعد المسافات التي يقطع بعضهم معظمها ركوباً على متون الابل أثناء اجتيازهم تلك البقاع النائية ولذلك فقد ارتأت ان تنشئ سكة حديدية يبتدئ أحد رأسيها من حيفا والثاني من دمشق نحو المدينة المنورة حيث تمتد الى مكة المشرفة وكان لهذا الأمر الجليل حافزان :

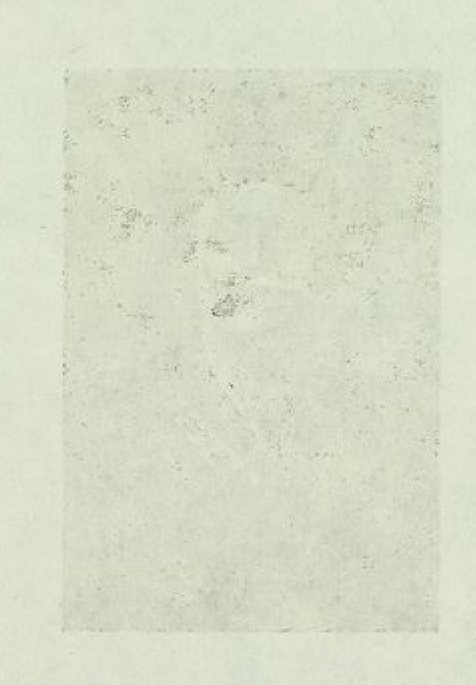
الأول الحاح المسلمين على الخليفة المرحوم السلطان عبد الحميد ليتمكنوا من اداء فريضة الحج بسرعة تامة وليكونوا آمنين مطمئنين مرتاحين من عناء السفر ومشاقه خصوصاً وبينهم الشيخ العاجز والطفل الصغير والنساء المخدرات وغير ذلك من ذوي المعاذير ممن لا يطيقون مشاق الأسفار البحرية ، والثاني ديني بحت وهو الواجب الشرعي المتحتم على إمام المسلمين بأن يتولى خدمة الحرمين الشريفين إما بنفسه أو بواسطة من ينوب عنه ابتغاء مرضاة الله ورسوله .

ولما كان هذا الأمر الجليل يحتاج الى نفقات طائلة لا يمكن أن يقوم بها فرد واحد من أفراد المسلمين أو دولة واحدة بنفسها ، ولذلك فقد تقرر بعد مذاكرات جرت بين امراء المسلمين والخليفة الأعظم لزوم التعاون بين كافة المسلمين في أنحاء المعمور ، وهكذا فقد يسر الله تعالى إتمام هذا المشروع المعظم بالتدابير الآتية :

١ - ان اللجنة التي تألفت في الآستانة لتأسيس الخط المذكور كانت أوفدت وعاظاً ومرشدين الى جميع الأقطار الاسلامية حيث جمعوا من كل فرد ما سمحت به نفسه من نقود وجواهر ، ولكن هذه النقود مع وفرتها كانت غير كافية وكافلة لاتمام هذا المشروع العظيم ومما يؤيد أعمال اللجنة بجمعها الأعانات من أفراد الأمة الاسلامية فقط اعلان اسماء المتبرعين مع مقدار تبرعاتهم بكافة الجرائد التركية



سمو الامير محمد سعيد بوشاح القطب الاعظم للمحفل الوطني السوري .



والعربية والفارسية والهندية . وكثير من الجرائد الأجنبية المنتشرة في أنحاء العالم حتى ان الدولة العثمانية تنشيطاً لهذا العمل المبرور كانت احدثت اوسمة ذهبية وفضية وزعتها تحت اسم « أوسمة إعانة السكة الحديدية الحجازية » ولا تزال هذه الأوسمة موجودة عند الاشخاص المتبرعين بالاعانات في ذلك الحين .

ثم عندما رأت الدولة العثمانية ان الاعانات المجموعة غير كافية لاتمام المشروع وايصاله الى الدرجة المطلوبة أصدرت أوراق طوابع السكة الحديدية الحجازية معلنة ضرورة الصاقها على أكثر الأوراق والسندات والعقود والاستدعاآت واتخذتها طوابع رسمية موقتة لافرق بينها وبين الطوابع المختصة بالديون العمومية ، وقد دام التعامل بالصاقها حتى عام ۱۹۲۳ تقريباً .

وقبل الحرب العامة كان وقع اعتراض من سفراء الدول الأجنبية بشأن الصاق طوابع السكة الحجازية على الأوراق المختصة بالأجانب ، ومن جملة اعتراضاتهم ان هذه الطوابع وضعت كأعانة دينية لايتوجب على الأجانب دفعها ، وعلى ذلك كانت اتخذت الصدارة العظمى في الآستانة وقتئذ قراراً أبلغته الى وزارة الداخلية والمالية والعدلية والخارجية والنافعة وأمانة الرسومات مفاده : « أن الصاق الطوابع الحجازية على الأوراق المتعلقة بالأجانب أمر اختياري لا اجباري . »

ب – بالنظر لأحكام القانون الصادر في ۱۸ آب سنة ۱۳۳۰ رقم (۱۹۲۱) فالسكة الحجازية وقف اسلامي محض وربطها في عهد الحكومة العثمانية بوزارة الأوقاف لأكبر شاهد على ان هذه السكة وقف من الأوقاف الصحيحة الموقوفة على الحرمين الشريفين ؛ وكان يصرف قسم من ريعها على إعمار الخط والقسم الآخر يصرف على المبرات في سبيل استكمال راحة حجاج بيت الله الحرام في حلهم وترحالهم ، وقد أيد ذلك أيضاً التصريح والاتفاق البريطاني الافرنسي المؤرخ في ۲۷ كانون ثاني سنة ۱۹۲۳

ولما كان تعريف الوقف بمقتضى الأحاديث النبوية والنصوص الشرعية هو

(حبس العين على وجه تعود منفعته على العباد ومنعها عن التمليك والتملك لتكون في حكم ملك الله تعالى) كما ثبت نصاً وشرعاً بأن الأوقاف الصحيحة المماثلة لوقف السكة المذكورة لاتباع ولا تشرى ولا يجوز هبتها لأحد وأن لكل فرد من أفراد الأمة الاسلامية بعيداً كان أو قريباً حق المداخلة بشؤونه والمطالبة بكل حق يتعلق به ، لاسيما وأن تولية أموره تعود شرعاً إلى إمام المسلمين وكما لايخفى فشرط الواقف كنص الشارع لايجوز تبديله ولا تغييره .

ت — كانت الحكومة الافرنسية اثناء عقدها القرض الكبير لتركيا عام ١٩١٤ طلبت من هذه توديع ادارة الخط الحجازي اليها كضمانة تلقاء ذلك الدين ولكن الحكومة التركية رفضت هذا الطلب بتاتاً معلنة ان هذا الخط وقف اسلامي عام لايجوز لها التصرف به رغماً عن احتياجها الشديد للنقود في ذلك الوقت .

ث — كان إمام المسلمين ولياً عاماً على الخط المذكور وناظراً شرعياً على ترقيته واستمرار أعماله ؛ فتبعاً لقوانين الحرب كانت سكة حديد شام — بيروت وحماه وتمديداتها أثناء الحرب العامة ملحقة بالخط الحجازي ثم اعيدت بعد انتهاء الحرب وجلاء الجيش العثماني بيرهة وجيزة الى الشركة صاحبة الامتياز واقيم لديها مفوض لمراقبة السوقيات العسكرية اثناء النقليات الكبيرة وفقاً لأحكام الامتياز وللقواعد المرعية بهذا الشأن ؛ وبينما كان قياساً على ذلك من الحق والمنطق اعادة فروع الخط الحجازي الواقعة في فلسطين الى الادارة العامة في دمشق وتوحيدها مع الخط الأساسي حفظاً لحقوق الأوقاف الاسلامية إذ بنا نرى أيدي التجزئة والتخريب تلعب ألعابها إلى أن أصبح المقصد السامي الذي انشأ من أجله الخط نسياً منسياً وعاد الخط خراباً يباباً تتصرف بشؤونه السلطات الأجنبية التي لايروقها غير القضاء عليه قضاءً مبرماً كما هو مشهود ومؤيد بالواقع المحسوس خلافاً للنصوص الشرعية والمعاهدات الدولية واقربها عهداً معاهدة لوزان . أما فروع الخط الحجازي الواقعة

في فلسطين فمنها ما أنشئ قبل الحرب ومنها ما أسس في أثنائه ، فالأقسام التي تمت قبل الحرب أي قبل سنة ١٩١٤ هي كما يأتي :

١ ـ حيفا	ـ	الحمه	(٩٥) كيلو متراً
٢ ـ عفوله	ـ	نابلس	(٧٨) » »
٣ ـ بلد الشيخ	ـ	عكا	(٢٢) » »

والأقسام التي انشأت أثناء الحرب العامة هي :

١ ـ مسعودية	ـ	قصيمة	(٢٦٣) كيلو متراً
٢ ـ تينه	ـ	بيت حانون	(٣٩) » »
٣ ـ دير سند	ـ	هوج	(٧) كيلو مترات
٤ ـ طولكرم	ـ	كفر قرع	(٢٠) كيلو متراً

وتنحصر الفروع التي تستثمرها ادارة سكة حديد فلسطين في الوقت الحاضر في أقسام حيفا ـ الحمه وبلد الشيخ ـ عكا وعفولة ـ نابلس فقط ، أما الأقسام الباقية فقد رفعت معظم أجزائها وبيعت للأهلين الطون بسعر (١٩٢) غرشاً مصرياً حسبما أعلن في الصحف في حينه ، بينما ثمن الطون يساوي خمسة أضعاف ذلك وقد اعطيت بعض المواد الانشائية الى ادارة سكة حديد الشام لتمديد فروع بصره اسكي شام ـ قسم غرز وطوله (٣٣) كيلو متراً والباقي لايزال معرضاً للعطل والتخريب تحت رحمة التأثيرات الجوية في حين ان الخط الاساسي حتى المدينة المنورة بحاجة ماسة للاصلاح والترميم فضلا عن احتياجه المبرم للزيادة الحاصلة في واردات أقسام حيفا وسوريا ليتمكن من البقاء بصورة فعالة .

أما مايتعلق بالقسم الواقع في المنطقة السورية فهناك في محطة القدم معمل الخط العمومي الكبير وفيه كانت تصلح وتعمر كافة آلات وأدوات الخط المحركة والمتحركة وكان بمثابة أعظم معمل ميكانيكي في كافة أنحاء البلاد العثمانية مجهز بأحدث الآلات والأدوات الميكانيكية استولت عليه شركة حديد الشام ـ حماة وتمديداتها

الافرنسية بغير مسوغ قانوني واستقلت بشؤونه وتصرفت بمحتوياته كيفما شاءت أطماعها وأهواؤها وذلك بأمر أصدره المفوض السامي الافرنسي في سوريا ولبنان اعتباراً من بداية شهر آذار سنة ١٩٢٤

عقد المفوض السامي الافرنسي بتاريخ ٢٢ شباط سنة ١٩٢٤؛ مع شركة حديد الشام ـ حماه وتمديداتها اتفاقية جائرة مخالفة للأحكام الشرعية والقوانين المدنية والعهود الدولية وبغير ان يستشير احداً من ذوى العلاقة والاختصاص بهذا الشأن وسلم بموجبها القسم الواقع في سوريا الى الشركة المنوه عنها؛ فثار ثائر القوم في دمشق وأكثر البلدان الاسلامية وأضرب الأهلون في دمشق احتجاجاً على هذا العمل المجحف بالحقوق والأوقاف الاسلامية الصريحة وأقفلوا أسواقهم ثلاثة أيام متواليات وابرقوا الى عصبة الامم والى وزارات الدول العظمى وأبانوا الأضرار الناشئة عن ذلك فلم تجد احتجاجاتهم نفعاً مع انها تستند على حق صريح سلبته هذه المقاولة من الأمة الاسلامية ووضعته تحت سيطرة شركة اجنبية منافسة له كان ولا يزال دأبها السعي للقضاء عليه، فوصلت بذلك الى غايتها وسلبت أمواله بطرق ووسائل شتى؛ ومن مطالعة تلك الاتفاقية وتمحيصها وتدقيق أعمال الشركة المذكورة منذ استلامها زمام القسم الآنف البيان يتضح الغبن الفاحش والاضرار الجسيمة التي لحقت به، ومما يؤلم استمرار هذه الاضرار بل وازديادها التي تضاعف اضرار الخط الاساسي الكبير.

والاغرب من ذلك كله ان ادارة شركة سكة حديد الشام وحماه وتمديداتها قد أصدرت أمراً بتاريخ ١٦ نيسان سنة ١٩٢٤ رقم (٢٣٠) الى معمل القدم الكبير قالت فيه ان تعميرات وترميمات عربات وشاحنات الخط الافرنسي التي تجرى في المعمل اذا كانت غير حسنة وتستلزم الاصلاح أو كانت سيئة أو جرت ببطء فنفقاتها تقيد على السكة الحجازية دون ان تدفع سكة حديد شام ـ حماه وتمديداتها شيئاً في حين ان ادارة المعمل ونظارته وكافة شؤونه في أيدى مأموري ادارة سكة

حديد الشام ـ حماة وتمديداتها المذكورة . فهل سمعتم أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها بمثل هذا المنطق ؟

وقد أصلحت هذه الشركة قسماً عظيماً من شاحناتها وعرباتها في المعمل الحجازي على الأساسات المذكورة وأهملت ترميم الأدوات المتحركة الحجازية حتى أنها خافت أن يفتضح أمرها بصورة جلية فعادت وأخذت لخدمة المعمل المذكور حتى بداية كانون اول سنة ١٩٢٤ ثمانية وثمانين عاملا عوضاً عن الخمسة وسبعين عاملا الذين كانت اخرجتهم من الخدمة في شهر آذار سنة ١٩٢٤ حين استلائها على قسم السكة الحجازية في سوريا ، وبعد ان كانت دفعت لهم من خزينة هذه السكة اكراميات كبيرة بلغت الوفاً من الليرات بناء على خدماتهم المديدة في ادارة الخط الحجازى .

فلو أردنا احصاء مساوىء ادارة سكة حديد الشام ـ حماه وتمديداتها والاضرار الكبيرة التي لحقت بالخط الحجازي من جرائهـــا أولاً وآخراً تحت تأثير ونفوذ السلطات بصورة غير مشروعة ومنافية للعهود الدولية ثم لو تأملنا الاعمال الفظيعة التي قامت بها من أجل القضاء عليه والتخلص من منافسته علمنـا ماتتوخاه هذه الشركة من وراء ذلك من تحطيم الخط وتركه بحالة لا يرجى معها اعادة ترميمه ودوام استثمارة حسب الغاية العليا التي انشىء من أجلها مما يدعو المسلمين في كافة أقطـار العالم لان يسرعوا لاستخلاصه بالطرق المشروعة من أيدي المغتصبين وارجاعه الى الحالة القديمة .

ثم كيف يجوز أيضاً أن يبقى قسم الخط الحجازي في سوريا تحت سلطة هذه الشركة في حين أنها عاجزة عن ادارة خطوطها وشؤونها الأصلية ، وأبسط دليل على عجزها وسوء ادارتها هبوط قيمة أسهمها الى (٢٤٠) فرنك ورقاً بعدما كانت قيمة السهم (Obligation) أبان تأسيسها (٥٠٠) فرنك ذهباً ؛ وفي هذا الدليل الكافي على الاختلاسات وسوء الاستعمالات التي تظهر من آن الى آخر في أموالهـا

من قبل بعض مأموريها وتبلغ ملايين الفرنكات وأقر بها عهداً اختلاسات المسيو « موريتي » ثم المسيو « كيرين » ، فمن هذا كله يتضح درجة الأضرار الجسيمة اللاحقة بالخط الحديدي الحجازي بعد اتصاله بهذه الشركة الأجنبية والتي تزداد تفاقماً اذا لم تتداركه أيدي المسلمين بانقاذه من مخالب الغاصبين .

ولا يخفى انه يوجد فرمانات ملوكية تتعلق بعدة امتيازات ذوات قيمة عظيمة كانت منحت في عهد الحكومة العثمانية الى ادارة السكة الحجازية ومنها الفرمان المؤرخ — ٣٠ شوال سنة ١٣٣١ لانشاء مرفأ ورصيف حيفاواستثماره . وفرمان مؤرخ — جمادي الآخر سنة ١٣٣٦ من أجل استثمار شلالات مياه تل شهاب ، وفرمان آخر مؤرخ — ٥ جمادي الآخر سنة ١٣٢٢ لأجل استثمار حمامات الحمة المعدنية الواقعة على الخط الحجازي ولما كانت معاهدة لوزان تنص بمادة خاصة على بقاء كافة الامتيازات الممنوحة قبل الحرب العامة مرعية الاجراء ، ولما كانت هذه الامتيازات تساوي مئات الألوف من الليرات أصبح من واجب الهيئات الاسلامية القائمة بالدفاع عن حقوق الخط الحجازي المطالبة بهذه الحقوق القانونية الوقفية المكتسبة الثابتة والمؤيدة في المؤتمرات والمعاهدات الدولية وحفظها من أجل تعميرات الخط الضرورية وتمديده نحو مكة المشرفة كما كان متصوراً عند انشاءه .

ولما كانت عصبة الامم المتألفة لحفظ التوازن الدولي وتوطيد السلم في كافة انحاء المعمور لم تجسر حتى في صكوك الانتدابات التي أملتها على الشعوب الضعيفة املاء بغير أن تشركهم في وضعها أو أن تأخذ رأيهم في بنودها المجحفة على إهمال قضية الأوقاف الاسلامية أو جعلها طعمة للغاصبين . ولذلك فقد نصت الفقرة الأخيرة من صك الانتداب الذي خصته بسوريا على ما يأتي :

« ... وخصوصاً ادارة الأوقاف التي تدار وفقاً للشريعة ولارادة الواقف . »

ولم تكن كلمة الأوقاف منحصرة بالأوقاف الاسلامية طبعاً لذلك فأوقاف الطوائف الأخرى مطلقة يتصرف بها أربابها كما يشاؤون مما يجعلنا نستغرب كل

الاستغراب حصر التعرض والتدخل في شؤون الاوقاف الاسلامية . ولم يخول هذا الصك الذي نظم من جهة واحدة وفي جانب السلطات المسيطرة أكثر من حق النقليات العسكرية على الخطوط الواقعة في الاراضي السورية عند الضرورة شريطة ان تدفع الاجور المادية وفقاً للتعرفة التي ستوضع بين الطرفين كما جرت عليه العادة أيام الحكومة العثمانية وفي كافة البلاد المتمدنة وقد نصت على ذلك الفقرة الثالثة من المادة (٢) من الصك المذكور .

ولذلك فان لجنة الدفاع ترى من واجبها الديني والقومي أن تلفت أنظار الحلفاء الى هذه القضية الحقوقية الهامة طالبة اليهم انصاف الاوقاف الاسلامية والمسلمين جميعاً باعادة هذا الحق الصريح إلى أصحابه الاصليين ليقوموا على ادارته بواسطة لجنة اسلامية تتركب من الفنيين والاخصائيين من أبناء البلاد التي يمر منها هذا الخط تدبر بشؤونه وتعميره وتعيده لعهده الاول وتهيئه الى غاية الواقف وشروطه الاساسية .

أما الوسائل التي يجب أن تتذرع بها لجان الدفاع في البلدان الاسلامية هي : !

أولا) ابراق برقيات الاحتجاج الى رآسة عصبة الامم والى محكمة العدل الدولية لاعادة الخط الى لجنة تنتخبها الطائفة الاسلامية من أبناء سوريا وفلسطين والحجاز.

ثانياً) الابراق الى وزارة الخارجية الافرنسية والبريطانية لنفس الغاية .

ثالثاً) تأليف وفد من البلدان الاسلامية يذهب الى العواصم الاوربية وجنيف ولاهاي لمتابعة الدفاع الفعلي عن هذا الوقف الاسلامي .

رابعاً) الطلب من وزارتي الخارجية البريطانية والافرنسية أن يقبلا حالا بتعيين أشخاص مندوبين عن لجان الدفاع السورية والفلسطينية ليشتركا بالاشراف الموقت على ادارة الخط المذكور ويطلعوا على مصارفات الخط وارداته .

هذا ما ارتأته اللجنة من الوسائل الفعالة لانقاذ هذا الوقف العظيم من مخالب المسيطرين بسلطانها ولنا ملء الثقة في اخواننا المسلمين الذين يتفطرون أسى على

ماحل بحقوقهم المضاعة انهم سيكونون خير عون وخير مرشد والله ولي المتقين (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله .)

حرر في ١ ذي الحجة سنة ١٣٤٩ الموافق ١٨ نيسان ١٩٣١

رئيس لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي

سعيد عبد القادر الجزائري

ونقتطف من مجموع الاعمال والاجتماعات العامة التي قامت بها اللجنة ، بعض أخبار الصحف المختلفة عنها .

فقد جاء في جريدة الف باء الدمشقية بعددها ٣٢٦٨ الصادر يوم الخميس في ٢٩ تشرين اول ١٩٣١ الخبر والبيان التاليين :

الخط الحجازي اليتيم

بيان لجنة الدفاع عنه ـ صورة الاحتجاج

أرسلت الينا لجنة الدفاع عن الخط الحجازي المغتصب بياناً عن الاحتجاج الكبير الذي قامت به دمشق يوم السبت الفائت وصورة الاحتجاج الذي قدمته الى المراجع الايجابية ننشرها فيما يأتي :

بيان اللجنة

ان لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي المؤلفة بدمشق الشام من رجال عرفوا بغيرتهم الدينية وماضيهم الناصع في كل مايعود بالنفع على المسلمين عامة والعرب خاصة وهم : (سمو الامير سعيد عبد القادر الجزائري رئيساً والسادة مصباح محرم الزعيم نسيب البكري ، الشيخ موسى الطويل ، الشيخ علي ظبيان الكيلاني ، ابو الفرج الموقع ، امين الدالاتي ، نزيه المؤيد ، شريف الحجار ، يحيى كاظم ابو الشرف ، الشيخ سعدي القصابي ، سعيد عبيد ، الطبيب احمد راتب ، رشيد الطرابيشي ، فؤاد المحاسني) كانت بمناسبة اغتصاب شركة شام ـ حماه وتمديداتها

لمحطة الخط الكبرى في دمشق نشرت يوم الاربعاء في ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٥٠ (٢١ تشرين اول سنة ١٩٣١ م) نداء للعالم الاسلامي كافة وملوكه وامرائه وزعمائه وجمعياته الاسلامية في أقطار الأرض طالبة اليهم مشاطرتها العمل ماديا وادبيا لاسترجاع الخط المذكور إلى أيدي المسلمين أصحابه الشرعيين بصفته وقفا اسلاميا عاما ، فما أطلع الدمشقيون على ندائها إلا واهتزت عاصمة امية دمشق الشام وباب الكعبة المشرفة من جميع جهاتها ، فاحتشد في صباح السبت ١٢ جمادي الثانية (٢٤ تشرين أول) نحو الساعة التاسعة زوالية في جامع بني امية جمع كبير يربو عن خمسة عشر الفا من علماء المسلمين وزعمائهم وكبار التجار والملاكين والاطباء والمحامين والشباب العامل والاهلين على اختلاف طبقاتهم ، وبعد تلاوة عشر من القرآن الحكيم صعد سمو الامير سعيد عبد القادر الجزائري رئيس لجنة الدفاع عن الخط ، المنبر الكبير وتلى خطابا بليغا أعرب به بحجج دامغة من وجهتي الحقوق الدولية والشرعية بضرورة اعادة هذا الوقف الاسلامي الى أيدي المسلمين ليتسنى لهم اصلاحه وارجاعه الى شروط الواقف ليتمكن المسلمون من اداء فريضتهم الدينية وزيارة قبر نبيهم الكريم ﷺ بكل راحة وتوفير في الوقت والمال حسب الغاية الشريفة التي انشىء الخط من اجلها مما يعيد الى البلاد السورية داخلا وساحلا رونقها الاقتصادي بعد أن أشرفت متاجرها على الخراب بسبب انقطاع هذا الخط واستثمار أقسامه من قبل شركات مختلفة وتصرف شركة شام ـ حماه وتمديداتها بأموره ، واغتصابها مداخره ومبانيه . وعندما فرغ الأمير سعيد من خطابه البليغ هتف الجميع في المسجد قائلين : (الله أكبر) ثلاث مرات ، ثم صعد المنبر أمين سر لجنة الدفاع السيد يحيى كاظم ابو الشرف وتلى الاحتجاج الذي ستقدمه اللجنة الى رئيس وزراء حكومة سوريا والى وكالة المفوض السامي في بيروت ومندوبه المستشار في دمشق والى وزارة الخارجية الافرنسية وجمعية الامم والتي سترسل صورا عنه الى ملوك الاسلام وامرائه وزعمائه وجمعياته الاسلامية كافة ، فوافق الجميع على ذلك

وهتفوا مكبرين مرات عديدة ، ولما كانت الحكومة الموقتة حظرت على الأهلين سيرهم في الأسواق بشكل مظاهرة سلمية هادئة ، فقد اضطرت اللجنة ان تعين هيئة خاصة من بين أعضائها تذهب لتقديم الاحتجاج مع الرئيس سمو الأمير سعيد عبد القادر وهم : المجاهد الكبير نسيب البكري والتاجر المعروف الشيخ موسى الطويل والشيخ علي ظبيان الكيلاني والسيد شريف الحجار وامين سر اللجنة السيد يحيى كاظم ابو الشرف والسيد سعيد عبيد والسيد عبد الله الاوبري والسيد فؤاد المحاسني ؛ وقد قامت الهيئة المنتخبة بتقديم الاحتجاج الى رئيس الوزارة السورية ومندوب المفوض السامي المستشار .

وكانت دمشق منذ صباح السبت أي يوم الاحتجاج موصدة متاجرها ومغلقة أسواقها إغلاقاً تاماً دام مدة الاحتجاج بكاملها اظهاراً لاستيائها الشديد على تصرف الشركة الغاصبة بهذا الوقف الاسلامي الكبير طالبة ارجاعه الى المسلمين أصحابه الشرعيين .

أرسلنا اليكم وصف الاحتجاج الكبير الذي جرى بدمشق الشام مع صورة الاحتجاج الذي ارسل للمراجع اللازمة راجين من جنابكم نشر ذلك في الصحف ليطلع العالم الاسلامي على ذلك لمؤازرة لجنة الدفاع ومخابرتها من أجل تأليف وفد اسلامي يوفد الى البلاد الأوربية للدفاع الفعلي عن هذا الوقف الاسلامي الكبير وارجاعه الى أصحابه الاصليين حفظاً لحقوقهم المهضومة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

امين سر اللجنة : يحيى كاظم ابو الشرف

صورة الاحتجاج

معلوم لدى جنابكم ان تسليم الخط الحجازي الحديدي في سوريا مع معامله وأدواته وقطاراته وأمواله وعماله الى شركة سكة حديد (شام-حماه وتمديداتها) وتصرفها في جميع شؤونه تصرفاً مجهولا وسيئاً الى حد ان أقسامه الجنوبية مما يلي

شرق الاردن الى الحجاز (التي لقلة وارداتها كان عمرانها واستثمالها قائماً بما يتوفر من مال الربح في سوريا وفلسطين) وقد أصبحت اليوم معطلة خربة فضلا عن ان الفروع الفعالة ايضاً في سوريا سيكون مآلها العطل والخراب اذا مادامت في أيدي الشركة الغاصبة مما كان سبباً لحرمان عشرات الوف المسلمين عن اداء فريضتهم الدينية بواسطة هذا الخط الذي انشئ لتوفير راحتهم ووقتهم ومالهم وباعثاً قوياً لتعطيل تجارة البلاد السورية داخلها وساحلها وحرمانها من خيرات كثيرة كانت لها أثناء موسم الحج المبارك ومرور الحجاج ذهاباواياباحتى أشرفت اقتصادياتهاعلى الاندثار

ثم ان لجنة الدفاع عن الخط الحجازي قدمت من عهد قريب للمراجع اللازمة تقريراً مسهباً مشفعاً بالاحتجاج على سوء تصرف الشركة المذكورة طالبة اعادة الخط وتعلقاته الى ادارة اسلامية حسب ارادة المسلمين أصحاب هذا الوقف الشرعيين الذين قد عم استياؤهم وتعالت شكاياتهم ، فبدلا من ان تكف المراجع الايجابية يد الشركة عن الخط فيرجع الخط الى نصابه وأصحابه ! واذ بالشركة المذكورة قد امتدت يدها منذ اسبوع الى محطة الخط الحجازي الكبرى التي هي حرم هذا الوقف وأظهر دعامة له بدمشق الشام فاتخذتها الشركة محطة لنفسها وخطوطها .

فعليه يتقدم فريق كبير من المسلمين في هذه الساعة بدمشق باب الكعبة المقدسة وفي مقدمتهم لجنة الدفاع عن الخط الحجازي الى المراجع الرسمية المسؤولة محتجين معلنين استياءهم الشديد طالبين تجريد الشركة من المحطة الكبرى وارجاعها الى ما كانت عليه ، ثم كف يد شركة سكة حديد (الشام ـ حماه ـ وتمديداتها) عن الخط الحديدي الحجازي الوقف الاسلامي المحض واعادته بجميع تعلقاته وشؤونه الى ادارة اسلامية من ذوي الاختصاص أبناء المناطق التي يعرمها هذا الخط المقدس واقبلوا احتراماتي .

دمشق في ١٢ جمادي الثانية ١٣٥٠ الموافق ٢٤ تشرين الاول ١٩٣١

باسم لجنة الدفاع عن الخط الحجازي والوف المحتجين

الأمير سعيد عبد القادر الجزائري

ولقد نشرت جريدة الشعب الدمشقية في عددها الصادر في ٢٥ تشرين اول سنة ١٩٣١ في حقل الحوادث والاخبار المحلية مايلي :

البلد الغضبى للخط الحجازي

الخطب والاجتماعات في المساجد ، التظاهر والاضراب

على أثر نقل مديرية خطوط شام حماه وتمديداتها ، مركز محطة خط بيروت حلب من محطة البرامكة الى محطة الخط الحديدي الحجازي في القنوات ، تجددت في البلد روح النقمة فدعت لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي أهالي دمشق الى حضور الاجتماع العام الذي قرر عقده في الجامع الاموي الكبير وعينت لذلك يوم السبت الساعة العاشرة قبل الظهر للاجتماع المذكور والقاء الخطب والسير بمظاهرة سلمية كبرى يعلن فيها الشعب الدمشقي احتجاجه واستنكاره لتسلط شركة شام حماة وتمديداتها على محطة الحجاز في القنوات واتخاذها محطة لسائر الخطوط الحديدية ونقل الركاب .

وقد القيت الخطب يوم الجمعة في مساجد المدينة وجوامعها وفي مساجد القرى الكبيرة في الغوطتين بالحض على التظاهر لاعادة الخط الحديدي الحجازي إلى أصحابه المسلمين .

وانتشرت الدعوة في البلد وقرى الغوطة وأخذت الجماهير تفد على المسجد الأموي منذ الساعة التاسعة والنصف حتى غص الجامع على رحبه بالوافدين وكان في مقدمتهم حضرة الأمير سعيد الجزائري رئيس لجنة الدفاع عن الخط الحجازي وبقية اعضاء اللجنة وكثير من وجوه المدينة وأعيانها وسراتها وأهل النفوذ والمصلحة فيها .

والقى رئيس اللجنة الأمير سعيد الجزائري خطاباً هذا نصه :

أيها السادة :

أقف بينكم في هذا الجمع العظيم وأكاد لاأصدق أنه يمثل هذا العصر وبوجود

دولة كدولة فرانسا يقع اعتداء فادح واغتصاب صريح على وقف اسلامي أسس من أموال المسلمين عامة والعرب خاصة لغاية مقدسة ومقاصد علوية ، ألا وهو الخط الحجازي المقدس الذي استولت شركة (شام حماة وتمديداتها) على كافة فروعه ومصانعه وخطوطه وعقاراته . وأخذت تتصرف به تصرف المالك بملكه ولم يقفها التجاوز غير المشروع عند حد بل ان الشركة تأميناً لمنافعها الخاصة احتلت منذ اسبوع محطة الحجاز نفسها وأخذت تسير قطاراتها فيها كأن هذا الملك تراث آبائها وأجدادها ضاربة بحقوق الامة الاسلامية واحتجاجات لجنة الدفاع عن هذا الخط عرض الحائط .

بينما نعلم ان المادة السادسة من الصك الذي وضعته فرانسا في عصبة الامم جعلت الأوقاف الدينية العامة لكل الطوائف مصونة من كل غصب واعتداء ولو فرضنا انه لايوجد في هذه الامة السورية التي برهنت عن كفاءة في كل شيء لاتقدر ادارة شؤون هذا الخط فهل من الشرع ومن المنطق ان يتصرف الوصي بأملاك الموصى عليه ؟ أو أن الشرع يقضي بأن يحافظ على ملك الموصى عليه ؟ أبوجود فرانسا تلك الدولة التي مدنت العالم ووزعت الحرية على البشر يقع هذا الحيف وهذا الغصب والاعتداء على حقوق المسلمين ؟ هل ترضى امة فرانسا التي إنما وجدت لتشرف على العدل ان تمس مقدسات المسلمين بهذا الشكل المريع ؟

إنني أكاد لاأصدق هذا وأحسب أنني في حلم إذ ليس من المعقول أن يقع مثل هذا الاغتصاب والتجاوز على حقوق ومقدسات المسلمين الا اذا وجد مايبرر ذلك بنظر فرانسا ... فما هو الأمر الذي يجيز لهذه الشركة حق التصرف بالتملك والبيع تصرف المالك بملكه ؟ واذا كان هذا التجاوز يخالف الشريعة ويخالف كل القوانين البشرية ، ألا يجب على الدولة الافرنسية ان ترجع الحق الى نصابه وتعيد الغاصب الى صوابه ؟ ان الخط الحجازي ومحطة الحجاز هما في نظر المسلمين حرم مقدس لاينبغي التجاوز عليه ، وليس من العدل ولا من الانصاف أن يكون بغير أيدي

المسلمين ... هذا مانريد أن تعلمه فرانسا وتعلمه تلك الشركة الغاصبة ، وأن دوام هذا الاعتداء يسيء الامة العربية بل يثير حفيظة ثلاثمائة مليون من المسلمين الذين يعدون هذا الوقف الاسلامي حقاً . قدساً من حقوقهم وملكاً مشروعاً لهم وانا قبل الانفضاض من هذا المكان أطلب باسم المسلمين عامة والعرب خاصة تسليم هذا الخط بأسرع مايمكن كي تتمكن الامة من تلافي ماطرأ على هذه المؤسسة الاسلامية من خراب ، واذا لم تسلم هذه الحقوق بأقرب وقت ممكن إلى أهلها فانا نلقي تبعة كل مايقع من جراء هذا الاعتداء على المتسبب . على أن أملنا بعدالة الدولة الافرنسية وطيد بأنها تنظر الى هذه القضية نظر الاعتبار وترجع الحق الى اهله والعدل الى نصابه والسلام عليكم .

احتياطات الشرطة

وقد احتاطت مديرية الشرطة العامة لامر التظاهرة واتخذت حيطتها لان لاتخرج المظاهرة عن الغاية السلمية التي دعت اليها لجنة الدفاع عن الخط ، فتعمل الايدي على استغلالها لامور قد تؤدي الى حدوث مسائل مخلة بالامن العام .

وانتشرت دوريات الشرطة والحرس الذين دعوا لمعاونة الشرطة في هذه المهمة الدقيقة في سائر الطرقات والشوارع الممتدة من الجامع الاموي الكبير حتى سراي الحكومة الكبرى في المرجة .

التظاهرة والاضراب

وخرجت التظاهرة من الجامع الاموي الكبير في الساعة العاشرة تماما وتدفقت الجماهير فغص بها السوق الكبير على اتساعه ، ومشت في موكب تسوده المهابة والوقار والسكون .

واضربت المدينة بسائر محالها التجارية والصناعية ودكاكينها ، وتعطلت الاعمال كافة منذ صباح الامس الى حوالي الظهر ، على ماحددت لجنة الدفاع عن الخط .

هذا ونترك لمخبرنا المحلي وصف سير التظاهرة وما يحمله الينا من أخبارها .

تفريق المتظاهرين

وهذا ماحمله الينا مندوب الصحف المحلي :

ولكن رجال الشرطة كانوا أخذوا أهبتهم لتفريق هذه المظاهرة فهاجموها في سوق الحيدية وأخذوا يعملون على تفريقها ، ولكن المتظاهرين لم تبد منهم أية حركة مخالفة للنظام وكانوا يسيرون هادئين مطمئنين بنظام بديع ، وعلى هذا واصلوا السير في شوارع المدينة الكبرى صامتين ، وكأن على رؤوسهم الطير ، ومروا بدار المندوبية واحتشدوا أمامها كما مروا بسراي الحكومة المحلية التي احتشد رجال الشرطة أمامها فلم تقف التظاهرة أمامها ، وفي الساعة الحادية عشرة تفرق المتظاهرون بكل هدوء وعادت المدينة الى العمل بعد اضرابها .

وكان لهذه الظاهرة الهادئة أعظم الأثر لا في المدينة فحسب بل لدى رجال السلطة أيضاً ، ودل المتظاهرون على حكمة وروية ، فهل سيوضع حد لأعمال الشركة وتصرفاتها ، وهل تعمد السلطة الى اعادة هذا الوقف الاسلامي المغتصب لأصحابه الشرعيين ؟

وقد نشرت هذا الاحتجاج كبريات الصحف العربية وعلقت عليه كثيراً من التعليقات .

كما ان الصحف كانت تتابع باهتمام مساعي لجنة الدفاع عن هذا الخط ، وكانت ترسل مندوبيها لمقابلة الأمير سعيد والاستفسار عن مدى نشاطه ، وكان الأمير يجيب على ذلك بصراحة ، وينشر البيانات تلو البيانات مبيناً للرأي العام ضرورة الاهتمام بهذا الخط وعدم السكوت عن مساعي الدول الاستعمارية باستثماره ظلماً وعدواناً ، وقد جاء في جريدة البيرق البيروتية في عددها ٦٧٠ الصادر يوم الخميس في ٢ نيسان ١٩٣١ من رسالة لمراسلها في دمشق قوله :

الخط الحجازي

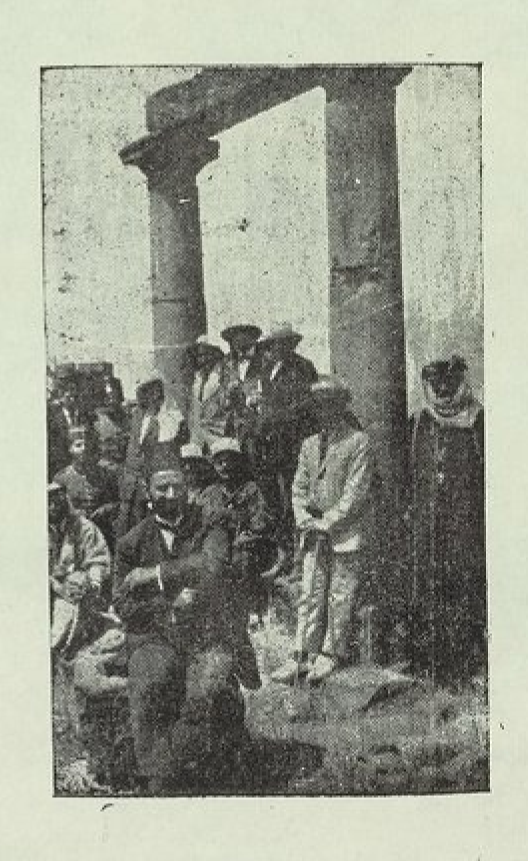
كنت أشرت في رسالتي الأخيرة ان لجنة الدفاع عن الخط الحجازي عقدت

اجتماعاً في الأمس في قصر سمو الأمير سعيد للنظر في قطعة الأرض التي يراد بيعها الى البنك الأفرنسي السوري ، وقد تلقينا هذا التصريح من سمو الأمير سعيد الجزائري :

« ان لجنة الدفاع عن الخط الحجازي في دمشق علمت من مصدر ثقة ان المفاوضات تدور منذ مدة بين مدير المصرف السوري — اللبناني واللجنة العليا المحافظة بحقوق واستثمار أملاك الخط الحجازي بشأن بيع قطعة الأرض الكائنة غربي دائرة الشرطة العامة المقابلة الى مقهى العباسية بدمشق والمؤجرة اليوم من السيد عبد الفتاح الكوسا — الى مدير البنك المذكور لبناء ادارة خاصة له ، وبما ان هذه القطعة هي وقف الخط الحجازي كسائر أملاكه فلا يجوز بوجه من الوجوه القانونية بيع أملاك هذا الوقف المقترن تصديقه بارادة سنية من خليفة المسلمين ، وان القرار المتخذ من لجنة الأوقاف العليا بالاجماع لبيع هذه الاراضي لايجوز تنفيذه بتاتاً كونه مخالفاً للشرع والقانون والمعاهدات الدولية المتعلقة بهذا الخط ، وان اللجنة المؤلفة من مندوب عن المصرف ومندوب عن المفوضية ومندوب عن اللجنة ومندوب عن الخط الحجازي لتخمين قيمة الأرض بهذين اليومين لايجوز اتمام مهمتها غير القانونية وحيث أن هذا العمل مخالف لشروط الموقف ولا يوجد نص شرعي يبيح بيع أملاك الوقف واستبدالها بالطرق المتبعة اليوم على سائر الأوقاف فعليه نلتمس توقيف هذا البيع والغاء كافة القرارات المتخذة بهذا الشأن واعطاء أوامر قطعية لمن يلزم بعدم التعرض لحقوق هذا الوقف الاسلامي العائد لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وتفضلوا بقبول فائق تحياتي .

رئيس لجنة الدفاع عن الخط الحجازي
الأمير سعيد عبد القادر

وفي رسالة لمراسل جريدة البلاغ المصرية من حيفا ، عندما سارع مندوبو الصحف لمقابلة الأمير سعيد الجزائري لاستطلاع رأيه في المسائل التي تهم



سمو الامير وقناصل الدول امام آثار بصرى اسكي شام .



الأقطار العربية باعتباره من كبار العاملين في الحقل الوطني ، جاء في رسالة هذا المراسل قوله :

« حيفا في ٢٥ فبراير لمراسل البلاغ الخصوصي – وصل الى فلسطين أخيراً الأمير سعيد الجزائري لقضاء بعض الشؤون الخاصة والعامة فقابله مندوب جريدة الجامعة الاسلامية الغراء واستطلع رأيه في بعض المسائل التي تهم الأقطار العربية واليكم خلاصة الحديث الذي نشرته الزميلة :

الخط الحجـازي

– ماهذه الاجراءات التي اتخذتها لجنة الدفاع عن الخط الحجازي التي ترأسونها لاسترداده للأوقاف الاسلامية ؟

– إني وأعضاء لجنة الدفاع عن الخط الحجازي الذي هو مؤسسة اسلامية ووقف اسلامي بحت حسب ماقررته جمعية الامم واعترفت بأنه وقف اسلامي عام لم نقصر باتخاذ جميع الطرق والوسائل التي تؤدي الى تخليص هذا الحق المغتصب . لقد خابرنا جميع ملوك وامراء ومتمولي العالم الاسلامي ليمدوا لنا يد المساعدة مادة ومعنى لأن هذه المؤسسة حق مشترك للعموم فلم نستحصل على نتيجة سوى الدعاء بالتوفيق والنجاح . قررت لجنة الدفاع عن الخط الحجازي أن ترفع دعوى على شركة شام – حماة – حلب وملحقاتها ولا يخفى أن إقامة مثل هذه الدعوى تتطلب مالا كبيراً . لقد بذلنا كل مافي استطاعتنا ولكن لا يمكننا المضي سيما ونحن جزء يطالب بهذا الحق . ان سكوت العالم الاسلامي جناية كبرى . لقد قابلت سمو الأمير عمر طوسون إبان وجودي في مصر وحدثته بهذا الشأن ورجوته باسم اللجنة أن يترأسها سموه إلا أنه اعتذر عن هذا العمل . نحن نخدم المصلحة العامة وحدها فاذا أرادت أية هيئة اسلامية القيام بهذا المشروع فنحن مستعدون للعمل تحت لوائها . » أ.هـ

***

في سبيل فلسطين

ظهرت المشكلة « الفلسطينية » على أثر الحرب العالمية الاولى وانسلاخ البلاد العربية عن الامبراطورية العثمانية ، ووعد الحكومة البريطانية للصهيونيين بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين ؛ وظهر النزاع بين العرب واليهود في فلسطين ، وتسابق كل من الطرفين بما أوتي من قوة ونشاط وأساليب للتغلب على خصمه ، فاليهود حاولوا تهويد فلسطين والعرب حاولوا الابقاء على عروبتها ، ووقفت الدولة المنتدبة موقفاً غريباً ، ظاهره الحياد ، وحفظ التوازن وتطبيق الوعدين المتناقضين للعرب واليهود احدهما على لسان مكماهون والآخر على لسان بلفور . وباطنه تحقيق أحلام اليهود ومساعدتهم بشتى الطرق القانونية وغير القانونية ، وشهدت فلسطين بين الحربين العالميتين نزاعاً سلمياً ونزاعاً مسلحاً ، وانتهى الامر بعد الحرب العالمية الثانية أن أقرت هيئة الامم المتحدة تقسيم فلسطين الى منطقتي نفوذ ، فرفض العرب واليهود التقسيم وقامت الحرب بين متطوعة العرب وجيوش دولة اسرائيل الجديدة ، ثم تطور القتال واشتركت فيه الجيوش العربية . وتقدمت في الارض الفلسطينية . وكادت تقضي على دولة اسرائيل في مهدها ، فتداخلت الدول الأوربية وأمريكا وأجبرت الطرفين على توقيع هدنة لا يفيد منها الخصمان من حيث التسلح ، ولكن الأسلحة الأميركية أخذت تتدفق على اسرائيل سراً وعلانية في حين حرم العرب منها ، وتجدد القتال وكان النصر حليف العرب أيضاً ففرضت هدنة ثانية ، زادت

في تسلح الجانب اليهودي بالاسلحة الثقيلة ، ونجحت أصابع الاستعمار ببذر بذور الخلاف بين الدول العربية ، وتحريض بعض الحكام ضد بعضهم الآخر ، ففت ذلك كله في موقف الدول العربية ، وهاجم اليهود كل دولة عربية منفردة بينما وقفت زميلاتها تنظر اليها وهي تتقي الضربات تلو الضربات ، وبذلك انتهت الجولة الاولى للحرب الفلسطينية برجحان كفة اليهود ومن ورائهم الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا وروسيا وجل الدول العالمية .

وخلال هذه الفترة الطويلة التي حاول فيها العرب صد العدوان الصهيوني في فلسطين كان الامير سعيد يعمل مع العاملين ويدعو المسلمين عامة الى التكاتف والتآزر ، وينشر المقالات محذرا من الاستسلام ، مبيناً أن للنصر طريقاً واحداً لايتعداه هو التسلح والاستعداد للقتال . ولن نذكر هنا مطول تاريخ القضية الفلسطينية الحزين الذي نقشت صفحاته باحرف من الم يحز النفوس العربيـــة والاسلامية ولا يزال ينغص عيشها الى ان تتاح لها الفرصة لاخذ الثأر واحقاق الحق ، وانما لابد من الاشارة الى بعض مواقف الامير سعيد كما جاء على لسان مختلف الصحف العربية . فلقد ذكرت جريدة الجامعة العربية التي تصدر في القدس في عددها ٤١٤ بتاريخ ٣ ربيع الاول ١٣٤٩ الموافق ٢٨ تموز ١٩٣٠ نص مذكرة رفعها سمو الامير سعيد الى لجنة البراق الدولية يشرح فيها حقيقة حال اعتداء اليهود على حائط البراق الشريف ويفند فيها المزاعم الصهيونية ويدلي بالحجج العربية . وحادثة حائط البراق هذه عبارة عن ان اليهود في عام ١٩٢٩ على اثر مؤتمرهم الصهيوني الذى عقدوه في زوريخ بسويسرا تمدوا على الحقوق الممنوحة لهم بالوقوف امام حائط المبكى للعبادة والبكاء باعتباره الجدار الوحيد القائم الى اليوم من بقايا هيكل سليمان ، ووضعوا الى جانب الحائط مقاعد خشبية ورفعوا الاعلام اليهودية تمهيدا لتحويل المـــكان الى كنيس يهودي ، وفي هذا العمل استفزاز للمسلمين ، لان الحـائط هو أحد جدران المسجد الاقصى ، فنشبت ثورة

ابتدأت في ٢٣ آب ١٩٢٩ واسمعت صوت العرب الى البريطانيين حماة البلاد مع صوت البارود ، فاستقدمت بريطانيا جيوشاً للنجدة من مصر وتمكنت من التغلب على الثورة وارسلت الحكومة الانكليزية لجنة للتحقق في حادثـة حائط المبكى وتعدي اليهود على حقوق العرب عرفت بلجنة « شو » وهو اسم القاضي الانكليزي رئيس اللجنة او بلجنة البراق الشريف باعتبار حائط المبكى عند اليهود هو حائط البراق الشريف عند المسلمين ، ووصلت اللجنة الى القدس في ٢٣ ايلول ١٩٢٩ وقضت ثلاثة اشهر في فلسطين رفعت أثرها تقريراً الى الحكومة الانكليزية عن اسباب الاضطرابات التي مردّها جميعها هو خيبـة أمل العرب وعدم تحقيق أمانيهم السياسية والقومية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي ، وكان ممن سـارع الى اللجنة وشرح لها موقف العرب واليهود هو الامير سعيد بمذكرته التالية :

« توطئة : انني مع تكرار احتجاجي على الحالة التي اوجدها في بلادنا حلفاء العرب وعدم اقرارنا مشروعية هذه السيطرة بشكلها الحاضر المسماة بصك انتداب فلسطين وبالنتيجة لعدم اعترافنا بتلك الصلاحية التي استندوا عليهـا في هذا الموضوع الاسـلامي اقبل فقط في سرد وجهة نظرنا الموضحة بهذا الكتاب دون التقيد باي قرار تصدره لجنتـكم المحترمة ويكون مخالفاً لحقوق المسلمين في هذه القضية .

الموضوع : ان المغاربة هم سـكان حي البراق الشريف (الحائط الغربي للمسجد الاقصى) وهم اقرب الناس لرؤية حقيقة موقف اليهود عند ما كانوا يأتون حائط البراق الشريف للبكاء على ذكريات مجد مندثر .

والمغاربة هم احرص الناس على قدسية هذا المكان الذي يتعلق بهم مباشرة وبالدرجة الاولى بسبب علاقته بوقفهم الخـاص عدا كونه لا يتجزأ عن الحرم الشريف المقدس ، وهم لا يعترفون مطلقاً بمدعيات اليهود القائلة اليوم بانهم انما كانوا يقفون بـكائهم امام الحائط يقومون بطقوس دينية تشبه صـلاة كنائسهم رغماً عن ان ادعاءً كهذا من اليهود اليوم يدحضه العقل والمنطق وتكذبه الحقيقة

الراهنة ، والواقع نقول بان المغاربة لو رأوا اثراً من الصحـــة لما يرونه اليوم من مظاهر موقف الباكين لـكانوا اول من حرمهم ولوج باب هذا الاستعطاف ولسدوا في وجوههم مداخل املاكهم وممر ارقافهم ومنعوهم من تخطي هذا الجزء المقدس من الحرم الشريف فعدم ممانعتهم لليهود حينما كانوا يقفون للبـكاء امام الحائط فيما مضى لاكبر دليل سـاطع على نفي مايدعيه هؤلاء المستعطفون ويؤيد بانه لم يكن هنالك من طقوس دينية أو أمور عبادة ينتج عنهـا معنى السيطرة على ذلك المحل الاسلامي المقدس أو ادعاء أي حق من الحقوق فيه لليهود .

ان اليهود كانوا يبكون فقط وليس من يعلم ما كانوا يضمرون وما سيضمرون بعد استجابة طلبهم ومدعياتهم في لندن . أما نحن العرب وأنا بالنيابة عن المغاربة بينهم نقول ان تمادي اليهود في هذه المدعيات يجعلنا نقرر عدم الاستمرار على التسامح السابق الذي عاملنا به هؤلاء القوم عندما كانوا يستعطفوننا وسندافع عن حقوقنا ومقدساتنا هذه أمام كل مغتصب بكل ماعندنا وما أوتينا من قوة بأرواحنا وأولادنا ، وأرجوكم أن تسمحوا لي القات نظر لجنتكم الموقرة من ان هذا التحدي لحقوق المسلمين ومقدساتهم سوف يتردد صداه بين سكان شمالي افريقيـا المسلمين عموماً وستؤثر هذه المدعيات اليهودية الباطلة على علائق اخواننا المسلمين هناك ايضاً مع اليهود وتقع مسؤولية جميع النتائج التي تستوجبها هذه المداخلة على عاتق القائمين بهذا الادعاء أمامكم من ممثلي اليهود ، وكذلك على من أنابهم بهذا الادعاء الغريب الوهمي الذي يدون منكم اقراراً كحق رغم ارادة أرباب الحق ، وأصحاب هذا المكان المقدس وليست الشهادات المناقض بعضها البعض التي أتوكم بها والدلائل الواهيـة المخالفة لمبادئ أبسط القضايا الحقوقية التي تذرعوا بها في مدعياتهم أمامكم سوى حجج دامغة لتأييد حق المسلمين واثبات تهجم هؤلاء ومداخلتهم استناداً على وعد بلفور الجائر بمقدسات ثلاثماية وستين مليوناً من المسلمين منتشرين في مشارق الأرض ومغاربها .

واني ألخص لكم معلوماتنا في الموضوع المدعى به بالبنود الآتية :

١ — وقوف اليهود أمام حائط المسجد الأقصى والبراق الشريف ومرورهم بأوقاف المغاربة الخاص كان عن طريق التساهل وللبكاء فقط .

٢ — لم يكونوا بعددهم مايلفت الأنظار أو ينبه الأفكار فلم يكن يزيد عددهم مجتمعين عند الحائط للبكاء على عشرين شخصاً .

٣ — لم يكن هناك شيء مطلقاً من مظاهر الطقوس الدينية التي يدعونها اليوم .

٤ — ان المسلمين كانوا اثبتوا في جميع ظروف حكمهم . وكما هم في بلادهم الذين يشكلون اكثريتها المطلقة اليوم لايفرقون بين المسلم وبقية الطوائف فيما يتعلق بالعدل والانصاف والمساواة على ان لاتكون هنالك مساع لاحلال قوم محلهم واستباحة مقدساتهم والتعدي عليها بهذه المدعيات المستنكرة . ولا أظن بأن لجنتكم المحترمة لو أقامت نفسها مقام المسلمين وكان هذا التجاوز والادعاء الواقع من هؤلاء القوم موجهاً على حقوقها القومية والمقدسة تكون أكثر اعتدالا مما ترونه اليوم من المسلمين وممن يمثل الرأي العام الاسلامي أمامكم للادلاء بوجهة النظر فقط . ولذلك فاني مقتنع كل الاقتناع بأن ماسمعتموه وتحققتموه هنا في هذه المدة الموجزة التي قضيتموها بين ظهرانينا سيكون فرصة اخرى بعد فرصة لجنة «شو» لتفهم الرأي العام الاوربي عموماً والبريطاني خصوصاً فظاعة وعد بلفور الجائر ومغالاة اليهود الذين استحصلوا على هذا الوعد المشؤوم لقاء مابذلوه من المساعي حينما كان العرب يريقون دماءهم في سبيل حريتهم واستقلالهم وما يأملونه من عدل .

ولو علم العرب ماكان يضمره الحلفاء نحوهم من تقسيم بلادهم وتقطيع أوصال وحدتهم واستباحة حقوقهم القومية والدينية المقدسة لكانوا جميعاً جنوداً أقوياء لالتسهيل مهمة الجيش الزاحف الذي سموه جيش الخلاص والانقاذ بل للوقوف بجانب الجيوش العثمانية في وجه هذا الجيش المحتل دفاعاً عن حقوقهم التي يعتدي

عليها اليوم بسبب ماوضعه الحلفاء من أساسات للسيطرة غير المشروعة التي نراها اليوم بأشكالها المتنوعة في البلاد .

وأخيراً أقرر وأقول للجنتكم الموقرة بأن كل قرار من شأنه أن يجعل أي حق لليهود على مكان البراق وجدار المسجد الأقصى المبارك سيضطرب له العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه وأن المسلمين عموماً والمغاربة خصوصاً لن يقبلوا بوجه ما أي مداخلة بالوقف الاسلامي المغربي المشتمل على جميع الحارة المسماة بحارة المغاربة وعلى مكان البراق الشريف نفسه .» أ ـ هـ

ولم تكن هذه المذكرة هي جميع ماقام به الأمير سعيد أثناء زيارة لجنة «شو» الى فلسطين ، بل قدم بنفسه الى فلسطين واتصل بالزعماء العرب واليهود على السواء لحل الخلاف بصورة مباشرة بين الطرفين ، وخاصة انه يمثل الجالية المغربية في القدس ويمكن ان نعرض أعماله في مقال كتبته مجلة الناقد السورية التي تصدر في دمشق عقب عودته من فلسطين ؛ قالت مجلة الناقد :

«وصلت فلسطين في الأسبوع الفائت لجنة دولية عينتها جمعية الامم للتحقيق والفصل في قضية البراق النبوي الشريف وجدار المسجد الأقصى المبارك . واستعد وجهاء العرب للدفاع عن حقوق المسلمين أمامها .

وقد أذاعت رئاسة المجلس الاسلامي الأعلى في فلسطين دعوة عامة في البلاد الاسلامية تدعو جمعياتها وهيئاتها الى ايفاد وفودها لحضور اجتماعات اللجنة الدولية هذه ومساعدة المجلس الاسلامي في الدفاع عن حقوق المسلمين ، وكان سمو الأمير سعيد الجزائري في طليعة من لبوا الدعوة للدفاع عن حقوق المسلمين بصفة عامة والمغاربة بصفة خاصة .

وقد رأينا الاجتماع الى سموه بعد عودته من فلسطين والتحدث اليه عن رأيه في قضية البراق . فقصدنا قصره ـ وهو أشبه شيء بقصور الاندلس ـ وبعثنا ببطاقتنا

اليه فأذن لنا وبعد التحية والسلام طلبنا اليه أن يدلي الينا بحديث الناقد فأجاب طلبنا بلطف يعرفه كل من سبق له التحدث الى سموه وقد سألناه :

ـ هل قصدتم فلسطين بدعوة ؟ وممن ؟

ـ نعم لقد وصلتني دعوة من سماحة رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين يسألني فيها أن أكون من المدافعين عن حقوق المسلمين وخاصة المغاربة .

وأطلعنا سموه على رقعة الدعوة ، واذا هي تدل على اهتمام رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى بدعوة سمو الامير نظراً لمكانته المعروفة وقد ختمت الدعوة بهذه الكلمة .. « ولما كنت سموكم في طليعة من يهمه أمر الدفاع عن هذا المكان الذي هو فضلا عن أنه مكان براق النبي ﷺ وجزء من المسجد الاقصى فانه وقف اخواننا المغاربة الذي يسلكون منه الى زاويتهم وبيوتهم وهم حراسه منذ القديم ، فاننا نرجو ان تتفضلوا سموكم بالتشريف الى القدس بصفتكم ممثلين لاهالي الغرب والدفاع باسمهم أمام اللجنة »

ولم أكد أنتهي من مطالعة الدعوة حتى سألت سموه :

ـ هل أستطيع معرفة ماتم لسموكم في القدس ؟

ـ والتفت سمو الامير الى صحافي يراسل الصحف الاميركية كان موجوداً عنده فسمح له بأخذ صور القصر ثم أجاب على سؤالي قائلا :

ـ لقد اجتمعت أولا الى سماحة الحاج امين والى كاظم باشا رئيس المؤتمر . وتحدثنا عن قضية البراق ، ثم طلب الزعيم الصهيوني « كلفرسكي » مقابلتي فاجتمعت اليه ـ وكان سعادة احمد زكي باشا حاضراً ـ فأعرب كلفرسكي عن رغبته بالصلح وأظهر ميلاً شديداً للمفاوضة . وطلب الي بصفتي صديق زعماء فلسطين التوسط بأمر الصلح ، وقد قال في معرض حديثه ان اليهود أغنياء يستطيعون ـ اذا تم الصلح ـ تقديم كل مساعدة للعرب . وانفاق الاموال الطائلة في سبيل نشر الدعاية

لفكرة « الامبراطورية العربية » في اوربا !! وأكد ان عرب فلسطين سيستفيدون من اليهود كثيراً اذا تم الوفاق .

وقد أجبته على ذلك بأن الصلح هو أفضل شيء . وقلت إن اليهود يقيمون في فلسطين منذ أجيال الى جانب العرب . وأن الصلح لايمكن أن يتم إلا إذا الغي وعد بلفور المشؤوم . ووعدته بمفاوضة سماحة الحاج امين الحسيني بهذا الشأن .

وقد اجتمعت بسماحته وكان رأيه كرأيي تماماً . فأعلمت مسيو « كلفرسكي » بالامر وأفهمته ان قضية البراق ليست قضية أساسية وان المسلمين مستعدون للدخول معه في مفاوضات أساسية ... أساسها الغاء فكرة الوطن القومي ... وقد تردد كلفرسكي وقال :

ـ ولكن اليهود مشتتون في العالم لاوطن لهم !...

فأجبته :

ـ وهل نحن مرغمون على انشاء وطن لهم عندنا ؟ اذا كان الأمر كذلك فان المغاربة أحق بأن يطالبوا بوطن قومي . وكذلك الشراكسة والأكراد . فان عدد هؤلاء كبير وفي وسع كل قوم منهم مساعدة أبناء بلاده على المهاجرة الى سوريا وانشاء وطن قومي لهم . ولكن هذا كله مخالف للعقل والمنطق في آن واحد . وهل من المعقول ان ينشأ في سورية أو فلسطين أوطان المهاجرين ؟ هذا يدلك على ان فكرة انشاء وطن قومي لليهود فكرة وهمية لايمكن لها ان تحقق يوماً من الايام !.

وقد تم الاتفاق على ان ينظر الزعيم « كلفرسكي » في الأمر . وان يكون نظره فيها على اساس الغاء فكرة الوطن القومي .

وهنا تناولت فنجان القهوة وسألت سموه :

ـ ماهو رأيكم في اللجنة التي عينتها عصبة الامم ؟

ـ تتألف اللجنة من شخصيات محترمة . وهي تعمل بصفة حيادية بكل معنى الكلمة . وأنا على ثقة بأن حكمها سيكون في صالح المسلمين .

ـ هل استطيع معرفة رأي سموكم في أوقاف المغاربة ؟

ـ منذ ٦٢٩ سنة وزاوية سيدي الغوث ابومدين وقسم من جدار البراق للمغاربة وليس الطريق الذي يسلك منه المغاربة الى الزاوية ملكاً عاماً بل هو خاص بهم . وليس لأحد ان يعتدي عليهم في أملاكهم .

لقد سمحت الحكومة التركية لليهود بأن يقفوا عند حائط المبكى على ان لا يبكوا وينوحوا . فكانوا راضين كل الرضاء عن هذه المنحة غير المنتظرة ...

وقد قاموا اليوم تساعدهم السلطة الانكليزية يمنعون المغاربة من دخول زاويتهم والمرور في طريقهم يوم السبت وهم يندبون على حائط المبكى مع ان الصلاة في الخلاء ممنوعة في كل بلاد العالم واذكر ان الحكومة الفرنسية منعت بعض الرهبان من الصلاة لا في الخلاء فحسب ، بل تحت سقوف « البنادر » وأفهمتهم ان الصلاة ممنوعة خارج المعابد ! وهذا هو شأن القوانين الانكليزية . فلماذا يحرمون عندهم مايحللونه عندنا ؟...

ان تاريخ الاسلام وقيام الكنائس والبيع حتى اليوم يدلاننا على أن الاكثرية الاسلامية لم تمتد يوماً من الايام على الاقليات ولم تحاول النيل منها . بل كانت عاملة على تأمين راحتها في كل شيء . وخاصة في الأمور الدينية . فلماذا يحاول اليهود اليوم الاعتداء على حقوقهم ؟ أهذا جزاء محافظة المسلمين عليهم منذ العصور الخالية التي طوتها يد الفناء حتى اليوم ؟

ـ السؤال الأخير : هل أستطيع الاطلاع على رأي سموكم في نتيجة التحقيقات ؟

ـ اللجنة كما قلت لكم حيادية . لا تحزب ـ كما أرى ـ إلا للحق . والحق في جانب المسلمين . وأستطيع أن اؤكد لكم ان حجج اليهود ووثائقهم واهية ووهمية إلى أبعد حد ، وأن الوثائق التي وعد المسلمون بتقديمها والوثائق الهامة التي أعدها سعادة احمد زكي باشا لتقديمها الى اللجنة ـ وهي عبارة عن خمسة كتب ـ لابد ان

تقنع اللجنة بحق المسلمين . وهذا ما أؤكده وأنتظره ، واني لأشكر سعادة أحمد زكي باشا على جهوده العظيمة في سبيل قضية المسلمين .

فان الدفاع الذي أعده سعادته والوثائق التاريخية التي أخذ صوراً عنها من عهد سليمان حتى اليوم هي في صالح قضيتنا .

وقد أطلعنا سمو الأمير على الدفاع الذي أعده فاذا به مفعم بالحجج مترع بالوثائق والبراهين . وذكرت وأنا منصرف ـ سؤالا فقلته :

ـ وماهو موقف المسيحيين من القضية ؟ ألا يساعدون المسلمين ؟

ـ ان المسيحيين ـ كما تبين لي ـ يقفون موقف الحياد !...

وقد شكرت لسموه تلطفه بادلائه هذا الحديث وانصرفت . » أ ـ هـ

ولما عقد المؤتمر الاسلامى العام في القدس خلال شهر كانون الأول ١٩٣١ الموافق شهر رجب ١٣٥٠ ، دعي الأمير سعيد لحضور المؤتمر مع من دعي من رؤساء الحكومات الاسلامية وكبار العاملين في القضايا العامة ، وكان من أعضاء المؤتمر : زاهد علي السكرتير العام لجمية المتطوعين المسلمين في بومباي وشوكت علي عضو مؤتمر المائدة المستديرة في الهند ، وغلام رسول مهر مدير جريدة الانقلاب في لاهور بالهند ، والشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من النجف وموسى جار الله وكيل تركستان الصينية ومسلمي فنلندة والدكتور محمد سباهو وزير الاشغال في يوغوسلافية وموباغيش محمد سكرتير محكمة التمييز الشرعية في بوسنة بيوغوسلافيا الذين اجتمعوا الى عشرات من كبار العرب المسلمين كالحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى ، وشكري القوتلي واحمد حلمي باشا ورياض الصلح وعبد الرحمن عزام وغيرهم ، وقد بحث المؤتمر الاسلامي جميع القضايا العامة التي تهم العالم الاسلامي في مقدمتها قضية فلسطين ثم الخط الحجازي ، كما جاء في حديث الأمير سعيد الى مندوب مجلة الصباح المصرية(١) عندما زار القاهرة عقب المؤتمر الاسلامي ،

---

(١) العدد ٢٧٦ بتاريخ ٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٢

عندما سأله المندوب أسئلة صحفية متعددة منها قوله :

ـ ما رأي سموكم في المؤتمر الاسلامي ؟

فأجاب الامير :

كان للمؤتمر شأن عظيم ، ونتائج عظيمة ، فقد جمع شخصيات عظيمه يمكن القول بأنها تمثل معظم الممالك الاسلامية ، وما كان في المستطاع أن يتم اجتماع هذه الشخصيات في غير هذا المؤتمر ومن أولى فوائد المؤتمر التآخي بين زعماء الاسلام الذين يخدمون بلادهم باخلاص وعقيدة ، وقد شهدت بنفسي روح الوئام ترفرف على رؤوس المؤتمرين وتنير لهم سبل الهداية فيما نصبوا له انفسهم من خدمة الاسلام والعرب ، في الطريق الى مصر ، وفي حفلة جمعية الشبان المسلمين التي أقامتها مساء الخميس الماضي ، كنت أرى عضو المؤتمر اذا قابل زميله ، ارتسمت على محياه علائم الغبطة والنشوة ، وتلقاه بالبشر والترحاب وتعانقا كما يتعانق الشقيق وشقيقه بعد غيبة طويلة فكانوا وكنا جميعاً عند حد قول الله تعالى في كتابه العزيز (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

واذا عددنا نتائج المؤتمر فهي كثيرة ونضع في مقدمتها اتحاد زعماء المسلمين وتمهدهم على حماية مخلفات الاسلام المقدسة في القدس الشريف ، ومنع عدوان الصهيونيين عنها ، ولا شك ان لهذا أثره عند الدول التي تشرف أو تسيطر على هذه الاماكن .

ثم قضية الخط الحجازي فقد اتخذنا فيها قرارات حاسمة وأثبتنا ملكيته للاسلام فهي وقف أسلامي ولم يبق علينا لأن لتعمير ما تخرب منها بسبب تقسيمها الى أجزاء الا أن يتعاون المسلمون في كافة الاقطار على إعادة المؤسسة الاسلامية التي بذلوا في سبيلها كل رخيص وغال .

وما يقال عن الخط الحجازي يقال عن تأسيس الجامعة الاسلامية وهذه أيضاً

لا يمكن ايجادها الا باعانات من مجموع العالم الاسلامي فاذا لم يكن المؤتمر من نتائج غير هذه الفوائد لكفى .

وهنا يجدر بي القول أنه رغما عن اختلاف أعضاء المؤتمر في الجنسية واللغة فقد كانوا متفقين متحدين في المشاعر والاحساس وكان الهدوء والسكينة والنظام يشملون جلسات المؤتمر حين كان يبحث في شؤون الاسلام المهمة .» أ.هـ

وعندما أوشكت الحرب العالمية الثانية على النهاية وانكسرت دول المحور واستسلمت المانيا ، شعر الجميع بنشاط الصهيونيين وميل الرأي العام الاوربي والاميركي المنتصر على الالمان الى مشاريع اليهود العامة ، فشعر الناس بان كارثة عظيمة ستنزل بفلسطين وبالعرب فيها ، وشعر الامير سعيد كما شعر كثير غيره من المخلصين ان الاستعداد لحمل السلاح أمر يحتمه قانون تنازع البقاء في فلسطين ، فما كاد يعلن قرار التقسيم الجائر حتى نشر الامير نداءً عاماً وزعه على جميع انحاء العالمين العربي والاسلامي يدعوهم فيه الى حمل السلاح ، ويدعو المغاربة أبناء شمال افريقيا الاشاوس بصورة خاصة الى تلبية نداء الواجب المقدس في بطاح فلسطين ، نقلته أكثر الصحف العربية ، وقد نشرته مجلة المصري افندي في عددها ١٦ تاريخ ٢٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٧ تحت عنوان : « هبوا الى حمل السلاح معشر العرب » ونشرته جريدة الاصلاح الجزائرية في عددها ٧١ من السنة الحادية والعشرين بتاريخ ٢٥ ربيع الاول ١٣٦٧ الموافق ٥ (فبراير) شباط ١٩٤٨ بعنوان : « نداء من حفيد الامير عبد القادر بمناسبة حادث تقسيم فلسطين . . » والنص كما نشرته هذه الجريدة الجزائرية هو :

« الحمد لله وحده

يامغاربة افريقيا الشمالية يا أبناء الابطال الصناديد ! .

إن أعظم نكبة حلت بفلسطين خاصة وبالعرب عامة هي نكبة دخول الصهاينة الى الاراضي المقدسة وشرائهم الاراضي بكافة الحيل والدسائس وقد ع صوتي وانا

احذر الحكومة والامة الى هذا الخطر العظيم والكارثة العظمى التي تحل بالبلاد العربية كافة من جراء هذا الخطر الذي يعاني العرب اليوم شدائده ، وكادهؤلاء اليهود يظفرون بأم قسم من أرض سوريا التي هي مطمح أنظارهم أيضاً وعندما ارتكبت اوربا أعظم جناية عرفها التاريخ ولم يرعو ترومن وزملاؤه عن غيهم ويعلمون ان هذه الكارثة وهذا العدوان سوف يجر اوربا الى حرب تشيب لهولها الولدان وسوف ترى اوروبا ان هذه الحرب لا تشبه غيرها ، لانها صراع في سبيل الموت أو الحياة ، بل هي حرب مقدسة فرض على المسلم ان يبيع نفسه رخيصة في هذا السبيل ، وقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله ويقتلون .

وقد عجب الناس من سكوتي مدة طويلة بينما الخطب والحماسة أخذت مأخذها من الشيوخ والشباب ، وما كنت أحسب ان العرب يصبرون على الذل والهوان وقد صبروا صبراً طويلاً . بينما ان السكين وصل الى العظم وقد بلغ السيل الزبى ، أما وأن دور الحماس قد انتهى وما بقي لدينا إلا حمل السيف فاني أدعوكم ياإخواني المغاربة إلى حمل السلاح وقد عرفتكم البلاد بالشدائد وكنتم ولا زلتم في مقدمة المجاهدين في مواطن الجهاد والدفاع عن الشرف وهذا يومكم أيها المغاربة وأنتم الذين ذقتم من مظالم الافرنسيين أعظم المصائب وأفدح النوائب ، وهاأن الاستعمار شتتكم في كل البلاد ولم يرحمكم حتى في دار هجرتكم وهو يحاربكم بأموالكم وأولادكم وبكل الوسائل الفتاكة ليميت فيكم روح الوطنية وينزع من قلوبكم حب الوطن ويجعل طموحكم الى أوطانكم أمراً عسيراً صعب المنال وهيهات ان تنسينا المصائب والكوارث بلاداً فيها رفات أجدادنا وتراث أسلافنا وأرواحهم المقدسة تنادينا في كل لحظة إلى الثأر إلى الجهاد ياأبنائي البررة ، فياإخواني عرب افريقيا الشمالية هنا وبفلسطين وفي كل أنحاء البلاد العربية ان الواجب يدعوكم الى الجهاد والى الدفاع عن اولى القبلتين وثالث الحرمين بالنفس والنفيس ، واذا ما كتب الله النصر لنا وهذا وعدنا الله به لقوله تعالى: « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » واذا ما رجعنا الى الله واتبعنا أوامره واتكلنا عليه حق

الانكال ونبذنا الشحناء والضغائن وقمنا يداً واحدة فالنصر حليفنا ، واذا ماحقق الله الأماني وقد أصبح العرب روحاً وجسداً واحداً فسوف يكون جزاؤنا من ذا الجهاد أن ندخل بلادنا فاتحين والله معنا والعرب جميعاً وراءنا ، وهذه امنية والله ليس أعز منها لأن الاستعمار هو الموت بعينه ، ولا معنى للحياة مع الذل والاستعباد ، واذا ماناديتكم للجهاد فلست متحمساً ولا مشجعاً ، بل أكون في طليعة القوم كما كان أسلافي الطاهرين البررة ، وقد قال المغفور له الأمير عبد القادر في تلك :

ألا فاسئلي عني الفرنسيين تعلمي ... بأن منايام بسيفي وعسالي
ومن عادة السادات بالجيش تحتمي ... وبي يحتمي جيشي وتحرس أبطالي

هذه سجايا أسلافكم الأطهار أيها المغاربة ، فهبوا جميعاً الى حمل السلاح ولا حاجة للاكتتاب بالتطوع ، فيد الله مع الجماعة ، والله ولينا وناصرنا وعليه فليتوكل المتوكلون .

الأمير محمد سعيد الحسني الجزائري حفيد الأمير عبد القادر ، أ-هـ

وأرسل الأمير سعيد البرقيات المختلفة يعلن فيها تطوعه للقتال في فلسطين على رأس المتطوعة من السوريين والمغاربة ، وكان من أشهر برقياته تلك التي بعثها الى الجامعة العربية ونشرتها أكثر الصحف السورية والمصرية ، منها جريدة العلم الدمشقية في عددها ٤٤٥ تاريخ ١٩ شباط ١٩٤٨ وهي :

الأمير الجزائري وموقف الجامعة العربية

فيما يلي نص البرقية التي بعث بها سمو الأمير سعيد الجزائري الى الجامعة العربية

مصر : امين الجامعة العربية

باسم الافريقيين المغاربة ورجال الثورة في سورية وفلسطين الذين درسوا معنى الموت حق الدراسة مستعدون وأنا على رأسهم لانزال ضربة ساحقة على رأس الصهيونية المجرمة آخذين على انفسنا خوض الحرب حتى النهاية دفاعاً عن اولى القبلتين

معلنين للملأ ولجامعتكم الكريمة ان افريقيا الشمالية بما فيها طرابلس الغرب جزء لا تجزأ من القارة العربية ، ولا يمكن نهوض الاسلام والعرب وتوطيد السلم العام الا بتحرير كامل ، اللهم إنا قدمنا أرواحنا في سبيلك حاكين على الاثرة والانانية بالموت ، اللهم فاشهد .

الأمير سعيد الجزائري

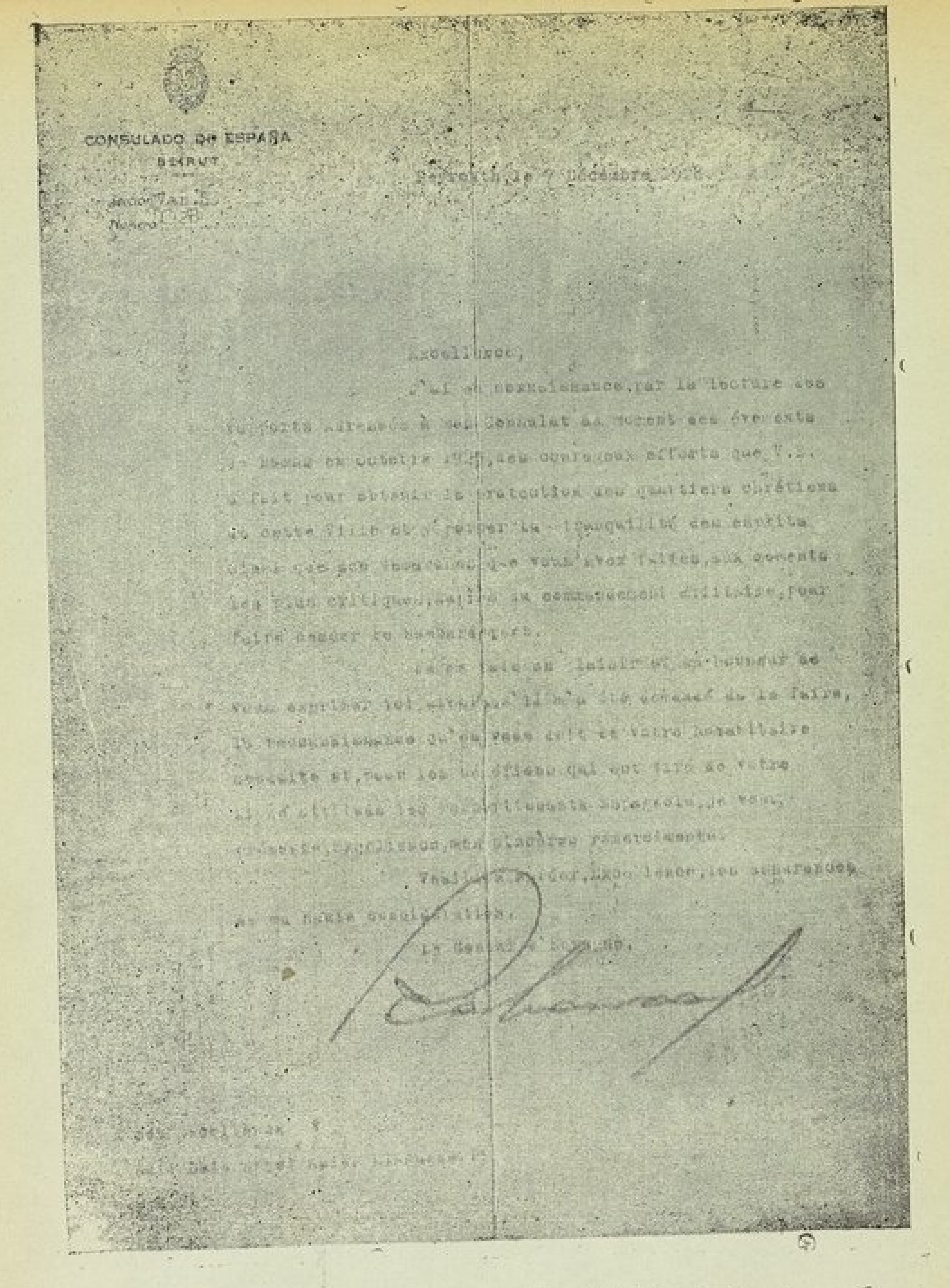
ولم يكتف بالبيانات والبرقيات بل تبرع من ماله الخاص لتأليف فرقة مغربية تحمل السلاح وتحارب الى جانب المجاهدين العرب والفلسطينيين ؛ وصار يخرج معها الى ميدان التدريب العسكري ، في الوقت الذي اندفعت فيه مئات المتطوعين من جميع أطراف البلاد العربية الى بطاح فلسطين لتمنع قرار التقسيم بقوة ايمانها وحرارة حماستها ، قبل ان تتعهد الحكومات العربية بحمل هذا العبء على أكتافها ثم ترتضي الخضوع لألاعيب السياسة ، وتتراجع في فلسطين. وأعمال الأمير في هذا الحقل يطول شرحها ، ونكتفي بسرد بعض الأخبار التي نشرتها الصحف ليكون كلامنا دائماً مستنداً الى وثائق هامة ، فقد جاء في جريدة البلاغ المصرية في عددها ٨٠٣٣ تاريخ الخميس ٤ ربيع الاول ١٣٦٧ و ١٥ يناير ١٩٤٨ خبراً من مراسلها بدمشق كتبه بعنوان « تشكيلة المغاربة » ، قالت فيه :

تشكيلة المغاربة لتحرير فلسطين

« دمشق في ١٣ ؛ لمراسل البلاغ ـ

هنا في دمشق حيث يقع الجسر الأبيض ، يقيم ذلك الأسد الرابض ألا وهو سمو الأمير سعيد الجزائري حفيد البطل الثائر الأمير عبدالقادر الجزائري مدوخ الاستعمار وقاهر الاستعباد ... وفي ذلك القصر الضخم المنيف تقيم تلك الشخصية الفذة التي لم تنجب الدنيا مثلها إلا كل عدة قرون مرة .

ولقد شهدت دمشق بالأمس أفخم وأروع اجتماع طبع بطابع الثورة والعروبة



CONSULADO DE ESPAÑA
BEIRUT

Beyrouth, le 7 Décembre 192[illegible]

Excellence,

J'ai eu connaissance, par la lecture des rapports adressés à mon Consulat au moment des événements de Damas en octobre 1925, des courageux efforts que V.E. a fait pour obtenir la protection des quartiers chrétiens de cette Ville et y ramener la tranquillité des esprits ainsi que des démarches que vous avez faites, aux moments les plus critiques, auprès du commandement militaire, pour faire cesser le bombardement.

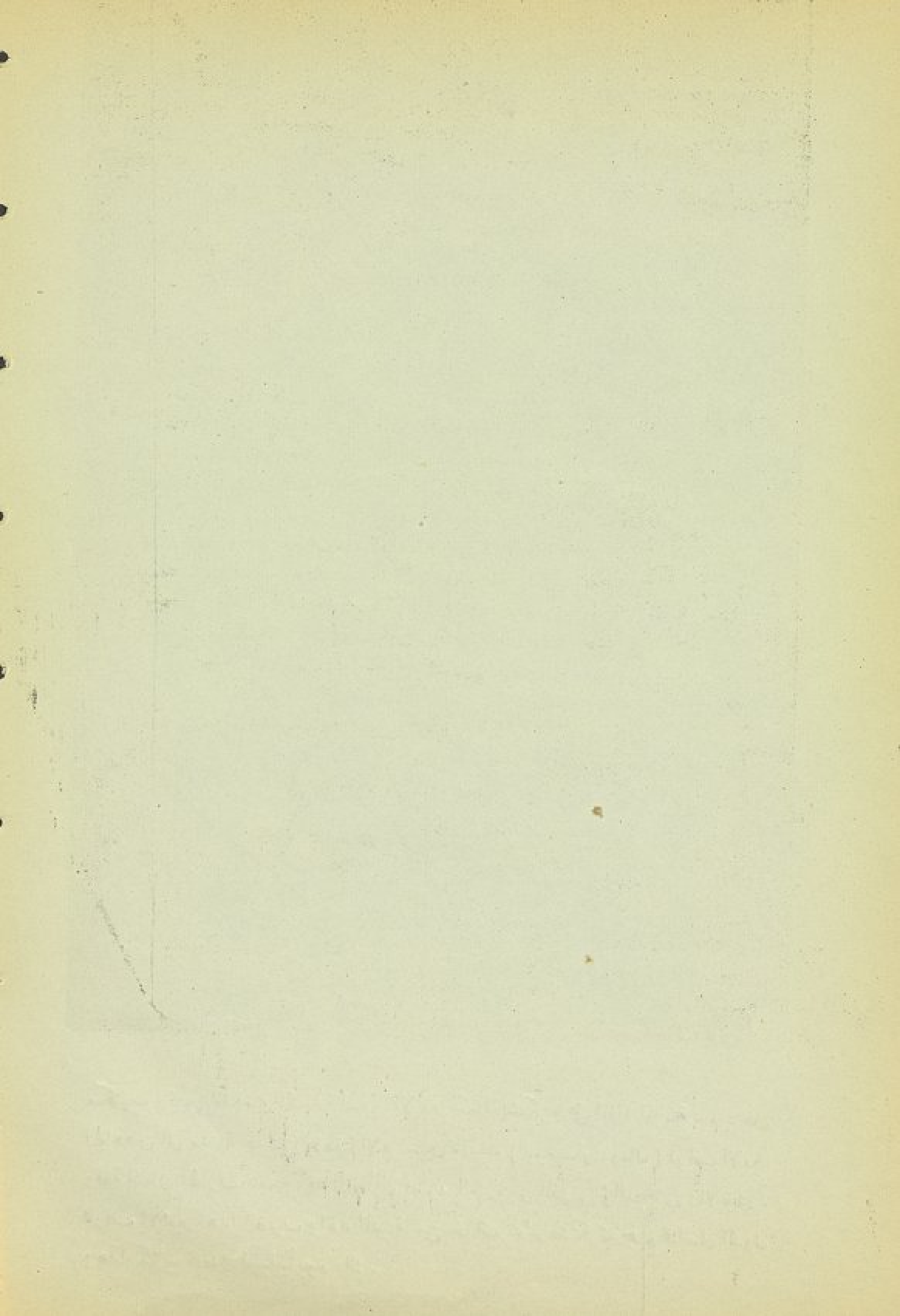
Je me fais un plaisir et un honneur de vous exprimer ici, [illegible] la reconnaissance [illegible] de votre humanitaire conduite et, pour les bénéfices qui ont tiré de votre [illegible] les ressortissants espagnols, je vous présente, [illegible], mes sincères remerciements.

Veuillez agréer, Excellence, les assurances de ma haute considération.

Le Consul d'Espagne.

[illegible]

مكتوب رئيس القناصل الدولية لسمو الأمير سعيد يشكره على انقاذ المدينة يوم دخل المجاهدين الى مدينة دمشق ونسفها الافرنسيين بالمدافع (البومبار دومان) فوقف الامير وقفة البطل المجازف بنفسه وقد التجأ الى قصره بالعماره بني القوتلي والمجلاني والايوبي. فاوقف الأمير هذا الضرب وانقذ المدينة من خراب محتم فشكرته جميع قناصل الدول وهذا كتاب قنصل اسبانيا يوم ذاك .



والجهاد وفي هذا الحفل الرائع المظيم الذي اقيم تكريماً لسمو الأمير سعيد وفي تلك الحفلة الفخمة التي جاءت آية من آيات الروعة والجلال أعلن سمو الأمير نبأ تشكيله (كتيبة المغاربة) لتحرير فلسطين والتي يربو عدد أفرادها على العشرين الف مقاتل مغربي بكامل عدتهم وسلاحهم ، ووسط عاصفة من التصفيق الحاد تقلد سموه سيف جده الأمير البطل عبد القادر الجزائري معلناً تطوعه للجهاد في سبيل فلسطين والابقاء على عروبتها وحريتها .

وقد كان بين الحضور سعادة قنصل مصر في دمشق وعدد من النواب والزعماء والعلماء ورؤساء الاحزاب والشباب القومي ، وعندما اعلن افتتاح هذا الاجتماع التاريخي وقف الجمع عندما عزف النشيد الملكي المصري فالنشيد السوري فنشيد سمو الأمير ثم نشيد فلسطين العربية . وقد تبارى الشعراء والخطباء والهتافات العالية كانت تتعالى الى عنان السماء هاتفة بحياة الفاروق وفخامة القوتلي المعظمين وبحياة ملوك وزعماء الدول العربية والأمين العام لجامعة الدول العربية وبحياة فلسطين حرة مستقلة وبسقوط قوى العدوان والاستعمار الأجنبي أياً كان نوعه وسقوط الصهيونية المجرمة .

وكانت أعلام الدول العربية ترفرف متعانقة وتصاوير ملوك وزعماء العرب هنا وهناك تبعث في النفوس نشوة النصر المؤكد لقضية العرب وسحق الصهيونية الماجنة . » أ.هـ

وجاء في نفس البلاغ المصرية عدد ٨٠٤١ وتاريخ ٢٥ ربيع الاول الموافق ٥ فبراير تصريحاً له بعنوان : « الأمير سعيد الجزائري يقول : ليس أمامنا الآن إلا امتشاق الحسام في وجه المعتدي الغاشم » وهو :

دمشق ـ لمراسل البلاغ الخاص :

سمو الأمير سعيد الجزائري سليل البيت الحسني الجزائري حفيد مدوخ الاستعمار وقاهر الطغيان الأفرنسي في الجزائر وهو علم من أعلام الجهاد والوطنية وعاصمة

الأمويين ، دمشق تعتز كل الاعتزاز بنزول سموه فيها بعد أن نزح عن وطنه حيث أذاق وجده الأمرين المعتدين الغزاة بعد أن أقض مضاجعهم في الشمال الافريقي العربي .

أقام بالأمس حفلة استقبال لأبطال العراق المجاهدين والمتطوعين لانقاذ فلسطين من براثن الصهيونية والاستعمار ، وقد غصت دار سموه بعشرات المدعوين حيث تبودلت فيها الخطب والقصائد والاحاديث الوطنية والقومية ، وقد ألهب سموه الجمع بروحه الوثابة وخطبته الرنانة فسرت في النفوس نشوة الحماسة والعزم والأمل الباسم بالنصر المؤكد والفوز المبين ...

وأقام سموه حفلة كبرى أخرى على شرف المتطوعين المصريين المجاهدين جاءت آية من آيات الروعة وحسن التنظيم وبعد تلاوة المنقبة النبوية الشريفة وتبادل الخطب الرنانة تناول المدعوون مالذ وطاب من أشهى الطعام والحلويات .

وطلبت من سموه أن يتحدث الى قراء البلاغ الكرام فلبى سموه الدعوة وأدلى بالتصريح التالي :

تمر الامة العربية اليوم بأحرج أوقاتها فهي اليوم في معركة الحياة أو الموت وهي تقف اليوم تحارب عدوين لدودين لدفع كابوس جاثم قوي يهدد هذه البلاد العزيزة بالموت .

فعلى العرب أن يهبوا اليوم هبة رجل واحد لرد أطماع المعتدين والمستعمرين الغاشمين ، وعلى الأخص ضد الخطر الصهيوني الذي يهددنا جميعاً معشر العرب في جميع أقطارنا ، وقد كان في امكان العرب تفادي وقوع مثل هذه الكارثة التي نحن فيها اليوم لو فكر المسؤولون وعملوا ولو الشيء اليسير مثلما يعملون له اليوم وعلى الأخص في سبيل قضية فلسطين فأني أصرح للملأ أن المسئولية العظمى واللوم يقعان على هؤلاء المسئولين من رجالات العرب لتهاونهم في هذا المضمار ، وماذاجنى

العرب من ذلك النداء الذي وجهوه المجاهدين العرب عام ١٩٣٩ غير ضياع الوقت وفقدان القوة والسماح لاعدائنا بالتسلح وجمع العتاد وبناء الحصون والقلاع .

وأني اوصي بعدم وجوب الاستهانة بقوة اليهود الصهاينة علينا بالسلاح وبالسلاح.

ففلسطين لاينقذها غير الدم والنار ، ولئن حزن العرب لتهاون الحكومات العربية قبل اليوم فأن الذي يسر العرب ويفرحهم هو نظر الحكومات العربية لقضية فلسطين نظرة العامل المتبصر اليوم وعملها الجدي في هذا السبيل .

واني لأدعو الله أن يوفقنا لخدمة العروبة والعرب والابقاء على عروبة فلسطين حرة مستقلة .

وإنا لو قرنا القول بالعمل قبل اليوم لهابتنا الدول الكبرى ولما استباح اليهود شذاذ الآفاق حرماتنا واعتدوا على حرمات مقدساتنا في فلسطين العزيزة . فعلينا اليوم بالعمل الجدي فلن ينفعنا بعد اليوم الجعجعات والاقوال .

فما أمامنا اليوم لحل هذه المشكلة الحقة الا امتشاق الحسام في وجه المعتدي الغاشم والجهاد في سبيل حقنا الصريح الجريح ، واني قد قررت خوض المعركة مع الفرقة العربية المغربية المجاهدة التي قد أتمت استعدادها وهي على أهبة التحرك لخوض معركة تحرير فلسطين ، وسنسير على بركة الله ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وسيعلم العالم أجمع ان العرب قد نفضوا غبار الكسل عنهم وانهم سيقدمون البرهان الساطع على انهم قوم أعمال لاأقوال .

وسيرد المعتدون على أعقابهم خاسرين والمجد للعرب والموت للصهيونية المجرمة .» أ.هـ

وبمساعي الأمير سعيد وأمواله ، كانت احدى الفرق المجاهدة التي تحارب في فلسطين تحمل اسم « فرقة الأمير عبد القادر الجزائري » وكانت لجنتها الادارية برآسة الأمير سعيد تعمل بامدادها بالسلاح والغذاء والمال ، واذا اجبرت على العودة الى الحياة المدنية بعد دخول الجيوش العربية ميدان المعركة ، كما اجبر عشرات من الفرق المتطوعة ، فانها لاتزال على استعداد لاراقة دمائها في سبيل الحق .

وبعد ان انتهى أمر فلسطين الى ما انتهى اليه من تراجع العرب ، واحتلال اليهود أكثر الاراضي العربية ، واصبح القسم العربي من فلسطين لا يعلم مصيره ، وطالب اهل الجليل الانضمام الى سوريا ، اصدر الامير سعيد تقريراً رفعه الى لجنة التوفيق الدولية وملوك ورؤساء الدول العربية يشرح فيه حال الجليل وجعل عنوانه : (الجليل درة فلسطين وستبقى عربية) ولاهمية هذا التقرير ننشره بحرفيته :



تقرير سمو الامير سعيد الجزائري

حقائق تهم الرأي العام السوري حول مقاطعة الجليل

لقد طلب أهل مقاطعة الجليل في شمالي فلسطين ضم هذه المنطقة الى سوريا ونشرت الصحف صورة مذكرتهم المرفوعة بهذا الشأن للحكومة السورية وقد حوت تلك المذكرة البيانات والحقائق الساطعة والضرورات الملحة والاوضاع الطبيعية والروابط المختلفة التي تجعل من لواء الجليل بلداً عربياً بحتاً أقرب مايقضي العدل ان يرتبط بسوريا بعد ان اصيبت فلسطين بنكبة تمزيقها وتقسيمها وما يراد من انشاء دولة يهودية بقسم منها .

وحيث ان القضية الفلسطينية قد خرجت الآن من نطاق الاعمال العسكرية بفضل الهدنة الاولى والثانية التي فرضت على العرب فرضاً وهي الآن تعالج عن طريق المفاوضات السلمية في رودس والناقورة ؛ فان الواجب الديني والانساني يقضي علي بيان الحقائق التالية:

ان الجامعة العربية حينما حاولت انقاذ فلسطين كلها بأول الأمر كانت قد اتخذت فيما بين دولها ميثاقاً لتحرير القطر برمته وتسليمه لأهله ليقرروا مصيره ، ولكن بعد ان فشلت تلك الخطط تلاشى ذلك الميثاق عملياً بدليل ان مصر وهي الشقيقة العربية الكبرى التي بذلت جهوداً جبارة في معركة فلسطين وحملت لواء الانقاذ في اولى مراحله هذه الشقيقة قد اختارت لنفسها موقف العزلة لأسباب قد تكون واقعية ، ثم فاوضت ، لا ، بل اتفقت مع اليهود في رودس على هدنة دائمة كان من نتيجتها ضم قسم من جنوبي فلسطين الى الدولة المصرية وتسليم باقي النقب لليهود ومهما قيل من ان شروط الهدنة هذه ليست نهائية ، لكننا على كل حال نعتقد ان الصلح الدائم سيبنى على الغالب على أساس شروط الهدنة ، وبذلك تضم منطقة غزة وجنوب فلسطين للقطر المصري ، وهذا عمل لايشك أحد بأنه من مصلحة أهل تلك المنطقة الذين سينجون من نير الاستعمار اليهودى ، ثم ان ميثاق الجامعة بتحرير فلسطين كلها قد تصدع مرة اخرى بالخطوة الصريحة التي خطاها شرق الاردن بضم شرق فلسطين كله المتاخم لنهر الاردن حتى نهاية حدود قضاء الخليل جنوباً وقد ظهر من تحقيق الوفد اليمني الذي زار شرق الاردن أن أهل تلك البلاد راضون عن تلك الخطوة .

فبعد هذا الفصل والضم من الجنوب والشرق لم يبق في فلسطين سوى منطقة الجليل الشمالية والجزء المتوسط من البلاد الممتدين حيفا ويافا وسهول مرج ابن عامر وهذه المناطق يملك اليهود معظمها وهي الآن تحت سلطانهم ولا أمل للعرب فيها في الوقت الحاضر والمستقبل القريب مالم يهبوا من كبوتهم ويستمدوا كافياً للقاء خصومهم وهذا مانرجوه ان يحقق بعد تلك الصدمة وتلك الكارثة التي أدمت قلب كل عربي وازعجت روح صلاح الدين .

وعلى هذا فان مقاطعة الجليل العربية والتي تشكل الجزء الشمالي من فلسطين

هي العقدة الوحيدة التي تنتظر الحل ونحن على اعتقاد تام ان حل مشكلة هذه المقاطعة والاحتفاظ بعروبتها يسهل كثيراً من المشاكل المعقدة التي تكون سبباً في اندلاع شرر الحرب بفلسطين كلها أولا وبالشرق الاوسط بالتالي بأقرب فرصة ولأي سبب كان ، ونحن بابداء هذه الملاحظات نستند للحقائق التالية التي نلفت اليها أنظار الحكومتين البريطانية والاميركية بصفتها من أرباب العلاقة والمصلحة بالشرق الاوسط ، وكذلك نضع هذه البيانات لتمحصها الامة السورية حكومة وشعباً :

١ ـ لايمكن لأهل الجليل وعددهم لايقل عن ربع مليون نسمة ان ينسوا بلادهم الخصبة الجميلة من جبال وأنهار وأشجار وسهول وسواحل مهما كلفهم الامر ولن يرضوا عنها بديلا سواء رضيت هيئة الامم أو غضبت لجنة التوفيق أو أي دولة أجنبية وهم في سبيل الاحتفاظ ببلادهم مستعدون للفناء ، فلا المال يغريهم ولا القوة تثنيهم .

٢ ـ إن أهل الجليل الذين مضى عليهم ثلاثون عاماً يجاهدون العدو ويمنعونه من الاعتداء عليهم ؛ وقد الفوا حياة الجهاد والثورات ؛ واني معهم بصفتي منقذ البراق الشريف أمام لجنة دولية ومن حماته أنا وبني عشيرتي ، ولذا فهم سيمضون في كفاحهم عن طريق تشكيل العصابات والمقاومات المسلحة بصورة لاتنقطع بحيث يصبح استقرار اليهود بتلك المنطقة أمراً مستحيلا ، وهذا ماصرح لي به وفد من أبناء الجليل ممن لهم مكانتهم .

٣ ـ إذا ظل هكذا شأن معظم أهل الجليل فان اية اتفاقية تفقد قيمتها وتبعاً لذلك فستؤثر العلاقات بين اليهود والدول العربية فتعود الحالة غيرمستقرة ومهددة للأمن بصورة مستمرة وتكون هذه المنطقة مصدراً لقلق دائم أو بلقاناً ثانياً في الشرق الاوسط .

٤ — إذا أراد اليهود مطاردة أهل الجليل فلا سبيل لأهل الجليل متى غلبوا على أمرهم سوى الالتجاء للأراضي السورية أو اللبنانية ، وفي هذه الحالة تكون أراضي هاتين الدولتين العربيتين معرضتين للغزو اليهودي الراغب في التنكيل بأهل الجليل ، وإما أن تمعد الحكومتان العربيتان لقتال أهل الجليل إرضاء لليهود وهذا لا يمكن وقوعه مادام في عروق العرب دم ينبض .

٥ — وكما أشارت المذكرة التي رفعها أهل الجليل فان هذه المقاطعة بها من الجبال الشاهقة والمواقع (الستراتيجية) العظيمة الشأن ما يجعل لمن يسيطر عليها كفة راجحة وقوة طبيعية مهددة لكيان سوريا ولبنان ، وفضلاً عن ذلك فانه ليس من مصلحة سوريا أن يكون عدوها اللدود على بعد مائة كيلو متر عن عاصمتها ومن الضروري إبعاده عن حدودها بقدر الطاقة ، وهذا لن يتم إلا بضم الجليل إلى سوريا .

٦ — يملك العرب حوالي تسعين في المائة من أراضي الجليل ونفس النسبة في عدد السكان فكيف يجوز وضع هذه المساحة وهذا العدد تحت حكم أقلية يهودية سفاحة .

٧ — ان المملكة البريطانية لما كانت منتدبة على فلسطين وحينما كانت تفكر بوضع حلول ومقترحات لتسوية قضيتها ، وكانت تستهدف مبدأ هاماً في كل محاولاتها لايجاد تلك الحلول ، وكان هذا المبدأ قائماً على أساس وضع أقل عدد ممكن من العرب تحت سلطة اليهود والعكس بالعكس ، وعلى هذا فيجدر بالحكومات العربية وبصورة خاصة حكومة سوريا أن تطالب لجنة التوفيق بتطبيق هذا المبدأ أبان مفاوضاتها ، وحينئذ تخرج بنتيجة واحدة هي أن منطقة الجليل عربية بسكانها وملكيتها .

٨ — إن كل عربي يهمه أن لا يستقر اليهود في فلسطين وأن لا يكون لهم دولة

مستقلة فيها ، ولكن تجاهل الواقع وإهمال معالجته أمر يذهب بالبقية الباقية ، ولهذا يجدر بنا أن نذكر الدول العربية أنه حين صدور قرار هيئة الامم المتحدة ٢٩/١١/١٩٤٧ بتقسيم فلسطين لم يكن الجليل كله من حصة اليهود ، ومع هذا فقد سر اليهود بذلك الوقت وأخذوا يرقصون في شوارع حيفا وتل ابيب والقدس فرحاً وطرباً بذلك القرار . وفي الحقيقة ان قرار التقسيم الأصلي لم يضع تحت سيطرة اليهود سوى الأراضي التي يكثر فيها اليهود ، ولم يكونوا طامعين بأكثر مما خصص لهم . ثم جاء الكونت برنادوت فاقترح تبادل المناطق ، أي إعطاء النقب للعرب وقسم من الجليل لليهود ، ولكن هذا الاقتراح قد تلاشى ، لأن اليهود قد وضعوا يدهم على معظم منطقة النقب كما أشرنا ، ونحن نرى أن حجة العرب في ضم الجليل إلى سوريا يمكن أن تعتمد على مشروع التقسيم الأصلي الذي أعطى النقب لليهود (وقد أخذوه فعلاً) والجليل للعرب (وهذا مايجب أن يأخذوه) وهذه النظرية وافق عليها الرئيس ترومن والاتحاد السوفياتي فلماذا لانطالبهم بتنفيذها الآن ؟.

٩ — إن لجنة التوفيق ستعقد مؤتمرها مع الدول العربية وربما مع اليهود ايضاً في بيروت خلال هذا الشهر والفرصة سانحة للبت في موضوع الجليل ، والمفهوم ان العضو التركي بعد أن علم من أهل الجليل أنهم لايوافقون إلا على الرجوع لبلادهم والعضو الفرنسي بما عرف من عطفه على إبقاء الجليل عربياً حرصاً على المقدسات المسيحية فيه ، فنقول ان الفرصة يجب ألا تفوت الحكومة السورية لتقرير مصير هذه المقاطعة وتأمين عروبتها ، فأهل الجليل عبء ثقيل على السوريين واللبنانيين إذا مابقيت بلادهم بيد اليهود ، فعلى الحكومة السورية أن تكافح من أجل درء هذا الخطر عن سوريا .

١٠ — ان الكونت برنادوت كان قد عرض مشروعاً على الدول العربية

لاقتسام القسم العربي من فلسطين فيما بينهما ، وكان الجليل بذلك الوقت لايزال معظمه بيد العرب ، وها نحن نرى أن الاقتسام قد تم في الجنوب والشرق بين مصر والاردن واليهود. فلم لايكون الحق لأهل الجليل باحتضان أمهم الكبرى سوريا .

هذه الحقائق نضعها أمام من يهمهم الأمر من شعوب وحكومات عربية وممثلين أجانب كبريطان وأميركان ليعلموا أنه لن يكون هدوء واستقرار في فلسطين كلها ، مع أن كل مصالحهم من بترول وتجارة ستكون مهددة إذا لم يرد الحق لأهله في لواء الجليل ، والحقيقة التي لامراء فيها أن سكان الجليل على اختلاف نزعاتهم من شبان مثقف متحمس وتجار وملاكين وعمال ومزارعين قد تحققوا بعد تشريدهم وتشتيتهم خلال سنة كاملة انهم لن يستطيعوا العيش خارج بلادهم ، كما أنهم لايؤمنون بأن فكرة التعويض عن ممتلكاتهم حقيقة يمكن تنفيذها وكلهم يعرفون أن اليهود أعجز من أن يقدروا على دفع ثمن ممتلكاتهم بسعرها الحقيقي لأن معدل انتاج الدنم الواحد بأراضي الجليل سواء بزراعة الدخان أو الحمضيات أو الخضار كانت تتراوح بين الثلاثين والخمسين جنيهاً فلسطينياً ، فبأي سعر يريد اليهود تقدير قيمة ممتلكات كهذه ؟

ثم هل يستطيع اليهود شراء مدن عربية كبيرة برمتها بمبانيها ومرافقها العظيمة كصفد والناصرة وعكا المدينة التاريخية العظيمة بقلاعها واسوارها التي قهرت جحافل الغزاة وارتد عنها نابليون مقهوراً ، وغيرها من القرى الكبيرة التي وصلت لدرجة المدن !!

هذه خرافات ، فاليهود الذين اصبحوا يقترضون ملايين الدولارات لانعاش زراعتهم وصناعتهم لايقدرون ان يعوضوا عن الجليل ، وعلى هذا فنذكر أهل الجليل بحديث الرسول الأعظم (قاتل دون مالك ومن قتل دون ماله فهو شهيد)

ونقول لسوريا حكومة وشعباً ونواباً احذروا النار من حولكم فانها ستلتهمكم إن لم تبادروا لاطفائها .

والله يشهد أني لاأريد من وراء هذا إلا إرضاء الضمير وإنقاذ الانسانية من أخطار هذا التناحر الذي لم ينشأ إلا عن الطمع والجشع ولله عاقبة الأمور .

المدافع عن البراق الشريف

حفيد الأمير عبد القادر الجزائري

محمد سعيد

ooo

الوطن الأول

رافقنا الأمير سعيد منذ طفولته حتى شرخ شبابه في نضاله وجهاده وأعماله العامة، وهو في موطنه الثاني؛ الذي ولد فيه، وشب في أحضانه، واستمد منه روحه الوثابة، وهمته العالية، ولمسنا تلك الحياة الصاخبة؛ والنفس المؤمنة المخلصة التي تعمل ليل نهار، وتبذل الغالي والرخيص في سبيل النفع العام، وهي لاتزال تتنقل بين أفياء الوطن الثاني، أوالأوطان الثانية، التي استقبلت جده البطل الأمير عبد القادر العظيم استقبال الفاتحين، وفتحت له صدرها وقلبها، وقدمت له أرضها وخيراتها، وأحلته منها محلاً يليق بجهاده ونبله، وحدبت على أولاده وأحفاده واعتبرتهم أبناءها البررة ... فدمشق كانت الوطن الثاني للأمير عبد القادر العظيم قضى فيها شطر حياته الأخير، ولفظ فيها أنفاسه الطاهرة الأخيرة، وواري ترابها جثمانه المقدس، فكانت والبلاد الجزائرية صنوان يتقاسمان الفخر، ويزهوان بالبطولة، أنبتت إحداهما البطل، ورعته في جهاده ونضاله؛ وضمت ثانيتهما البطل، بعد ان استقبلته عندما اضطرته القوة إلى ترك أرض آبائه وأجداده، وخيرته في أرض تسع عبقريته ونبوغه، يحيا فيها حياة هدوء وعبادة وعمل صالح، فكانت الجزائر الوطن الأول ودمشق الوطن الثاني.

وتنقلت اسرة عبد القادر في أرض الدولة العثمانية، يوم كانت الدولة تملك امبراطورية واسعة الأرجاء، مترامية الأطراف، واعتبرت جميع هذه الرقعة

العثمانية امتداداً لوطنها الثاني ، ونشأ الأمير سعيد في ذلك الظرف ، فاعتبر القسطنطينية ودمشق والقدس والقاهرة ومكة المكرمة كلها مواطن ثانية له ، لايفضل إحداها على أخوتها ، يحترمها جميعها ، ويعمل في سبيلها وسبيل الاسلام جهده ، ويبذل دمه وماله ؛ ولكن هذه الأوطان الجديدة التي أحبها وعلق بها ، وأخلص لها وتفانى في خدمتها ، لم تمنعه ، ولن تمنعه ، أن يبقى معلق القلب بالوطن الأول ، الذي أنبت هذه الدوحة العظيمة ، حيث كبرت وأورقت وأزهرت وأثمرت ثمراً يانعاً ، دانٍ قطوفه . ومسكت زمام الزعامتين : الدينية والسياسية ، فمحي الدين والد عبد القادر كان شيخاً مبجلاً ، لتفقهه في الدين ، واتصال نسبه بالرسول عليه السلام ، وابنه عبد القادر كان الأمير المبايع من جميع القبائل والسكان ، بيعة جامعة شاملة ، على الطاعة والجهاد المقدس ، والاحتفاظ بالبلاد مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً ... واذا اقتضت الظروف ان ترحل اسرة عبد القادر إلى دمشق ، فان هذه الاسرة لاتزال تذكر منبتها الأول ، وأهلها الأوائل ، وعشيرتها الأولى ، ولاتزال أوشاج الدم ، وصلة القربى ، والعلاقات المادية والروحية تربطها بتلك البقعة الواقعة في الشمال الافريقي . وإذا عمل الأمير سعيد على نحو مارأينا في خدمة البلاد الاسلامية كافة فانه خصّ افريقيا الشمالية من ليبيا الى مراكش بكثير من عنايته ، وبذل في سبيلها كثيراً من الجهد المشكور ، وإذا كنا لم نتطرق فيما مضى إلاّ لماماً ، لهذا الحقل من جهاد ونشاط الأمير ، فلأننا رغبنا أن نجعل ذلك باباً منفرداً ، مقسماً الى فصول ، وإن كان هذا يخالف التتابع التاريخي الذي سرنا عليه من أول الكتاب ، فهو تاريخ يكاد يكون مستقلاً ، له تتابعه الخاص ، ويلعب في تاريخ الأسرة القادرية دوراً مجيداً ، لأن الأمير سعيد ، لايزال يحن الى رؤية هذا الوطن الأول ، وحنينه دائماً لأول منزل ، ولا يزال يأمل أن تساعده الظروف ، ليسير الى الجزائر موطن

آبائه وأجداده ، ويتبوأ ذلك المركز الممتاز الذي كان لأسرته ، والذي شغر منذ هاجر جده الأمير عبد القادر منه ولم يهجره ، ولم يشغله حتى اليوم أمير يجمع الى شخصه تلك الصفات التي يجمعها وارث مجد عبد القادر العظيم .

وإذا كان الأمير سعيد قد عمل في خدمة الجزائر منذ العهد العثماني ، فأنه الآن بعد الحرب العالمية الثانية لايزال دائب السعي في خدمة الجزائر وعشيرته الجزائريين .

في سبيل الجزائر

في العهد العثماني

إذا عدنا بالذاكرة الى العهد التركي ، وما قبل الحرب العالمية الأولى رأينا أن إخلاص الأمير سعيد للدولة العلية ، واهتمامه بشتى الحوادث التي تعرضت لها من انقلابات وحروب داخلية وخارجية ؛ وكتابته المتصلة عن هذه الشؤون التركية والشرقية ، لم يمنعه من أن يبقى معلق النظر بموطنه الأول : الجزائر ، ولم يقطع أمله في إمكان تحقيق حلم كل جزائري وهو الاستقلال ، وكان باعتباره من رعية الدولة العثمانية يستطيع أن ينتقد أعمال الافرنسيين في الجزائر بجرأة لايستطيعها الجزائريون التابعون لفرنسا ، وكانت كتاباته عن الجزائر وحال الجزائريين وانتقاداته اللاذعة للسياسة الافرنسية شاغل الساسة الافرنسيين لخوفهم من شدتها وقوتها ، وقد اضطرت فرنسا تحت تأثير حملاته الصحفية أن تعدل من سياستها في الجزائر ، وأن تترجم مقالات الأمير سعيد ، ليطلع عليها أولو الرأي في فرنسا ، وتجتنبوا الأخطاء التي كان يندد بها الأمير ، ومن المقالات العديدة التي دبجها الأمير بيراعه والأخبار الصحفية نستطيع أن نعلم قيمة حملة الأمير على سياسة فرنسا ، ولن نورد هنا جميع ما كتبه الأمير وقام به في سبيل الجزائر في العهد العثماني ، لان ذلك يحتاج الى مجلدات ، ولكننا سنكتفي ببعض المقالات وهي تدل على الروح الحماسية ، والنظرة الصائبة التي كان يعالج بها الأمير قضية الجزائريين ، وهي بنفس الوقت

لشعر القارئ بكثير من الحوادث التي لم نذكرها له ؛ وتفهمه شيئاً من الضجة التي كانت تثيرها مقالات الأمير وأقواله ، ورد الناس عليها وأثرها في ذلك ، في المقال التالي الذي نشرته جريدة المهاجر بدمشق في عامها الثاني : « صوت الأمير محمد سعيد الجزائري يتردد في الأندية السياسية وفي وزارة خارجية فرنسا » مايغنينا عن قراءة كثير من مقالات الأمير ، قالت الجريدة :

« رغماً من الدسائس التي دسها بعض من لايروقهم ان يسمعوا نداء الحق ويلبوا صوت الضمير كان لمقالات الأمير محمد سعيد الجزائري التي انتقد بها سياسة فرنسا في الجزائر تأثير حسن في الأندية السياسية وبالأخص في الوزارة الخارجية الفرنساوية حيث دعي اليها في هذه المدة أحد رجال فرنسا الذين درسوا احوال الجزائر لترجمة تلك المقالات فوجد أن البعض الدسوا الغاية غير لباسها الحقيقي وسعوا بقتل الوجدان غير أن عملهم لم ينجح لأن هذا الحق لاتسود أمامه الأوهام وقد جاء تحرير خاص من ذلك المخلص يذكر فيه بأن الدولة الفرنساوية عزمت عزماً اكيداً على اصلاح سياستها في الجزائر واعطاء تلك الأمة الاسلامية حقوقها المدنيـة كباقي الامم فجعلت السفر حراً والغت الأحكام القديمة التي تعطي للأجنبي حقاً يحرم منه الوطني بحيث يكون ساقطاً من الحقوق المدنية وسمحت للأهلين بيع التبغ والقهوة وبعد ان شكر الأمير على جهاده الأدبي قال وإننا سوف نحصل على اكثر من ذلك وقد اكد المشار اليه بأن فئة كبيرة من ساسة الفرنساويين يسمون وراء هذه الأمنية ويناضلون عن ذلك الحق ومن تبصر بالعواقب يعلم حق العلم بأن هؤلاء يخدمون دولتهم باخلاص لأن الأمة الاسلامية لم تعد تطيق الظلم أو تصبر على الضيم ولو علم بعض القناصل عندنا هذه الحقيقة لرجعوا عن سياسة التضليل والابهام .

وعلى كل فنحن نشكر الحكومـة الفرنسوية على هذا المعطف الجديـد الذي شرعت في اظهاره حيال اخواننا الجزائريين الذين كانوا كثيراً مايشكون لناسوء حالتهم وغلظة الحكام الفرنسويين في الجزائر ولا ريب في أن حكومة فرنسا التي

تقدر حرية الانسان حق قدرها سوف تتلافى كل سوء تفهم يحصل بينها وبين رعاياها المسلمين وان فعلت ذلك فهي ستنال قسطاً وافراً من مساعدة المسلمين لها في الحرب والسلام .

والمسلمون كما يعلم الفرنسويون الذين ذاقوا منهم الامرين اشداء اقوياء وعدا ذلك فهم أمناء فاذا آنسوا من فرنسا ارتياحاً الى مساعدتهم كانوا لها الجيش القوي الذي تسقط قوى أعدائها ويشتت شمل اضدادها ثم إن المسلمين قد برهنوا مراراً على تعلقهم بفرنسا والظاهر أن الفرنسويين لاينسون محاربة المسلمين للالمانيين في خلال حرب السبعين بل أراهم لايجهلون استماتة أتباع محمد في سبيل تأييد كلمة فرنسا واعلاء شأنها .

إن مسلمي سوريا بل مسلمي العالم بأسره يقدرون لفرنسا العطف والحنان ويحفظون لها منذ اليوم تذكاراً جميلا ويمدونها بالمساعدة الكبيرة بشرط أن لاتعمل على الاساءة الى المسلمين .

فسلام على فرنسا يوم تقوم بهذا العمل الشريف ، وسلام على أبنائها اذا هم ساعدوا مسلمي افريقيا مساعدة تضمن لهم الراحة .

جزائري

وفي الخبر الذي نشرته نفس الجريدة في ربيع الثاني من عام ١٣٣٢ هو بما يتعلق بسعيه لارسال الطلبة الجزائريين الى المانيا مايدل على اهتمامه بالمهاجرين الجزائريين ، والخبر بعنوان : « الامير سعيد والمحافل السياسية في فرنسا » وهو :

تلقت جريدة البريد الجزائري الفرنسية التي تصدر في الجزائر تلغرافاً من بيروت هاك تعريبه :

لكي تخفت جمعية الاتحاد والترقي الحركة العربية نزعت منذ أسابيع إلى تأسيس الجمعية الخيرية الاسلامية ، وقد ابلغ فرع هذه الجمعية في بيروت قنصلية المانيا رغبته في إرسال بعثة علمية سورية إلى كليات المانيا وأعلن الامير سعيد الشهير بعواطفه النازعة ضد فرانسا والمعروف لدينا الحكومة الالمانية بضرورة ارسال خمسة عشر



صورة سلطان مراكش بمناسبة دفاع الامير عن هذه المملكة باعتبارها جزء لا يتجزأ عن أفريقيا الشمالية واحتجاج الامير ببرقياته المؤثرة على تحدي حقوق السلطان من قبل السلطات الافرنسية .

تلميذاً ليسوا فقط من السوريين بل أيضاً من الناشـــئة الجزائرية المهاجرة الى سوريا .

ويعتقدون بأن مساعي الأمير سعيد في سبيل هذه البعثة قد ظلت حتى الآن بلا نتيجة ويتأسفون في الأندية السياسية عندنا على تأخر فرانـسا عن ارسال مثل هذه البعثة . » أ.هـ

وفي الأهازيج الوطنية الحماسية التي طلب الأمير الى الشعراء من الجالية وضعها ، وأكرمهم على ذلك الاكرام الذي يشبه إكرام الخلفاء العباسيين للشعراء يوم كانوا يمتدحونهم ، دليل على مبلغ إهتمامه بتقوية الروح الوطنية بين الجالية الجزائرية ، وسعيه لاعادة من أمكن منهم الى الجزائر ، وقد جاء في جريدة الرأي العام بتاريخ ١٢ صفر عام ١٣٣٢ هـ بعنوان : « انشودة المهاجرين » مايلي :

صديقنا الأمير سعيد بك الجزائري بعيد المطامح قوي الأمل ، لذلك نراه دائباً في العمل الذي يرجع مجد امته المندثر وآثار عظمتها الماحلة ، ولقد توفق أخيراً الى اكتساب قلوب النشء الجزائري ، فطلب اليهم أن يضعوا له الأهازيج المحزنة التي تمثل حالة وطنهم ، وأن يذكروا شيئاً من العظمة التي كانت الجزائر متمتعة بها ؛ وقد أجاب الأمير حفظه الله كثير من تلك الناشئة الكريمة العاملة على خير بلادها وإسعادها وإرجاع التائهين الى ربوعهم التي طالما أينعت بهم وأبسمت بوجودهم . وهانحن ننشر بعض تلك الأهازيج البديعة ليقف عليها القراء الكرام .

قال أحد أفراد تلك النابتة :

« أيها المهاجرون في كل صقع لاتنزعوا إلى حياة اليأس فان الأمل عظيم لديكم وأيديكم قوية وقلوبكم ثابتة ، اذكروا في كل فجر ، في كل ليل ، عظمة ذلك الوطن وأقيموا كل عيد حافل لرجالكم العظام تحيون حياة الخلود .

***

وليقف الحصاد في المزرعة ، والقروي في قريته مستمعاً لتلك الالحان المستعذبات التي تعيد على أسماعكم رجعة العهد القديم .

***

افتحوا النوافذ فجراً ، فالشمس طالعة ، والافق بصفائه كالمياه ، والاشعة براقة ، ولكن كل شيء في الجزائر ينتهي إلى منظر فاجع محزن .

أيها المهاجرون ، يا أبناء ذلك الوطن . أنتم حيال جثة السيد العظيم ، فاذا نظرتم اليها تذكرتم عمله الاقدس ، وفي الذكر بعض الفائدة . » أ . هـ

والقصيدة موقعة بامضاء احمد مختار ، وهذه انشودة ثانية نعرضها للقراء للطف معانيها :

« في كل رقعة من الجزائر كنت أرى أثر السعادة الخالدة . وها هي صور جدرانها وشوارعها ومنازلها ما برحت منقوشة في كل موضع من قلبي .

هنالك في وهران . أيضاً شاطىء صغير تنساب في أحشائه مياه عذبة تحيط به الظلال الوارفة والافنان المائسة والسهول الباسمة الخضراء المتموجة بالازاهر تحت شعاع الفجر .

كنت أذكر أن الاغنام كانت تجول في تلك الساحة الطويلة فتأكل الكلأ الاخضر وينبت صوفها ناعماً كالحرير ، وهنالك أيضاً غابات ووديان بجاية تبتسم فيها الازهار على الدوام وتسمع من أحشائها انشودة الرعاة وهم عائدون الى المواطن قبل أفول الشمس .

ولكنني لم أعد أذكر شيئاً من ذلك . لقد تبدلت هيئة الرعاة وانقطع الحصادون عن التجوال في تلك المرابع الضاحية . ولم أعد أسمع انشودة الطائر الجميل بل صرت بعيداً عن كل شيء في منفى بعيد لا أحمل فيه غير تذكار ذلك الماضي الباهر . » أ . هـ

أما هذه الانشودة فهي مذيلة بامضاء ابن احمد . والامير يحب هذه الناشئة حباً غريباً لانه يعتمد عليها وينيط بها أهم الامور وأدقها ، وقد ازدادت آماله بما شاهده

من آثار المطامع الهادئة على وجوه اولئك الفتيان ، ولقد حمل إلي ورقة مكتوبة باللغة الافرنسية وهي تحوي منظومه وضعها شاب جزائري سأترجمها في عدد تال للقراء وهي لاتقل حسناً وجمالا عن هاتين القصيدتين اللتين اقترح الأمير على بعض أصدقائه بوضعها في قالب شعري إتماماً للفائدة وصيانة للمبدأ الذي نماشيه ونقدسه بكل جوارحنا .

أما رأيي في الأمير وأعماله فهو لايزيد عن حد الاطراء والامتداح ومع ذلك فأنا أرجو أن لايكل ولا يتقاعس ولو اعترضته الموانع العديدة «م» أ.هـ

وفي مقال في جريدة المهاجر في العدد ٧٠ من السنة الثانية بتاريخ الخميس في ١٥ رجب عام ١٣٤١ وهو بعنوان : « دولة فرنسا والأمير محمد سعيد بك الجزائري » وهو أيضاً تأييد للأمير :

« قرأت طائفة من مقالات حضرة الشهم الغيور والأسد الهصور صاحب السعادة الأمير محمد سعيد بك الجزائري فرأيت دراً منثوراً والفاظاً تسطع نوراً وبلاغة تشف عن حمية هاشمية فلله دره من فاضل قد أحسن إلى الامة إحساناً يقصر دون وصفة المتطاول بالثناء ولو نظم الجواهر في أسلاكها ونثر الدراري عن أفلاكها. لاسيما مادبجه يراعه من الآيات الصادعة عن الأحوال الواقعة من فرنسا في الجزائر وما ترمي اليه هذه الدولة أخيراً من أسوأ المقاصد التي صرحت بها نحو الجزائريين بعد أن لبسوها على خشونتها أعواماً لم يروا في غضونها الضوء إلا من سم الخياط .

إن الكاتب البليغ يرمي بكرائم الكلمات في معترك الوجود فتدوي في الكائنات دوي الرعد في الفضاء ، وإن الكلام الصاعد من الأرض الى السماء كالكلام النازل من السماء إلى الأرض . وهذه كلمات الأمير المشار اليه قد أقلقت الامة الفرنساوية بأسرها فأخذت جرائدها الكبرى تموه على القراء زاعمة أن حضرة صاحب العطوفة الأمير علي باشا صرح لجناب قنصل فرنسا في سوريا بعدم ارتياحه مما جاء في مقالة حضرة نجله النبيل وهذا محض ادعاء من تلك الجرائد التي لو انصفت لاستعاضت عن

الاختلاق بتوجيه وسائل النصح الى حكومتها لكي تسعى في تبديل خطتها وتخفيف وطأة عمالها في الجزائر قياماً بما اشترطه الشعب الفرنساوي على نفسه من دعوى الاصلاح وترقية البلاد واسعاد الاهالي ومنحهم حرية القول والعمل حسب ماتقتضيه مستلزمات العصر الحاضر من الرقي والعمران .

انفرطت عقود الاعوام ومرت تباعاً آخذة برقاب بعضها والاحوال في الجزائر لم تزدد إلا شدة حتى بلغت الأمة أقصى درجات التأخر والانحطاط وغاب عن مدارك دهاة فرنسا أن بلوغ الأمم ذري المجد إنما هو ثمرة ما تغرسه حكوماتها لا سيما إذا كانت الحكومة لا ترتبط مع الاهالي بروابط دينية فضلا عن تباين اللسان والاخلاق والعادات وعلى ذلك فهي لاتستطيع امتلاك قلوبهم إلا إذا قرنت قولها بالفعل وفعلها بالاخلاص ونعني بذلك القول هو ما تزعمه دول الاستعمار من أنها لم تحتل بلاد الغير إلا للعمل لخير البلاد وانتشال أهلها من حضيض الهمجية الى أوج العلاء بحيث لا تمضي عليهم ردهة من الزمن حتى تمطرهم السماء درا وتنبت لهم الارض تبراً ويستعيض ذاك الفقير عن القصعة والحلة والبردة والحصير بالاواني المتلالئة والكؤس المجوهرة والاسرة المذهبة والطنافس الرائقة والحلل الشائقة لاسيما إذا كانت الدولة المحتلة هي فرنسا ذات الدعاوي الطويلة العريضة وان من يفد الى باريس ويشاهد جمالها الصناعي وتلك الطرقات والمنتزهات والاندية والمجتمعات وماتضمنته مجالسها الرسمية ومدارسها العلمية ومعاهدها الصناعية ويرى ما عليه سكانها من الرقة والكياسة لا يشك بان الواقع تحت حكمها سيكون في جنة ونعيم ومقام كريم ولكنه اذا وفد الى الجزائر وتونس لايلبث أن تدور به الدنيا فينقبض صدره وهنا يتساءل في نفسه قائلا : ليت شعري هل خلق الله الشعب الفرنساوي من الذهب وخلق غيره من التراب أم نزل من السماء وهؤلاء الناس نزلوا من بطون الامهات أم وجدوا ليكونوا حكاماً مسيطرين وهؤلاء وجدوا ليكونوا أذلاء محكومين ؟ فاين اذاً تلك المدنية والحضارة والانسانية والعدالة والحرية وها هو المالك يغتصب ملكه من يده

ويعطى بطريق الهبة الى نزاع الآفاق والاهالي تساق إلى ساحات الحرب لقتال إخوانهم في الدين من المراكشيين كما تساق الاغنام إلى الحظائر ، وأخيراً لم تكتف فرنسا بكما فعلته فقامت جرائدها تعلن على رؤوس الاشهاد قائلة (أما أن يتفرنس الجزائريون أو يمحى وجودهم) ولا ذنب لأهل الجزائر إلا كونهم من المسلمين وقد رسخ في اعتقاد الغربيين عموماً والفرنساويين خصوصاً أن دين الاسلام يجب إبادته وسحق كل من يدين به ولطالما صرحت جرائد اوروبا بذلك ولو علمت بمحاسن الدين الاسلامي القويم لاعترفت بأن السعادة الحقيقية التي تجري وراءها إنما هي منحصرة في الاسلامية التي تفردت بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتبعين للظن وتبكيت الخابطين في دياجي الجهالة والضاربين في حنادس الضلالة . ذلك الدين الذي كل ركن من أركانه أو أصل من أصوله عنصر للسعادة ومصدر للكمالات لأنه أحكم مرشد وأوضح منهاج يتوصل به العالم الانساني إلى منازل العلاء والرفعة والمدنية الصحيحة ولو رفع الله الحجاب عن بصائر الذاهلين لحكم أن السعادة كلها منحصرة في الاسلامية وأن من أكبر الشواهد وأحكم الادلة على تسامح المسلمين أنهم لما ملكوا الاقطار ودانت لهم الدنيا لم يتعرضوا لدين الغير بل فتحوا أبواب التعليم وسهلوا سبله لأي كان من المسيحيين والاسرائيليين وغيرهما بغير تفريق عملاً بقاعدة أن لكل عنصر مزايا يجب الاستفادة منها وأن التفاضل لا يراعى فيه إلا ما يصل اليه الانسان بعلمه وعمله فمتى امتاز بشيء من العلم أو نال قسطاً من الفضل نال عند الامة مقاماً كريماً وأحرز في الدولة مركزاً فخيماً ، ولقد برع الكثيرون من المسيحيين والصابئين والاسرائيليين في صدر الاسلام في علوم شتى بلغوا بها أسنى المراتب العالية ، وها هي آثارهم وتآليفهم وتراجم أحوالهم تكشف عن محامد رائعة ومحاسن ساطعة ولم يزل الامر كذلك إلى أن تغيرت الاحوال وأصبح الشرق يتلقى عن الغرب ، وصار حظنا الجد والكدح وللاجانب الكسب والربح ، ونصيبنا العمل ونصيبهم الثمرة ، بل أصبحنا كدودة القز تنفع الناس وتضر نفسها مع أن تقدم اوروبا لم يكن إلا

على أثر احتكاك الغربيين بالمسلمين بعد الحروب الصليبية كما هو معلوم ، ثم من الخطأ البين أن يظن كل من له مسكة من العقل أن استعمار الدولة الفلانية أخف وطأة من الدولة الفلانية ، بل كل الدول ذوات الاستعمار لا تمتاز عن بعضها (ثم بحث المقال مساوئ دخول بريطانيا الى مصر) . اهـ

واليك هذا المقال الذي نشرته المهاجر في عددها الصادر يوم الخميس ٢٤ شوال عام ١٣٣١ هـ .

الجزائريون وقناصل فرنسا وعمالها

التوى سير السياسة الفرنسوية في جميع البلاد التي دخلت ضمن منطقة استعمارها خصوصاً في اقليم الجزائر وأصبحنا نسمع من كل رأس صوتاً ومن كل انسان شكوى ومن كل جهة ضجة يتردد صداها في أرجاء الدنيا ، وبالرغم عن الملاحظات والنصائح وما تنادي به جرائد فرنسا وما تطنطن به ألسنة الخطباء في البرلمان الفرنساوي من وجوب تغيير هذه السياسة العقيمة خشية من انفجار براكين الاضطراب الذي ينشأ عادة من شدة الضغط فتتزعزع له أركان السلم فاننا لم نر من القابضين على ازمة الأمور من رجال الحل والعقد في عاصمة فرنسا إلا تغاضياً وإعراضاً عن النظر في إجابة مطالب الأهالي وإصلاح ماأفسده العمال ، فظلت هذه القاعدة متبعة وجرى الخلف على خطة السلف فازداد الخرق اتساعاً ، ولا يخفى أن للأمم المغلوبة على أمرها عادات وأخلاقاً وديناً وعواطف تختلف كثيراً عن عادات وأخلاق ودين وعواطف الفرنساويين وامتلاك قلوب الامم التي هذه أحوالها لايكون باستعمال وسائل العنف إلا إذا أراد الغالب القوي أن يكون مستبداً جباراً وهذا مايتبرأ منه الشعب الفرنساوي الذي يفتخر بالادعاء بأنه من أعظم الأمم الأوربية ميلاً إلى الرفق وأنه أفضل الدول استعماراً . والامة الجزائرية على ماذكرنا من اختلاف

عاداتها وأخلاقها الطبيعية ودياناتها المتأصلة فيها لايمكن تغييرهـا بمثل سرعة تغيير حدودها وهندسة بعض شوارعها وإنما يستطيع الفرنساويون أن يستميلوا هذه الامة بالمعاملة الحسنة فيستولوا على السكان لاعلى المكان وذلك إذا أحسنوا في اختيار العمال وانتخاب المأمورين وعهدوا بالوظائف الى رجال من ذوي البيوتات العريقة في المجد ليكونوا في منزلة مصلحين مجدين في إظهار شرف امتهم لافي مقام آلهة ينتظرون ان يسجد لهم الاهـالي وتخضع لعظمتهم الاقدار فتحصر أفكارهم في جمع الدرهم والدينار .

لايظنن ظان أننا نكتب كمن يسبح في خيـال واسع فوق السموات السبع فلا ينظر في شيء يجري حوله في هذا العالم بل أننا لم نكتب إلا عن تبصر وتثبت ولا حاجة بنا لان نذهب بالقارىء بعيداً أو نجشمه السياحة الى الجزائر وتونس وبقية البلاد العظيمة الشاسعة التي استعمرتها فرنسا منذ عقود من الأعوام ولم تزدد إلا انحطاطاً وشقاء بل نوجه أنظاره إلى مايجريه قناصل هذه الدولة الفخيمة في آسيا من الاعمال التي ربما تكون تصدر منهم عن غير قصد . ولعل مصدرها الحقيقي هو جهل بعضهم بعادات الامم واتخاذ البعض الآخر بطانة ممن يحرصون على منافعهم الذاتية فيموهون على مواليهم بزخارف القول توصلا للاستفادة وحباً في دوام النفع ولو أفضى ذلك الى الكذب والاختلاق وتزوير المضابط والمحاضر المذيلة بامضاآت لاوجود لها إلا في مخيلة كتابها ، واذا فرضنا ووجدت أسماء بعض اناس أحيـاء بين تلك الاسماء المختلطة فانهم يكونون من طبقة العامل الاجير والبـائس الفقير الذين لايفرقون بين التين والبالون والبغل والتلفون ، فوضع أسماء هؤلاء وغيرهم ممن ليسوا في العير ولا في النفير والادعاء بأنهم من الاشراف الحسينيين ونشر مثل ذلك في جريدة سيارة ثم لاتلبث ان تظهر الحقيقة وتنقض صواعق التكذيب والتأنيب على أم ناصية الضالين المضلين ، كل هذا وأمثاله قد أحدث ضجة بين الخاصة والعامة ونبه الافكار على عدم تبصر القائمين بخدمة فرنسا وبأهمال قنـاصلها أمر

واجباتهم وتصديقهم أقوال حواشيهم واستخفاف اولئك الحواشي بقدر الاشراف الحسينيين وجعلهم بمثابة الاوباش والعوام ومن هم في حكم العوام ، هذا فضلا عما هنالك من الدسائس والسموم المراد بها ايقاع النفرة بين الامراء وذويهم ووقوع مثل وهذه الواقعة المخجلة تدل على ضعف في الرأي وانحطاط في الآداب وتبرهن على أن هنالك اناساً يمثلون رواية هزلية ولكن من الأسف أن كل فصل من فصول هذه الرواية أبرد من القطب المتجمد وأسخف من قصة ابريق الزيت .

نحن لانطعن في كفاءة العمال ولا نقول بأن قنصل فرنسا في دمشق مثلا من أبعد الناس عن القيام بادارة شؤون القنصلاتو وانه لايدري من أين تؤكل الكتف ولا يعرف كيف يأخذ الماء من مجاريه لعلمنا ان الدولة التي فوضت اليه هذه الوظيفة الخطيرة هي أدرى باقتداره منا ، وانما نحن نطعن في نفس خطة فرنسا الاستعمارية من جهة وفي انتخابها العمال الغير الواقفين على أحوال غيرهم من الأمم التي ينتدبون اليها من جهة اخرى وذلك بقصد التنبيه للاصلاح واستدراك مامضى وملافاة مافات وإننا لانعدم في الشعب الفرنساوي أنصاراً للحق من ذوي الوجدان تدفعهم الحمية لتأييد حجتنا الصادعة .

إن حضرة الشهم الفخيم صاحب السعادة الأمير محمد سعيد بك الشهير بعلمه وذكائه وفضله وشجاعته وإقدامه وكرمه وشهامته وتقواه وديانته وما وهبه الله تعالى من الشمائل العالية لم يكن قد امتلك القلوب والافئدة بشدة بطشه المستمدمن سطوة حكومة أو دولة بل أن كل من تجتمع فيه مثل هذه الشمائل يستطيع بمغناطيس سجاياه أن يذهب حبائب القلوب وما ينطبق على شخص ينطبق على امة ودولة فما بالك اذا كان لهذا الأمير الخطير تلك المنزلة العالية من الشرف الأثيل والسادة الحسنية آل الأمير عبد القادر وأحفاده ان ذكر الشرف فهم بنو بجدته او العلم فانهم عاقدوا بردته وأن بيتاً تولى الله عز وجل بناءه ولزم الرسول فناءه وأقام الوصي عماده وخدم جبريل أهله وجاء في التنزيل من لايصلي على آله لاصلاة له ، لجدير ان

يكون المتمسك فيهم بأوامر الله تعالى الجامع لتلك المزايا قرة لأعين الموحدين فضلا عن أتباعه ومريديه الجزائريين وحاشا لله تعالى ان يوجد بين ساداتنا أولاد عمه أو أحد أقاربه وبين سعادة الأمير محمد سعيد بك أقل اختلاف في الرأي أو الفكر بل لو فتشت قلوبهم لقرأت على صفحاتها آيات الاخلاص له والافتتان بمحبته وتقدير شمائله والاعجاب بعلو همته ونزاهة نفسه ونقاء سريرته وطهارة وجدانه . ثم هل غاب عن نفس الفرنساويين أن أهم الأسباب التي رفعت قدر ساكن الفردوس المقدس المبرور المرحوم الأمير عبد القادر وجعلته في نظر أعدائه الذين حاربهم ١٧ عاماً في أعلى منزلة حتى فضله بعضهم على نابليون وغيره من جهاجهة الأبطال وبواسل الرجال لم تكن إلا لثباته على الحق وتهاونه بدنياه في سبيل اعلاء شأن دينه فتمسكه بالدين وذبّه عن حوزته ووقوفه بين ثلاثة اعداء : الخوارج من مرتدي الجزائر وجيش مولاي عبد الرحمن وجيش فرنسا . وتناهيه في الدفاع الى آخر خرطوشة بقيت معه كل ذلك جعل له اسماً هائلا كلما تردد صداه اهتزت اعجاباً له الكائنات وطأطأت اجلالا له الهامات ، ولذلك تجد أبناء اولئك الرجال الذين استشهدوا مع الأمير عبد القادر في ميادين القتال وأحفادهم وما في ظهور الرجال وأرحام النساء ممن سيأتي بعدهم لاتذهب من نفوسهم حسرات ذلك الأسى العظيم على ضياع بلادهم وموت آبائهم وأجدادهم وحرق النساء والأطفال الصغار بالنار في واقعة (الغار) وما يماثلها من تلك الوقائع وهاتيك الفظائع ، فانضواؤهم تحت لواء الأمير سعيد بك وشغفهم به أصبح كالتيار الشديد المنحدر الذي يدفع بشدته كل من حاول الوقوف في طريقه ، لأن هذا الأمير أيده الله بتوفيقه هو ذلك النور المنتظر لكي يتقلص بضيائه الباهر تلك الظلمات التي غشت المغرب وتونس وبلاد الجزائر ، ومن يقرأ تواريخ عظماء الرجال ويقف على وسائل الفتوحات العظيمة التي هيأتها لهم الأقدار وعناية القادر القهار لايرتاب في ذلك فما كان أحرى بدولة العدل والحرية والمساواة ان يكون لها خطة تنطبق على هذه الدعوى لاسيما في الجزائر

والمستعمرات وأن يكون قناصلها وعمالها من صفوة الأماجد الواقفين على أحوال الأمم وما لتلك الأمم من الأخلاق والعادات وعلى كل فرنساوي ومتفرنس يحب فرنسا أن لا يوجه الينا أقل اعتراض وأن لا يرمينا بالغرض الذي نحن منه برآء لاسيما إذا درس سياسة نابليون في مصر وتزييه بزي أهاليها حينما تظاهر بالاسلام واختتن وكان من أمره ما كان » أ ـ هـ

هذه النبذه التي كتبت عن الأمير وعن أعماله كافية لمعرفة اهتمام الأمير بالجزائر والجالية الجزائرية ؛ أما ما كتب الأمير من مقالات لها مساس مباشر بقضية الجزائر وشمال افريقيا ، فننتخب منها مايلي :

مهاجرو الجزائر والدولة العلية

« كثرت مهاجرة الجزائريين في السنتين الأخيرتين حتى وقعت الدولة الفرنساوية في ارتباك شديد وكادت البلاد تخلو من الأيدي العاملة فيها وتفقد سنداً قوياً يعمل على إحيائها وإنقاذها ولا نكران في أن هذا الأمر الهام أصبح موضوع البحث والمجادلة في مجلس الأعيان والنواب الأفرنسيين ، وبالنظر للروابط الدينية قد تلقت حكومتنا السنية هؤلاء المهاجرين بالترحاب وأنزلتهم على الرحب والسعة في أماكن متعددة راغبة أن تسعى في مستقبل الأيام في إسكانهم في بعض القرى الخالية من السكان وكان قومسيون المهاجرين يوزع على هؤلاء بما يقوم في أودهم ويزيل بعض أحزانهم وبؤسهم بيد أن تهامل بعض الحكام ودسائس زمرة المأجورين من الأجانب حال دون هذه الأماني فأخذت آمال المهاجرين تضعف وانقطع رجاؤهم من اعطائهم الأراضي حتى اضطر الفقر البعض منهم إلى قتل عواطف أنفسهم فالتجأوا إلى قونصلاتو فرانسا بواسطة سماسرة أعدوا لمثل هذا العمل كي تعيدهم إلى بلادهم بعد أن كانت قلوبهم ملآى بالآمال ، ولم تكد أقدامهم تطأ بلاد الجزائر حتى أذاعت الحكومة هناك نشرات عن ألسنتهم تتضمن الشكاية والتذمر من الفقر والفاقة التي

وصل اليها المهاجر في بلاد سوريا حتى إذا ذاع هذا الامر في البلاد انقطعت المهاجرة وبمثل هذه الوسائل قدرت الحكومة الجزائرية أن تمنع سير المهاجرة والجزائريون لايدرون مما ينشر عن ألسنتهم وقد اتصل بيدنا بعض هذه النشرات المطبوعة في الجزائر ولو أن الحكومة الفرنساوية تعلم أن إدهاق الروح أهون على المرء من مفارقة وطنه لاحجمت عن تلك السياسة التي لاتجدي نفعاً بل سعت وراء معاملتهم بالانسانية وهم أرباب البلاد وهنالك دسائس كبيرة أوقفت حكومتنا السنية عن إسكان المهاجرين حالا وهي وجود بعض أشخاص تارة ينتمون الى الدولة العلية وتارة الى الدولة الفرنساوية وعلى حسب الاهواء وهم لايتجاوزون عد الاصابع فأوجب هذا الامر الريب في فكر الحكومة حتى أصبحت في شك من وطنية هؤلاء ، ولو علمت حقيقة أمرهم وأنهم ماتركوا كل عزيز وغال في بلاد آبائهم وأجدادهم إلا ليكثروا من سواد المسلمين وينضموا تحت لواء العثمانيين لعدلت عن الفكر وسمت بايوائهم في تلك الاراضي الواسعة ، وانني متحقق يقيناً بأن الدولة لو ندبت هؤلاء لحرب لما تأخروا لحظة واحدة بل يفتخرون بتضحية حياتهم تحت لواء دولة الاسلام ، وطالما عرضوا أنفسهم عن يدنا للتطوع في الحرب الطرابلسية فجاءنا الجواب من المرحوم محمود شوكت باشا بالشكر ، وأما الذين يفسدون في الارض وهم سفلة المهاجرين فما على الحكومة الا معاملتهم بمقتضى أمره تعالى بأن وذلك تقتلهم أو تصلبهم أو تسمى بنفيهم من الارض ، ومتى كانت القوانين تخول الانسان في جيبه أوراقاً عديدة تثبت هويته ، فاذا اضطره الحال للحصول على أرض كان عثمانياً ، وإن أراد استعماله مأجورو الاجانب آلة كان فرنساويا .

هذا وإننا نلفت أنظار حضرة والي الولاية الجليلة إلى مصدر هذا الفساد الذي لايصح وجوده بين الدول المتحابة المقيدة مع بعضها بعضاً بقوانين لاتقبل التغيير والتبديل وإن كانت إحدى الدول تريد نفع بعض موظفيها فلتستخدمهم بغير هذه الوظائف ، وما هي صلة أحد مستخدمي فرنسا بين العثمانيين حتى ينخرط فيما بينهم

ويفسد أمرهم ، هذا مانلفت أنظار حكومتنا السنية ، وعلى دولة والينا المعظم عارف بك أن يحقق من مدير الأمور الأجنبية عن عدد الأشخاص الذين هم تحت الحماية الفرنساوية وأن يسأل مختار المغاربة عن الذين أخذوا بسابورطات بينما هم سجلوا أسماءهم في القيود العثمانية وبيدهم أراضي أحسنت الدولة بها اليهم حتى إذا تحققت خيانة البعض وتلاعبهم سمت بالاتفاق مع الدولة الفرنساوية على نفيهم من البلاد حسب القوانين الصريحة ، ولنا جولة بهذا الموضوع المهم الذي نسئل عنه بين يدي الله ونلام بسبب إهماله عند الدولة التي نعيش بكنفها . جعلنا الله ممن يهون عليه تضحية نفسه وماله وولده في سبيل دينه ودولته . » أ ـ هـ

أمير زاده محمد سعيد

صوت الحق

قطعت جهيزة قول كل خطيب

كل من تتبع مقالاتنا بدقة وإمعان يعلم بأنه ماحملنا على التصريح بما ارتأيناه إلا دفاعاً عن حق أو دفعاً لابهـــام وقد سبقت لنا الكتابة عن المدارس الأجنبية وعن سياسة الاتحاديين ، بينما كانت رؤوس القوم تطـأطىء لهم عظمة وإجلالا ولم يصادف ان انتقد على ما كتبناه ، لان ماقلناه كان يملي علينا من الوجدان الطاهر والضمير الحي ومن حـكم الفكر وسماع صوت الوجدان ودقائق النظر من غير تحيز فيما أوردناه معززاً بالأدلة القاطعة والحجج الساطعة لايسعه إلا الاذعان لأقوالنا التي ليست (فارغة) على زعم بعضهم ، ويكفيك برهاناً على أن كلامنا لم يذهب جزافاً اهتمام الوزارة الخارجية الفرنسوية به وترجمتها لكل أقوالنا والعمل بمقتضاها ، ولا نشك في أن قونصلاتو فرنسا بدمشق تصرف عبثاً أشهراً عديدة في سبيل تكذيب ماقلناه بسوء خرق السياسة الافرنسية بمستعمراتها الاسلامية ولم نعلم إذا تمكن هذا القنصل من معارضة صوتنا هل يقدر على إسكات جرائد باريس

وتخفيض صوت نواب الدولة الفرنسوية في مجلس المبعوثان حينما يرفعون أصواتهم بخرق سياسة دولتهم بمستعمراتها بافريقيا الشمالية وهم يجاهرون بالحق حرصاً على مصلحة امتهم وحفظاً لكرامتها لكي يقال بأن الحرية والعدل هما منحصران بعاصمة باريس وملحقاتها !!

هذا وإنه قد سبق لنا القول بأننا لم نأخذ على عاتقنا القيام بهذا الدفاع المقدس إلا ونحن نريد أن نعرض حياتنا لأشد الأخطار وأعظم الأهوال وهل يريد الذين يهمهم أن يقفوا في طريقنا ويضعوا العقبة الكؤود دون دفاعنا المجيد أن ننسى لقومنا تلك الحمية الهاشمية والنخوة العربية التي ظهرت من اخواننا الجزائريين يوم نفروا للجهاد تحت لواء المرحوم ساكن الجنان جدي الأمير عبد القادر وقاموا بنصرة الحق وقدموا الأموال والأنفس والبنين والثمرات !

وهل فطر قلبنا من حديد وحرمنا من الأحساس ونسينا قوله عليه الصلاة والسلام (ترى المسلمون في توادهم وتحابهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). حتى لا نتألم لألم اخواننا الذين يسامون أنواع العذاب ويقاسون أشد الجور والاضطهاد ؟ أم هل نضرب بكتبهم المحتوية على ظلاماتهم عرض الحائط دون أن نحرك شفة أو نخط حرفاً ، ولو اطلع صاحب الاصلاح على محتويات (الأحكام الزجرية) التي تحرم أبناء الجزائريين من الحقوق المدنية والسياسية لرجع عن غوايته وخطأ نفسه على تهوره حيث قال في عرض كلامه (جاءت مفرزة للحقيقة التي كانت وستظل رائدنا وضالتنا المنشودة) وهل الحقيقة التي يشير اليها عدم اضطهاد أبناء الجزائر أم هل يريد أن يكون أقل وطنية من الافرنسيين الذين يشاركونا بهذا الدفاع وهاهي جرائدهم اليومية أمام أعيننا تمثل سوء تلك السياسة الخرقاء ، وما كنا نظن أن تلك الصحيفة التي ترى عمل الحكومة وقيامها لاسترداد عاصمتها الثانية وأعني بها (أدرنة) ضرباً من الطيش والتهور وهي تحب أن تحترم مشيئة اوروبا وأن نبقى مكاننا مدافعين نكون أقل حمية من أهل الالزاس واللورين

الذين لم يزالوا منكسين رؤوسهم ولا يلذ لهم عيش إلا إذا استردوا شرفهم واسترجعوا مجدهم . وهاهم أهالي جزيرة مالطة لم يزالوا لابسين ثوب الحداد حزناً على شرفهم وهم دون الخلائق في كل شيء !!

ولو أن الحقيقة التي يعلمها صاحب تلك الجريدة الملومة على خلاف مانقول لما كان أكبرهم عند نواب فرنسا حينما اجتمعنا بهم السؤال عن سبب مهاجرة الجزائريين لسوريا والاعتراف بخطأ دولتهم ، وهاهم النواب الذين يناضلون عن حقوق أبناء الجزائر وهم من المشهود لهم بالفضل لم يزالوا أحياء فلينقلوا قولي إذا كان فيه مايخالف الحقيقة ، وإن ظن صاحب الاصلاح ان الرسائل التي ترده تجديه نفعاً أو ترفع سقطته من نظر العقلاء والتي أوجبت نبذ جريدته من المشتركين فانه مخطىء برأيه ومسيء بزعمه وليعلم هو ومن كان على شاكلته بأننا من عباد الله الذين وصفهم الباري عز وجل بقوله : « لاتجد قوماً يواددون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم ... الآية » .

والمعنى أنه لايجتمع الايمان ووداد أعداء الله تعالى لأن من أحب احداً امتنع من أن يحب عدوه نزلت هذه الآية في حق ابي عبيدة بن الجراح الذي قتل أباه ، وعمر ابن الخطاب الذي قتل خاله العاص ابن هشام يوم بدر، وأبي بكر دعى ابنه للبراز ، ومصعب ابن عمير قتل أخاه عبد ابن عمير ، وحمزة وعبيدة وعلي قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبه ، ولم يوادوا أقاربهم غضباً لله تعالى وانتصاراً للدين

هذا وإنه ماكنا نظن بأن صاحب الاصلاح الذي أوعز الينا بأنه ندم على عمله أن ينقض العهد ويتجرأ على القول بأنه (إذا تمكن أحد من المتاجرة باسم ولده فانه لايستطيع أن يتاجر باسم عميد العائلة وسائر أعضائها الكرام) مع أن هذا القول ماهو إلا تلفيق واختلاق وما سبق لنا أن كتبنا باسم أحد برأي أحد مع كوننا صرحنا منذ تسعة أيام مضت على صفحات جريدة المهاجر وقبل ورود مقالة عكس الاصلاح بتسعة أيام بأن لاعلاقة لأحد من أفراد العائلة بما كتبناه وسنكتب بشأن

سياسة دول الاستعمار ، وإذا كان الشيخ ممن يتاجر باسمهم فليعلم بأن اسمنا لايتاجر به وما كان ليخطر لنا على بال أن حب المنفعة والغرض يعمي صاحب الاصلاح لهذه الدرجة حتى يعنون تلك الرسالة بأن (... يتبرأ من مقالات ولده) مع أن المذكور كان هو أول من نشر لنا المقالات مفتخراً على صحيفته ، فما هو هذا الخلل الذي حصل في إدارته حتى انقلب معه الحال إلى عقب ، مع أن الخدمة الأدبية التي قمت بها نحو والدي بينما كنت أبذل النفس والنفيس في سبيله لم يسبق لها نظير من أحد الأبناء ، وهاهي التواريخ التي أدخرتها لتكون أعظم تذكار لحياة الوالد موجودة وما من أحد من اخواننا الدمشقيين يذهل عن فكره خدماتنا الجليلة ونحن نعلم أنه إنما قمنا بالواجب ، وقد كان بالأمس يفتخر في كل المجالس بأعمالنا الجيدة غير أن جلساء السوء وطلاب المنفعة مازالوا يهونون له الأمر حتى زل قلمه وكبا جواده ولكل فارس كبوة .

وأما صاحب الاصلاح إذا كان حب الانتقام لجريدته التي سقطت من نظر الأمة يحمله على ارتكاب مثل هذا التهور فانا لانريد له ذلك لأن إعلانه التبرأ مما نكتب مما يدل على تبرئه من كتاب الله ورسوله لأننا لم نخرج عن حد الكتاب والسنة وهاهي رسائلنا نشرت في الآفاق . وقد قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده ليخرجن من امتي قوم بصورة القردة والخنازير بعداهنتهم في المعاصي وكفهم عن النهي وهم يستطيعون) .

وهل أعظم من منكر من الفظائع التي نجاهد لازالتها ، فليهدأ روع هؤلاء وليرجعوا إلى رشدهم فانه لم تتوال على المسلمين المصائب إلا بوجود أمثالهم ، وقد أخرج الامام احمد والطبراني عن عدي بن عميرة قال : قال رسول الله ﷺ (لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى تكون العامة تستطيع أن تغير عليها فاذا لم تغير العامة على الخاصة عذب الله العامة والخاصة) .

جعلنا الله ممن يرى الحق حقاً ويلهم اتباعه ويرى الباطل باطلا ويوفق لاجتنابه ولله عاقبة الأمور . ا . هـ

الأمير محمد سعيد

على نفسي أنا الجاني

مسلمو الجزائر

« شاء القدر أن أجتمع بنفرين من طالبي الاصلاح في بيروت والشام وكنت في أثناء محادثتي لهما قد آنست في لهجاتهما حدة ونزقاً ، ولقد ظهر لي أنهما مصممان على إحراز نواياهما وبلوغ الأماني التي يرميان إلى إبرازها بأية واسطة كانت ، ولا أنكر أنني رأيت أيضاً منهما نزوعاً إلى المفاخرة بمعاكسة الوالي ، وإلحاحهما عليه بإعادة فتح نادي الاصلاح المقفل وهما مع ذلك يتكلفان التظاهر بالميل الى عدم مداخلة الأجانب والظاهر أن هؤلاء لا يدركون خطورة النتائج التي تلي مطالبهم ، وهذا ما حملني على كتابة بعض أسطر تحت عنوان إذا كانت نتيجة طلب الاصلاح مداخلة الأجانب فلا مرحباً به — ولما كان لصاحب الجريدة التي نشرت فيها هذه المقالة حق النشر والطي — آثر المحرر وضع هذه الجملة « لا مرحباً بالاصلاح إذا كانت نتيجته تداخل الأجانب »

وأنت ترى أن ليس في الأمر ما يدعو إلى إثارة الكوامن ، واستزادة الأحقاد وأجدني مذهولا لهياج البعض من الأصدقاء الذين شرعوا في اتهامي بالمروق من نبل القصد والغاية المثلى حتى بلغ بهم الأمر إلى وضعي في موضع الذين يكرهون الاصلاح الحقيقي الذي تتطلبه الدولة ، على أنهم لو أدمنوا النظر قليلا وسبروا غور الحقائق لعلموا أن أعمالهم ليست إلا جنوناً وأن تظاهرهم المضحك ليس إلا طيشاً ومن الأسف أن يوجد بين ظهرانينا أناس لا يعرفون الوطنية ، ولا يحترمون الوطن بل لا يقدرون العواطف الشريفة حق قدرها ، وهؤلاء في الحقيقة لا يعملون إلا على

المماكسة وأراني مضطراً الى التصريح بأنهم قد وضعوا بأيديهم أساس التخريب والتدمير وعكفوا على إيجاد الوسائل التي من شأنها ان تؤدي بهذه الامة الى حفرة الشقاء ولكن سوف لا ترتاح ضمائرهم لان الامة التي يريدون ايقاعها في وهدة الخراب وقد أدركت النتيجة الجانحة فاحتاطت لها أيما احتياط وهي مستعدة لمناقشة هؤلاء الحساب بعد خمود هذه الازمات الشديدة .

إن طلب الاصلاح في وقت لا تزال الدولة فيه تناضل عن كيانها من الامور المنكرة التي لا يقدم على الاتيان بها الا من قتل ضميره وآثر المروق من وطنيته ودينه ، ولا شك في أن بين هؤلاء الطالبين فئة دائبة على السير في الطرق الوعرة المحفوفة بالاخطار والارزاء دون أن يروعها ظلام الحندس او تكترث لتلك الاشواك الدامية التي تعترضها أثناء السير .

ان هؤلاء الذين يحرجون صدر الدولة بأعمالهم يجهلون ولا شك تلك المظالم التي يكابدها العرب الجزائريون تحت سيطرة الحكم الافرنسي فاذا كان الامر كذلك فلا بأس من أن نصرح لهم بحقيقة ما برحت منزوية بين خفايا الضمير — في الجزائر — تلك البلاد الآهلة بـ ٦ ملايين من المسلمين العرب الاشداء قد ماتت الوجدانات الطاهرة رخمدت الاحساسات الحربية في النفوس — وصوت الحق قد تلاشى رويداً رويداً وتضائل بين أستار البلى وأصبح المسلم لا يدري من أمره شيئاً ، فبرح الجزائريون أوطانهم المقدسة فراراً من الظلم والتبريح وهم مع ذلك ما برحوا يلتجئون إلى هذه البلاد الآمنة وهم يحملون بين مطاوي القلوب حنيناً وتذكاراً — بل دمعاً عقيقياً متدفقاً من خلال المحاجر الدامية — وأنيناً مؤثراً لو وقع على ساهق الروابي لفاضت عطفاً — ومع كل ذلك يشددون في الكتمان ولا يبوحون بمصائبهم بل هم يسمعون الليل الداجي ذلك الانين ويأخذون على أنفسهم أن يحافظوا على تقاليد آبائهم في المواطن الاسلامية — تلك هي حالة العرب في الجزائر — فقر وبؤس وشقاء ، فهل يرعوي هؤلاء الذين يرمون الى جلب المصائب على رؤوسهم — بتداخل الاجانب —

دمشق أمير زاده محمد سعيد

مع السنوسيين

سبق الشمال الافريقي ، أجزاء العالم الاسلامي للخضوع مكرها للحكم الاجنبي فقد حاولت فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر وأول عام من القرن التاسع عشر احتلال مصر ! ببعثها حملة نابليون اليها ، فلم تفلح ، وفشلت المحاولة ، ولكنها نجحت في عام ١٨٣٠ باحتلال مدينة الجزائر ، ثم ضاعفت المجهود لاخماد مقاومة الاهالي الذين تزعم نضالهم البطل المجاهد الامير عبد القادر بن محي الدين خلال سبعة عشر عاماً متواصلة ، أنهك فيها قواتهم ، وكبدهم خسائر لم يكونوا يتوقعونها ، ثم استسلم عندما نفذت مؤونته ، وعز عليه السلاح . وبعد أن استقر المقام بفرنسا في أرض الجزائر ، رغبت أن توسع نفوذها في أفريقيا الشمالية ، فانساحت ذات اليمين منذ عام ١٨٨١ وبسطت نفوذها على تونس ، وانساحت ذات الشمال منذ مطلع القرن الحالي وتم لها وضع يدها على جل مراكش عام ١٩١٢ ، وكانت قد وسمت حدودها الصحراوية والحارة ، بوضع يدها على أكبر مساحة من الصحراء الكبرى الافريقية وعلى السودان الافرنسي ومناطق افريقية اخرى وأسمتها « افريقيا الافرنسية » .

وكانت بريطانيا بعد أن عملت على إخراج الافرنسيين من مصر ، تطمع ببسط نفوذها عليها ، خاصة بعد حفر ترعة السويس ١٨٦٩ ؛ لتبقى مسيطرة على طريق الهند ، فدخلت مصر عام ١٨٨٢ على أثر حركة عرابي باشا التحريرية ، وبقيت فيها باسم الاحتلال الموقت ، وكانت ايطاليا بعد أن أتمت وحدتها عام ١٨٧٠ مدت ببصرها الى ماوراء حدودها تجيل الطرف في أنحاء العالم لتعثر على قطعة أرض

لستعمرها ، ووقع اختيارها على الشقة الباقية من افريقيا الشمالية ، تحت النفوذ العثماني الاسمي وهي منطقة ليبيا ـ طرابلس ، فاغتنمت فرصة ثورة ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد ، واستلام الاتحاديين الحكم ، فأنذرت الباب العالي العثماني بوجوب إعطائها طرابلس الغرب ؛ وأعلنت الحرب عليه في ٢٩ ايلول ١٩١١ ، وضربت أساطيلها بناء مدينة طرابلس الغرب ، وأنزلت جنودها في البر الافريقي ، وحاولت تركيا عبثاً الدفاع عن هذا الجزء من الوطن العثماني ، وفشل أنور باشا برمي الطليان في البحر ، واضطرت حكومة الاتحاديين إلى التخلي عن طرابلس الغرب بمعاهدة اوشي قرب لوزان في ١٥ تشرين الأول ١٩١٢ لاضطرارها للاهتمام بشؤون البلقان والاستعداد للحرب البلقانية ...

ولكن حال طرابلس الغرب ، كان كحال الجزائر من قبل ، عندما هب أحد زعمائها وهو السيد احمد الشريف السنوسي ، وتصدى للدفاع عن أرض الوطن وحريته واستقلاله ، فوقف برجاله الوطنيين من أبناء البلاد ، ومن تطوع من المسلمين للجهاد من أنحاء العالم الاسلامي ، وبقي يصد كل هجوم طلياني ، منذ تخلي الأتراك رسمياً عن مساعدة بلاده حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى ، فاتصل به الأتراك وأمدوه بواسطة الألمان بقليل من العتاد ليقوى على مقاومة الطليان ، وكان ممن وصل الى طرابلس الغرب لمساعدته على الحرب ضد الطليان كل من نوري بك أخ أنور باشا والقائد مان سمان الألماني وجعفر العسكري وكثير آخرون من ضباط العرب والمغاربة ، وعمل هؤلاء جميعاً على مقاومة الحلفاء سواء الطليان في داخل البلاد ، وسواء البريطانيين في مصر ، وقد ذكرنا محاولة جمال باشا إثارة السنوسيين في الوقت الذي يهاجم فيه ترعة السويس من فلسطين ، ولكن هذه المحاولات جميعها فشلت وانتصر البريطانيون على السنوسيين ، وألجأوا السيد الشريف احمد على اللجوء الى الصحراء . فانقذته تركيا ، بحمله في قلب غواصة المانية الى تركيا حيث أقام في القسطنطينية ورحب به السلطان رشاد ترحيباً يليق بجهاده

ومقامه ، وبقي في العاصمة العثمانية معزز الجانب موفور الكرامة ، بقية الحرب ، وكانت له يد بيضاء في إخماد نار فتنة نشأت بين الترك والكرد في احدى نواحي الأناضول ، قدرها له السلطان ورجال الحكم من الاتحاديين ، ولكن بعد إنتهاء الحرب وانهزام تركيا وحليفتها المانيا وقيام مصطفى كمال بحركته ، واستلامه الحكم والغاء الخلافة من آل عثمان ، وطردهم خارج البلاد ، لم يرد السيد احمد الشريف السنوسي البقاء في تركيا ، ولم يستطع الذهاب الى طرابلس لمانعة الطليان ؛ وخاصة انه كان قد عهد الى ابن عمه السيد محمد ادريس بزعامة السنوسيين ، وانتخبه الأهالي اميراً لبرقة وتزعم مناهضة الحكم الطلياني . وعزم على السير الى دمشق ، المدينة السمحة التي تحب العظماء ، وتفتح صدرها رحباً إلى كل مخاص لبلاده ، فكما استقبلت بالأمس الأمير عبد القادر بطل الجزائر ، فهي ستستقبل اليوم الأمير السنوسي بطل طرابلس الغرب ، وما وصل السيد احمد الشريف السنوسي مدينة حلب الشهباء حتى بعث ببرقية إلى سمو الأمير سعيد يخبره بقدومه دمشق ، فأعد الأمير قصره في حي العمارة ؛ لاستقبال ضيفه العظيم ؛ ودعا علماء الشام ووجوهها وسكان دمشق للاشتراك معه ومع رجاله المغاربة في مهرجان استقبال مقاوم الاستعمار الطلياني ، وكان قصر الأمير سعيد خلال إقامة السيد السنوسي يغص بعشرات ومئات الزوار الذين وفدوا يحيون البطل المجاهد ؛ ويكبرون همته ، لدرجة أن حفاوة دمشق بهذا الضيف الكريم ، وما قيل بمناسبة مقدمه من خطب وقصائد وبيانات سياسية ، أقض مضاجع السلطة الحاكمة الافرنسية وهي لاتزال حديثة عهد بالانتداب على سوريا ، كما أقلق بال الحكومتين الانكليزية والايطالية الحليفتين فاحتج وزيرا الدولتين لدى الحكومة الافرنسية على إقامة بطل طرابلس في قصر حفيد بطل الجزائر ، وما قد ينجم عن ذلك من إحياء روح الجهاد لدى الأميرين والتعاون على مقاومة النفوذ الأجنبي في بلادهما . وفي أحد الايام طرق باب قصر الأمير سعيد في حي العمارة القومندان « توما مارتين » ضابط الاستخبارات الافرنسي

وطلب إليه أن ينهي ضيافة السنوسي ؛ ويسمح له بمغادرة قصره إلى خارج سوريا لأن إقامته في دمشق غير مرغوب فيها حفظاً على الأمن العام ، فعجب الأمير سعيد وقال لضابط الاستخبارات : « ولكن إلى أين يستطيع السيد احمد الشريف السنوسي السفر ، وقد سدت في وجهه جميع الأبواب ، فتركيا الكمالية اليوم شاحت بوجهها نحوه ؛ والدول المنتصرة في الحرب تعد بطولته ومقاومته الاستعمار جريمة تمنعه ان يعود لبلاده او يقيم في بلاد تحتلها جنودها ، وهل تحبون ان يكون مصير أبطالكم كمصير هذا البطل ؟ أم أنكم تقدرون البطولة كيفما كانت ومن أي أرض نبتت ؟ » . فعجب القومندان من هذا الجواب ، ولم يستطع أن يجد مخرجاً سوى قوله : « أنا موظف مأمور ، لقد تلقيت أوامر من المفوض السامي في بيروت بأن أمنع السيد السنوسي من الاقامة في قصركم ، وأن أخرجه إلى خارج حدود سوريا ولبنان يذهب إلى حيث يشاء . وأنا وأنت يجب أن نطيع أوامر المفوض السامي دون تردد أو تساؤل » . فاغتاظ الأمير سعيد من هذا الجواب ، وسرت في جسمه رعشة قوية ، وانتفض انتفاضة الشرف والاباء وحماية الضعيف والدفاع عنه وأجاب على الفور : « إذا كان أمر سيدك الجنرال المفوض السامي مطاعاً ، فليعلم المثل السائر عندنا وهو إذا أردت أن تطاع فمر بما يستطاع ، وليعلم أننا هنا في بلاد لها عادات وتقاليد هي بحكم القوانين الطبيعية الثابتة التي لاتغيرها عوامل البلى ، ولا تحرفها أيدي القانونيين ، ولا تبدل منها مشيئة جنرال ، حتى أن جمعية الأمم التي تعتمدون على قرارها في انتدابكم على هذه البلاد ، قد اعترفت بها وأقرتها وطلبت اليكم التقيد بها ، وهذه العادات العربية الأصيلة توجب على المضيف احترام ضيفه والدفاع عنه في النفس والنفيس ، وعدم تسليمه إلى أعدائه ولو أدى ذلك إلى إراقة الدماء الطاهرة الزكية ، وتاريخنا الماضي حافل بمثل هذه الحوادث . وأنت تعلم أن السيد السنوسي لايقيم في دار رجل من عامة الشعب ، بل هو يحل ضيفاً كريماً في قصر أمير كريم حفيد بطل عظيم تقرون بعظمته أنتم ، واعترف بفضله ملوككم وسفراء

الدول الأوربية جميعاً ، ولا يجوز بحال من الأحوال الاساءة الى سمعة اسرته بمثل هذا الطلب الجائر ، فما كان من ضابط الاستخبارات أمام هذا القول الصريح سوى الانسحاب بانتظام ومخابرة المفوض السامي في بيروت بما جرى حيث اضطر هذا الى السكوت على مضض على بقاء السيد السنوسي في دمشق .

وتابع السنوسيون جهادهم ضد ايطاليا وصمدوا أمام جيوش موسوليني المتتابعة وكبدوها خسائر فادحة ، وعزم موسوليني الذي صار يفاخر باعادته بناء الامبراطورية الرومانية ، أن ينقذ سمعته أمام أوربا ، فجند الجند ، واستعمل ضروب القسوة والفتك بالأهالي ليخمد أنفاس المقاومة ، وقد برز اسم عمر المختار شيخ إحدى الزوايا السنوسية في مقاومة السنوسيين لمحاولة موسوليني الاستعمارية ، وبقي اسم عمر المختار رمزاً للتغلب على الجيوش الايطالية المدربة والمجهزة حتى عام ١٩٣١ حين أسره الطليان وقتلوه في جنوب بنغازي ، وبقي الأمير سعيد خلال ذلك كله يتصل بالسنوسيين ، ويحاول جهده مساعدتهم ، وكيف يتأخر عن العمل في سبيل طرابلس الغرب ، وهي جزء من الوطن الافريقي ، وأبوه الأمير علي وأخوه الأمير عبد القادر حاربا في صفوف الطرابلسيين في الحرب الطرابلسية الطليانية عام ١٩١١ ، وكان الأمير سعيد وهو في دمشق الى جانب مساعدته السرية للسنوسيين ، يتزعم حركة مقاومة النفوذ الطلياني في طرابلس ، فيحتج لدى المراجع المسؤولة ويحاول إسماع صوت المقاومة الطرابلسية الى جمعية الأمم ، وقد جاء في جريدة فتى العرب الدمشقية في عددها ٢٧٦٠ وتاريخ ٩ ذي الحجة ١٣٤٩ الموافق ٢٦ نيسان ١٩٣١ الخبر التالي :

وعاد من بيروت سمو الأمير سعيد الجزائري بعد أن سلم بذاته ضابط الاحتجاج المرفوعة منه ومن الأمة السورية الى قناصل الدول في بيروت على فظائع ايطالية في طرابلس الغرب وقد طلب ايداع هذه الاحتجاجات لعصبة الامم ولوزارات الخارجية فوعدوه بذلك .

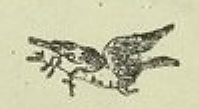
أما قنصل دولة ايطالية فقال بأن دولته نفت وقوع تلك الفظائع فأجابه الأمير بأن الاخبار الواردة من منابعها الصافية تدل على وقوع تلك الاعتداءات وأن حالة الحرب لاتبرر مثل هذا الجور فأنا باسم المسلمين احتج عليها فوعده برفعه إلى وزارة الخارجية وبسط الألم العميق الذي ألم بالبلاد من هذه الانباء المروعة . » أ.هـ

كما دعا الأمير سعيد الأمة العربية الى المقاومة السلبية ضد ايطاليا ومقاطعة بضائعها حتى يضغط الرأي العام عليها ويجبرها على التخفيف من بطشها ضد الطليان.

وقد جاء في جريدة البلاغ في عددها بتاريخ ٢٨-١٠-٣١ الخبر التالي :

مقاطعة الطليان

« أقيمت في منزل الأمير سعيد الجزائري حفلة تذكارية لزعيم المجاهدين في طرابلس الغرب حضرها جمهور كبير من رجالات دمشق على اختلاف ميولهم وقد القيت فيها الخطب والقصائد المؤثرة وكان بين من حضروا هذه الحفلة التذكارية الكبرى عدد غير قليل من كبار تجار العاصمة السورية الذين هالهم ما سمعوا فقرروا أن يجتمعوا ويحدثوا فيما بينهم بشأن التفكير تفكيراً جدياً بأمر مقاطعة البضائع والمعامل والمصانع والحاصلات الايطالية .» أ.هـ



الجـــــزائر

أولاً و آخراً

ظلّ قلب الأمير سعيد معلقاً بالجزائر ، لم تشغله عنها شواغله الأخرى ، ولم تزاحمه في مكانتها من نفسه منطقة اخرى ، وظل الأمير سعيد معلق الفكر والنفس بالجزائر لايجد بديلاً عنها في أرض الله الواسعة ، ولا يهدأ له روع إلا متى حل بأرضها ، وأظلته سماؤها ، وتنشق من عبيرها ، وقد عمل في سبيل المودة الى الجزائر في أيامه الخوالي ، ولا يزال يعمل مادام في جسمه عرق ينبض بالحياة والأمير سعيد يعلم حب الجزائريين له وتعلقهم به ، وأملهم بأن تتاح له المناسبة أن يعود إلى الوطن الذي ضم رفات أجداده الأقدمين ، ليعيد إلى هذا الوطن عزته وكرامته ، وليجلس على كرسي الزعامة ، الذي لايزال ينتظره ، وقد كاتبه كبار الجزائريين وعلماؤهم ومشايخهم والعاملون في الحقل الوطني منهم يدعونه الى العودة الى الجزائر ، ولكنه ينتظر الوقت الملائم ليلبي دعوتهم ، ويحقق امنيته وامنيتهم ...

وإذا كنا ألممنا إلى طرف من أعمال الأمير سعيد في سبيل الجزائر في العهد العثماني ؛ فاننا هنا أيضاً لن نطيل في هذا الموضوع ، لأن حب الأمير للجزائر لايستطيع كاتب تدوينه ، ولا يمكن لكتاب أن يضمه بين أسطره وصحائفه ، بل هو أقوى من أن يعبر عنه لسان ، وأكبر من أن تحويه دفتا كتاب ، وإذا نحن

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

تحريرا في ٩ جمادى الاولى ١٣١٩

من عبد ربه سبحانه خادم استاذه والاسلام احمد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الادريسي
حضرة صاحب الدولة الجنرال قنصل دولة ايطاليا الفخيمة [illegible] دام مجده وزيد قدره
سلاما واحتراما لحضرتكم البهية وبعد فانه بحسب ما بلغني ان دولة ايطاليا لها رغبة في
عقد الصلح وحقن الدماء ونحن كذلك لنا رغبة في الصلح والسلم حقنا للدماء مابين
الفريقين وانا قد وكلنا حضرة صاحب الدولة والسمو ولد الامير السيد محمد سعيد نجل الامير
الخطير السيد علي ابن الامير الشهير والمجاهد الكبير السيد عبد القادر محي الدين الجزائري
في امر الدخول بمذاكرات الوفاق والالتئام مع رجال دولة ايطاليا الفخيمة على
شروط مناسبة والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب والسلام

كتاب المجاهد الكبير المرحوم السيد احمد السنوسي بطل طرابلس الغرب الى الامير سعيد يفوضه بعقد صلح مع ايطاليا يحفظ استقلال طرابلس وبرقة استقلالا تاما ، بناء على طلب قنصل ايطاليا .

أوردنا هنا نتفاً صغيرة من مساعي الأمير سعيد الحالية في سبيل الجزائر أو دعوة الجزائريين له لتولي عرش الجزائر وانقاذها من الحال التي تردت فيها ، فانـنـا من قبيل التلميح حتى لايكون بحثنا ناقصاً ، وسنفرد لجهاد الأسرة القادرية في سبيل القطر الجزائري كتاباً خاصاً انشاء الله ...

وقد كان الأمير سعيد ولا يزال متصلا بزعماء الحركة العـاملة في الجزائر ، يخبرونه بأعمالهم ويؤيدهم بنشاطه ، وإذا قرأنا الاحتجاج التالي الذي رفعه بعض كبار المغاربة في فلسطين إلى مندوب الحكومة البريطانية ليرفعه إلى جمعية الأمم أدركنا اتصالهم بالأمير وتأييدهم له ، وعلمنا أن المغاربة سواء في سورياأوفلسطين أو مصر أو الشمال الافريقي يلتفون حولهويأتمرون بأمره ، وهذا الاحتجاج نشرته جريدة الجامعة الاسلامية في عددها ١ تموز ١٩٣٤ وهو :

سمو الأمير سعيد الجزائري

والاحتجاج على أعمال فرنسا في المغرب

« تلقينا في البريد العريضة الآتية :

صاحب الفخامة مندوب الحكومة البريطـانية في فلسطين الأفخم وبواسطته يرفع إلى جمعية الأمم .

ياصاحب الفخامة !

تأييداً لاحتجاج سمو الأمير سعيد الجزائري حفيد بطل افريقيا الأمير عبد القادر نحن آل عون الله المنتسبين إلى سيدي عبد السلام الأسمر ووجوه الناصرة نحتج بكل مالدينا من قوة على الأعمال الجبرية والضغط على الحريات وعلى الدين من حكومة فرنسا في الجزائر ، مستنكرين هذا الارهاق الذي لاتجيزه الشرائع وأن أمة افريقيا الشمالية التي اشتركت في الحرب العامة بين صفوف الحلفاء والتي ضحت مائتي الف مقاتل من أعز أبنائها في سبيل الدفاع عن فرنسا وبلجيكا بواقعة

(شارلو) و (ميلهيوز) فضلاً عن إرهاقها فهي جديرة بأن تنال حقوقها التي قطع بها عهود ووعود . وأن منع التدريس في المساجد وإغلاق المدارس أمر لا يشين بسمعة فرنسا فقط بل هو يشمل الأمم العربية جمعاء . بينما فرنسا تدعي انها مدنة العالم إذ بهذا التجاوز على حقوق المسلمين في امور دينهم يذكرنا بعهد « الانكيزاسيون » ، ويسلب ثقة المسلمين الذين لاينامون على ضيم مستصرخين الانسانية والعدالة برفع هذا الحيف خشية السخط الالهي الذي يمهل ولا يهمل وفي الختام وانتظاراً لما يطمئن قلوبنا الوجيعة نرجوكم قبول أسمى الاحترام .

محمد عبد الخالق ، مختار الاسلام ، موسى محمد العود ، سعيد العلي ، فضل الفاهوم ، نادي الشبيبة الاسلامية ، عثمان عون الله ، سعيد منصور ، طاهر فاهوم.

كما ذكرت نفس الجريدة في عدد ٤ تموز ١٩٣٤ مقالا للأمير سعيد عن « الأمير عبد القادر والزمالة وفرنسا » بمناسبة وسائل الضغط والارهاب التي اتبعتها فرنسا في ذلك العام في مراكش ، مقارناً ذلك الحال بحال استيلاء الافرنسيين على الزمالة ، وهي عاصمة الامير عبد القادر المتنقلة أثناء جهاده المقدس ضد فرنسا ، مشدداً عزائم المغاربة بأن لا يهنوا ولا يتراجعوا أمام الضغط الأجنبي ، وهذه المقالة هي :

الا تغضبون ايها المسلمون ؟!!...

الأمير عبد القادر والزمالة وفرنسا

بقلم سمو الأمير محمد سعيد الجزائري

ذكرت جريدتكم الغراء « لسان حال الأمة الاسلامية » لمكاتب لها بمراكش بعض وسائل التدمير التي تستعملها القوة المسيطرة في تلك البلاد ومن جملة هذه الوسائل المحرمة في كل الشرائع حرق المجاهدين ، وأن هذه السلطات فعلت مثل هذا في حروبها السالفة ، ولما كان لهذه الحادثة علاقة تاريخية بحرب مولانا الأمير

عبد القادر وهذه الحادثة التي أشار اليها دون شرح مكاتبكم فقد رأيت من الفائدة التاريخية واستلفات لنظر العالم الاسلامي إلى مايجري في بلاد المغرب من فظائع وإيهام المسلمين بأنهم إذا لم يغضبوا غضبة مضرية لدينهم فسوف يحل بهم بلاءأدهى وأمر ، وقد بدأت طلائع هذه الأعمال تبدو جلية بالقطر السوري الذي اصبحت أوقافه يتصرف بها المستعمر كيفما شاء ، وأما حادثة حرق بني البشر فقد حدث هذا في القرن التاسع عشر بينما كان الحرب قائمة بين الأمير عبدالقادر وبين فرنسا وما كانت هذه الحادثة الشائنة التي صورها (المسيو فيرنه) الرسام الشهير وهي موضوعة لأنظار الناس في أعظم قصر في فرنسا يضم بين جوانبه صور حروب أفريقيا الشمالية وآثار ملوك فرنسا من (لويس الرابع عشر) إلى نابليون الثالث ومن جملة هذه الآثار أخذ زمالة الأمير التي تفاخر بها فرنسا هذه القطعة التاريخية وهي أطول وأعظم صورة تمثل الهمجية ولو كان الحرب بين جيشين منظمين لهان الأمر ولكن الذين كانوا عرضة لهذا التمثيل الهمجي هم شيوخ ونساء وأطفال ينتقلون في الحرب الجزائري بمدينة نقالة سماها مولانا الأمير (الزمالة) وهي عبارة عن خيام متناسقة تنقل نساء المجاهدين وتكون بمكان بعيد عن أخطار الحروب وحينما تحل بمكان تنصب الخيام بشكل عجيب لايحسب الداخل اليها نفسه إلا بمدينة تحتوي على أسواق ومخازن وغير ذلك فهناك سوق الحدادين وهنا سوق النجارين وهلم جرا وبينما كانت الحرب قائمة بشدة وعجز الافرنسيون عن مكافحة جيش الجزائر الملتهب حماساً وشجاعة وتضحية في سبيل الذود عن أوطانه عمد بغفلة من هذا الجيش بينما كان الأمير بعيداً عنه بمسافة أيام إلى مهاجمة الزمالة وبعد قتال عنيف قام به الشيوخ والصبيان والنساء كان النصر طبعاً حليف الافرنسيين وبمعجزة تمكن بعض الشيوخ من تهريب أكبر أبناء الأمير عبد القادر (الأمير محمد) والأمير محي الدين ولجأ من بقي حياً من النساء والشيوخ والاطفال الى مغارة اتخذوها حصناً لهم ولما أعيت الحيلة أبطال الجيش الافرنسي عمدوا الى حرق

هؤلاء اللاجئين ، وهكذا تمت هذه المأساة التي ذكرها المؤرخون بكل اشمئزاز وما كاد يبلغ هذا الخبر مسامع ذلك المجاهد العظيم حتى أسرع إلى أخذ الثأر ممن تجرأ على الدخول الى عرين الأسد وقد أخذت الرسل حيرة ووجوا من أخبار الأمير بهذه الفاجعة التي تدمي القلوب لان القضاء على (الزمالة) هو قضاء على كل أمل في المجاهدين وبعد المداولة في الأمر تقدم أحدهم وقال لابد من اخبار قائدنا مهما كلف الأمر فهو جدير بمداواة هذه الجروح وكان الأمير عندما جاءه الرسول ، وأعصابه أخذت تهتز من هول مايحمل وما يحدث ، متكئاً على وسادة فتفرس الأمير بوجه الرسول فعلم انه يحمل اليه أخباراً مفجعة ولكنه تجلد ولم يظهر منه أقل اضطراب حتى انه بقي متكئاً وهو يسمع حديث الرسول عن تلك المأساة كما وقعت فالتفت يميناً ويساراً متفرساً بوجوه القواد فرأى ان معنوياتهم تكاد تتلاشى من شدة الألم على ماأصاب أفلاذ اكبادهم ونسائهم فنهض الأمير نهضة الأسد الغضنفر وخطب في الناس مؤاسياً ومشجعاً فقال :

« أبنائي إن المصائب لاتحل إلا بمن هو قدير على حمل أعبائها ، والمؤمن هو الذي يبيع نفسه وماله وولده في سبيل الله ولا ريب ان ماحل بكم هو ناشئ عن إهمال أو تراخ في الواجبات فكان أحدكم حينما يذهب الى الحرب يفكر بولده وامرأته ؛ والآن مابقي امامكم الا الموت في سبيل الانتقام لشرفكم ولأولادكم واوطانكم ، فانزعوا من قلوبكم حب الدنيا وقاتلوا العدو قتال المستبسل المستفرس يعود اليكم المجد ويعود اليكم كل شئ . وما كاد الأمير يفوه بهذه الكلمات الصادرة عن قلب ملؤه الايمان والاخلاص حتى هب الجيش بأجمعه وقد تضاعفت معنوياته واشتد حماسة ولم يمض اسبوع واحد حتى رجعت الزمالة إلى احسن ما كانت عليه ورجع الجيش يحمل من الغنائم والعتاد الحربي مازاد في قوته ورهبته .» ويجدر بنا هنا ان نذكر قصة تاريخية سبقت الثورة وكان من جرائها ضياع الجزائر في عهد (حسين باشا داي) وكان عهده عهد (القرصنة) اي الغزو البحري وكانت الجزائر

تتقاضى غرامة سنوية من جميع الدول التي تمخر مراكبها في البحر المتوسط وهذا مايدل على قوة تلك الدولة في القرن التاسع عشر وقد شاء القدر ان يغضب هذا الحاكم (حسين باشا) التركي على فرنسا ويضرب قنصلها « بالمنشة » حين محادثة جرت بأمر تقصير فرنسا بدفع ماعليها وبعد محاولة يطول شرحها هنا ارادت فرنسا خلالها اصلاح الحال بواسطة محمد علي باشا خديوي مصر . هاجمت الجزائر بقصد دفع الاهانة وبينما كان الجيش المحتل يستولي على القلاع كان الباشا منزويا في قصره لايدري مايجري ولا أحد يتجرأ على إخباره بما وقع وحينما اراد الناس اخبار الباشا بما جرى كان رجال معيته يقولون (ماأهمية هؤلاء الافرنج إذا خرج عليهم الباشا الان فانهم يولون الادبار) وما مضى على ذلك وقت يسير إلا وقد احاط الجند بالقصر واخذ الباشا اسيراً وهكذا بدأ الاحتلال الافرنسي الذي اثار ذلك الحرب العظيم حرب عبد القادر مع فرنسا . » أ-هـ

وعندما تجددت آمال البلاد المغلوبة على امرها خلال الحرب العالمية الثانية ، بما وعدها به الحلفاء من فك قيودها ، والغاء انتدابها ، وتحريرها من كل حكم اجنبي اذا هي ساهمت بالمجهود الحربي للحلفاء للانتصار على قوى المحور ، وعندما سرت في الشعوب الضعيفة موجة من الأمل وروح من العمل من جديد لنيل الاستقلال اخذ الأمير سعيد ، واخذ زعماء الجزائر يعملون معاً في تحقيق حلم كل مواطن حر ، فعقد اجتماعات عديدة في داره بدمشق وسافر الى مصر وغيرها من البلاد العربية واسس جمعية مهاجري افريقيا وبعث بالنداءات ، وجهز فرقة مغربية للعمل في فلسطين حتى اذا انتهت هذه الفرقة من واجب الجهاد في فلسطين سارت الى افريقيا الشمالية ، وقامت بقسطها من الجهاد هناك ، ومن الأخبار القليلة التي ذكرتها الصحف خلال وعقب الحرب العالمية الثانية نكوّن فكرة عن مساعي الأمير ، فقد جاء في جريدة آخر دقيقة الدمشقية بعددها ١٣ وتاريخ ٤ تشرين الاول ٩٤٦ الموافق ٩ ذي القعدة ١٣٥٦ حديث مع الأمير سعيد ، مزدان بصورة للأمير

بلباسه المغربي ، بمناسبة دعوة الجزائريين للأمير لتولي عرش جده في الجزائر ، وقدمت الجريدة الحديث بقولها :

« فنجان قهوة مع :

الامير سعيد الجزائري

اطلعنا على كتاب ورد من الجزائر ، جاء فيه :

« ... ان الحماس الوطني في الجزائر بلغ أقصى حدوده .

وفي نطاق هذا الحماس ؛ يعود الشعب الجزائري بذاكرته ، الى جهاد المغفور له الأمير عبد القادر ، وتضحياته ، ويفكر في أبنائه وأحفاده .

وقد قررت اللجان الجزائرية ، اقامة ضريح تذكاري للأمير عبد القادر وجمع حتى الآن مايزيد عن الاربعة ملايين فرنك في هذا السبيل .

وقد أعلن الشعب الجزائري - الممثل بلجانه - دعوة سمو الأمير سعيد الجزائري حفيد عبد القادر الكبير الى الجزائر لتولي عرش جده ، وأرسلت اليه كتاباً تناشده فيه قبول هذا العرش » .

وقد رأيت بهذه المناسبة أن أستوضح من سمو الأمير ، عن الموقف فسألته :

- بلغنا ان الشعب الجزائري يلح عليكم بالسفر الى الجزائر ، لتسنم عرش الآباء والأجداد ... وهنا أجاب :

- ان الشعب الجزائري ، رغم الاحتلال الذي يسود بلاده منذ نيف ومئة سنة مابرح محتفظاً بعاداته ، وتقاليده ، وهو يقدر جهاد الأمير الكبير عبد القادر ، ويشعر بقوة انه كان « جهاداً في سبيل المحافظة على وطن له قيمته وأهليته في نشر المدنية في افريقيا الشمالية .

وقد شهد التاريخ بأن جهاد الأمير الكبير كان جهاداً نبيلاً ، وأن بطله قد

برهن على ايمان وعقيدة ، وصبر وشجاعة يذكره لها خصومه القدماء بكثير من الاعجاب .

ولهذا ليس من الغريب في شيء ان يضع الشعب الجزائري ثقته بالابناء والاحفاد الذين ساروا سيرته في الجهاد والتضحية .

ـ لقد سمعنا انكم طلبتم من السفير الفرنسي منحكم الاذن بالسفر ، وانكم أبديتم رأيكم في ضرورة تبديل السياسة المتبعة في الجزائر لصالح الشعب الجزائري ولمستقبل فرانسة ، فهل تظنون ان فرانسة لاتسمح لكم بالسفر !

ـ اعتقد انها لن تعارض في ذلك . وخاصة وانها منحت الاذن لاحد أبناء عمي .

ثم يجب ألا ننسى بأن ارادة الشعب يجب ان تحترم ، وان هذا الشعب بذل من التضحية والبطولة خلال الحربين مايثير الاعجاب والتقدير .

واعتقد ان الاحسان لايمكن ان يقابل بالاساءة .

ـ متى قررتم السفر ، وعن أي طريق ؟

ـ ان الجزائر مابرحت تحت الوصاية وليس في وسع أحد دخول البلاد دون موافقة فرانسة .

ويبدو لي من الكتاب الذي تلقيته من ابن عمي الاميرسهل ، الذي زار الجزائر اخيراً ، بان الحكومة الفرنسية بدأت تشعر بضرورة منح الشعب الجزائري حقوقه ! وتحقيق رغائبه ، وخاصة بعد ان ساد العالم كله ـ بعد الحرب ـ شعور جديد نحو الاستقلال والحرية .

وقد قابلت السفير الفرنسي ، وطلبت اليه ان يسمح لي بالسفر ! لازور أجدادي و « امرغ جبيني في تراب السلف الطاهر » واظنه لن يرفض . بعد أن لاح لي أن فرانسة بدأت تميل الى احداث انقلاب كبير في سياستها في الجزائر . » اـه

كما نشرت جريدة المصور المصرية صورة للأمير سعيد بلباسه المغربي عرفتها الى قرائها تحت عنوان : «ملك عربي جديد» بقولها :

«سمو الأمير سعيد الجزائري الذي روت الانباء انه يعد نفسه للسفر الى الجزائر ليكون ملكاً عليها ، ومما يذكر عن سموه أنه حفيد الأمير عبد القادر زعيم الجزائر المعروف ، ويقال ان المفاوضات تدور بينه وبين فرنسا لكي تصبح الجزائر الفرنسية ملكية يتولى سموه عرشها .» أ.هـ

وقد جاء في جريدة البلاغ البيروتية في عددها ٦٧٧٣ بتاريخ ١٣ تشرين اول ١٩٤٥ و ٧ ذي الحجة ١٣٦١ الخبر التالي بعنوان : « الأمير محمد سعيد يعمل لتحرير الشمال الافريقي »

« جاءنا من دمشق ان حضرة صاحب السمو الأمير محمد سعيد الجزائري يعتزم دعوة الجالية الافريقية الى اجتماع يعقد في داره اليوم لبحث التدابير الواجب اتخاذها لتحرير الشمال الافريقي العربي من النير الأجنبي .

وقد طير سموه برقية الى جمعية الاخوان المسلمين بالقاهرة قال فيها : ان العالم الاسلامي الذي ساهم في كسب الحرب الى جانب الحلفاء ينتظر انصافه بتنفيذ العهود المقطوعة وان اختلاف هذه العهود تجعله يندفع متضامناً المطالبة بحقه المقدس غير هياب ولا وجل . وختم برقيته بشكر الاخوان المسلمين على قرارهم بشأن افريقيا الشمالية .

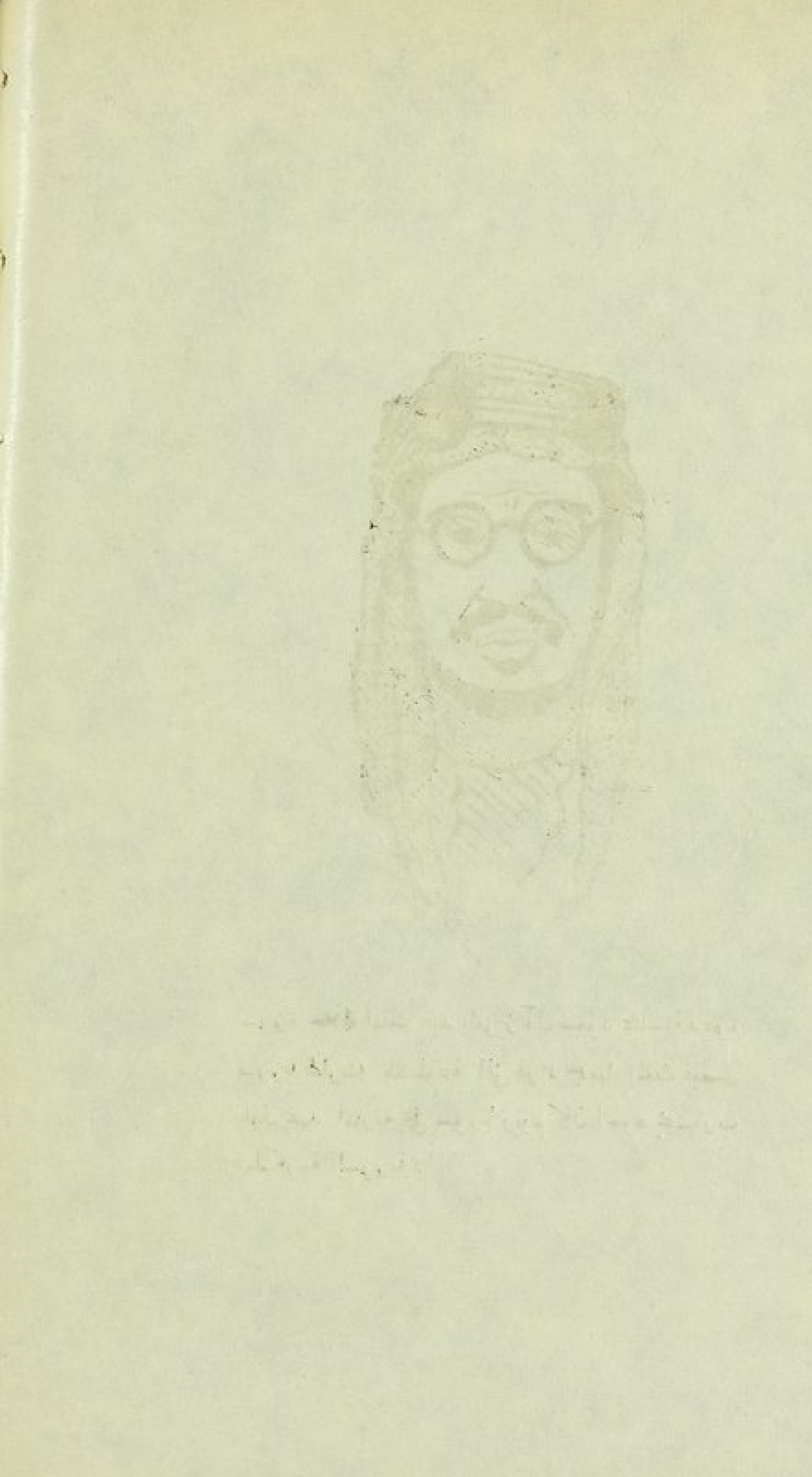
وهكذا نرى ان صديقنا سمو الأمير محمد سعيد الجزائري يعود الى سابق جهاده في سبيل الاوطان العربية حقق الله آماله . » أ.هـ

وجاء في جريدة اليوم البيروتية في عددها ١٣٦٦ بتاريخ ١٩ آذار ١٩٤٧ الموافق ٢٤ ربيع الثاني ١٣٦٦ حديث لمراسل الجريدة في دمشق نقتطف منه مايلي :

« وقد قال سموه عندما سألته عن قضية افريقيا الشمالية : لاجهود ولا مصائب



صورة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بمناسبة دعوة سوريا لمحاربته بالمتطوعة التي اراد جمعها الملك فيصل باول عهد امارته على سوريا ويوم كان اخوه يحارب الحكومة السورية .



ولا نكبات ، ان هذا بعض واجباتنا واننا نسأل المولى عز وجل ان يبقينا كي نوفي الوطن حقه ، وأعمالنا نحوه حتى الآن لاتذكر ، ان قضية الشمال الافريقي حيوية ولها من الاهمية المكان الاعظم فهي قضية الجسر الموصل لقلب الوطن العربي ومفتاح الامبراطورية العربية الخالدة ، هي قضية تحتاج لتكريس الجهود العظيمة والعمل المتواصل لانها حياة خمسة وعشرين مليونا من العرب ، عنصرهم عنصر العرب وافئدتهم ودمهم وقوميتهم ، من العرب وللعرب ، ان تلك الجماعة العربية دوخت العالم واثارت ظلمات جهل الاوربيين بحضارتهم وثقافتهم فحري ان يأخذوا مكانهم بين الامم الحرة المستقلة . ان قضيتهم جزء من قضية العرب ، ولا أمن ولا إسلام اذا لم ينل العرب حريتهم كاملة غير منقوصة .

ورداً على سؤال عن منصب كبير طلب ان يتولاه في الجزائر قال : المهم ان يقوم الفرد منا بواجبه نحو بلاده في أي مكان وفي أي وضع وجد .

وعندما سألته عن موقف الجزائريين من السياسة الفرنسية قال لي : كنا نسمي فرنسا (فرنسا الحرة) لانها ثارت من أجل الحرية يوم حطمت الباستيل ، لكنها اليوم اصبحت ضحية الرأسمالية اليهودية المستعمرة ! وقد تمادى بعض أبنائها بالدور الحاضر حتى جرفهم تيار حب السيطرة واستعباد الشعوب واستعمار الامم وابوا الا ان يذيقوا أبناء الامم الوان العذاب وأنواع الظلم. ورداً على سؤال عن المؤتمر الشعبي قال : نعم الفكرة ونعم العمل المشكور ، اذ لاخير بجامعة عربية حكومية بلا جامعة عربية شعبية ، فانها ضرورية جداً لتوحيد قوى الشعب وتوحيد كلمته ليقف كالبنيان المرصوص في وجه تيارات الاستعمار وألاعيبه ، وانا أشكر القائمين على أمره لسعيهم هذا رغم اغفال دعوتي لحضور هذا المؤتمر ، فليوفقنا الله جميعاً لما فيه خلاص الامة العربية ونوال حريتها واستقلالها . » أ.هـ

وكان الأمير سعيد في الشهر الذي سبق ذلك نشر بياناً مسهباً حول جنسية المغاربة في سوريا وعدم تنازل الأمير عبد القادر عن أملاكه ، نشرته جريدة

القبس الدمشقية في عددها ۳۳۱۸ بتاريخ ٥ شباط ١٩٤٧ الموافق ١٤ ربيع الاول ١٣٦٦ وهو :

« علقنا في أحد أعداد « القبس » الماضية على وضع الجزائريين المغاربة في سورية من حيث عدم شمولهم بالجنسية السورية رغم وجودهم في هذه البلاد وولادتهم فيها وتعلقهم بقضيتها ، كما أشرنا الى قضية سمو الأمير سعيد الجزائري وقطع الراتب من قبل الافرنسيين في سورية عنه وقلنا ان هذا الراتب لم يكن منحة من فرانسا بل كان مقابل املاك عبد القادر الكبير الذي تنازل عنها للامبراطورية الافرنسية بعد ثورته المشهورة .

وقد جاءنا من سمو الأمير سعيد تعقيب لما نشر في هذا الموضوع جاء فيه : ان الأمير عبد القادر الكبير لم يتنازل عن أملاكه لفرنسا حين اضطرته الخيانة والحيلة لوقف قتاله بشروط وضعت بينه وبين القائد الافرنسي المارشال لاموريسير ، بل تم الاتفاق على المحافظة على حقوق البلاد ومقدساتها وعلى ارجاع جميع ما سلب منه؟ بعد التسليم مع المحافظة على أملاكه في بلاده ، ولكن فرنسا نكثت بعهودها فبدلا من ان تطلق حريته وتسير به مراكبها الحربية الى الشرق ، نقلته الى بوتم ثم الى امبواز فاعتكف فيها مع رجاله الذين يربو عددهم على الثمانين شخصاً من أهله وبني عمه واخوانه وعشيرته ولما عاد نابليون الثالث إلى الحكم رأى أنه من أهم واجباته ان يزور الأمير الكبير في قصر امبواز ، ويعيد اليه حريته المتعاهد عليها كما رأي أن يدعوه من قبيل المجاملة الى باريز لحضور حفلة تتويجه ، حيث كان الشعب الافرنسي يهتف للامبراطور وللأمير عبد القادر معاً ، وقد حاولت الحكومة الافرنسية يومئذ أن تعطيه أملاكا شاسعة في ضواحي باريز بدلا من أملاكه في الجزائر فأبت عليه شهامته هذه المساومة بعد جهاد بيض وجه التاريخ زهاء سبعة عشر عاما ولما أصر الأمير على الهجرة بعد أن رفض التعويض على أملاكه قامت ضجة كبرى في مجلس النواب الافرنسي بشأن معاملة الأمير وحجز أملاكه بصورة غير مشروعة

فتقرر حينئذ إعطاؤه سنوياً خمسة عشر ألف ليرة افرنسية ذهباً تعويضاً عن تلك الأملاك وبقي ذلك التعويض إرثاً شرعياً مستحق الأداء من قبل الحكومة الافرنسية لورثة الأمير من بعده، ولكن بعد تخفيضه تخفيضاً معيباً.

واذا كانت اسرة الأمير عبد القادر تقبل هذا التعويض الضئيل فانما تقبله رمزاً لحقوق مغتصبة للأسرة ولكن السلطات العسكرية في سورية كانت تضرب بالشرائع والاتفاقات عرض الحائط.

وأما فيما يتعلق بالمغاربة وتجندهم في سورية فالأمر فيهم ينقسم إلى قسمين: أولا المغاربة الذين هاجروا مع الأمير عبد القادر الكبير ومنحوا أملاكا من قبل الدولة العثمانية، فقد ظلوا مع امرائهم مخلصين للوطن الذي عاشوا فيه كل الاخلاص؛ كما جاهدوا في سبيله في الثورة السورية حيث سقط منهم عدد من الشهداء وعلى رأسهم المرحوم الامير عز الدين، كما جاهد فريق كبير منهم في ثورة فلسطين العربية. ثانياً: المغاربة الذين جاءوا وراء فرنسة المستعمرة وهم الذين كانت تجندهم ومع ذلك فقد التحق كثير من هؤلاء بالحكومة السورية وادّوا لها اجل الخدمات. فبعد ثبوت هذه الحقائق أصبح على الحكومة واجب مقابلة الاحسان بمثله، والدفاع عن حقوقهم ومعاملتهم معاملة أهل البلاد المخلصين لها ولقضيتها.» أ.هـ

وبعد تأسيس الجامعة العربية ووضع منهاجها سافر الأمير سعيد الى مصر، وادلى بحديث الى مندوب المصور المصرية نشر في العدد ١١٥٧ تطرق فيه الى آرائه في دستور الجامعة العربية وعمله في سبيل افريقيا، وتأييده لقضية مصر بالمطالبة بالاستقلال التام، وهذا الحديث مع مقدمة جريدة المصور هو:

«قابل مندوب «المصور» الأمير سعيد الجزائري الذي قدم إلى مصر منذ أيام وتحادث معه في بعض الشؤون التي تهم العرب وفيما يلي بعض ما أفضى به اليه سموه:

إن في دستور الجامعة نقصاً خطيراً يهدد كيان الدول العربية المجاهدة في سبيل التحرر من نير الاستعباد الأجنبي. إذ لا يحق لأية دولة عربية التمتع بعضوية

الجامعة العربية ما لم تكن مستقلة إستقلالا تاما. فلماذا هذا القيد الخطير ولماذا تؤكد الجامعة إحتلال الدول الغربية للشعوب العربية ؟! وإني لأرجو أن تعيد الجامعة العربية النظر في هذا القيد حتى نتمكن من عرض قضايا الدول المستعبدة عليها ونطلب معونتها.

ولقد جئت الى مصر لكي أسعى لتوحيد الجهاد في غرب افريقيا – تونس والجزائر ومراكش – مادام الهدف واحداً وهو التحرر من نير الغاصب الذي استمرأ تفريق الشمل عملا بمبدأ « فرق تسد » الذي مازال مع الأسف الشديد يجد مرتعاً خصيباً بين الدول العربية... وقد وفقت ولله الحمد في توحيد جهود هذه البلاد وسنسعى لدى الجامعة العربية وجامعة الامم المتحدة لعرض قضايانا العادلة عليها.

وإني لعلى يقين من أن في قدرة مصر وعلى رأسها مليكها المعظم حل قضية الجزائر بما يحقق لها استقلالها ويقف سيل الطغيان الفرنسي.. كما أن تحت إمرتي الآن عشرين الف مجاهد مغربي في الشام أستطيع أن أؤكد أن أرواحهم – علاوة عن روحي – فداء لمصر وملك مصر، ونحن في انتظار إشارة واحدة من مصر لنهب مدافعين عن استقلالها وكرامتها – اذا اقتضى الامر – ولا يخفى ان الجندي الجزائري قد شهد له الأصدقاء والأعداء بالبسالة والفداء.» أ.هـ

وعندما عقد مؤتمر اندونوسية لبحث قضية استقلال اندونوسية عن هولندا دعا الأمير سعيد لعقد مؤتمر افريقيا على غراره، بعد ان اسمى فرقة مجاهدة باسم (فرقة الأمير عبد القادر الجزائري) وقد نشرت الدعوة اكثر الصحف العربية وهي :

من فرقة الأمير

« نتيجة للظلم والارهاق والضغط على الحريات انبثق فجر يشع على العالم ضياء لايخبو مادامت روح الامم المرهقة بالعبودية أخذت تدب بها الحياة، ومن حق

الامم الافريقية التي عرفت بشدة البأس وكان لمساهمتها مع الامم الديموقراطية (رغم انها مستعبدة) أعظم الاثر باحراز النصر ، ومن الطبيعي بعد ان تنادي المؤتمر الاسيوي وعزم على الدفاع عن حرية اندونوسيا ان يعقد امم افريقيا عامة مؤتمراً يسعى وراء تحرير شعوب تكاد تندثر وتهدم بسبب ضغط الاستعمار وهو لطخة عار في جبين الانسانية ، وان امة مابرحت تدافع عن حريانها بأعظم شجاعة وتضحية لجديرة بأن تنفض عنها استعماراً حطها من عل إلى اسفل رغم انها نقلت الحضارة والمدنية من الشرق الى الغرب وأن آثارها الخالدة في الاندلس لأعظم شاهد عليها نقول فالى مؤتمر افريقيا ايها المجاهدون الاحرار .

دمشق محمد سعيد حفيد الامير عبد القادر » أ ـ هـ

وكتبت جريدة المنار الجديد في العدد ٨٣ تعليقاً على جريدة «ساموديسوار» الافرنسية ، بعد ان ذكرت قول الجريدة بما يتعلق بحال شمال افريقيا ، ودعت الى تسليم البلاد لاصحابها الشرعيين وهم أسرة الامير عبد القادر والتعليق بعنوان : حرية الجزائر ومراكش ـ أما آن لفرنسا ان تستعيد رشدها وتسلم السلطة بالبلاد لحفيد عبد القادر البطل الامير سعيد والتعليق هو :

« كتبت جريدة ساموي سوار تقول ان خطورة الحالة في افريقيا الشمالية تقلق بال الاوساط الرسمية في فرنسا ، وذلك بسبب أمرين هما :

١ ـ قرار هيئة الامم المتعلق بالمستعمرات الايطالية السابقة .

٢ ـ قرار بمراقبة تقدم البلاد المستعمرة (بفتح الميم) ، وبعض الاعمال التي تقوم بها بريطانيا وأمريكا في هذه المنطقة .

وقد كان هذا القلق سبباً في ان يدعو رئيس الجمهورية الفرنسية الى عقد مؤتمر حزبي لدراسة الحالة في شمالي افريقيا خلال شهر كانون الثاني .

وذكرت الجريدة ان الاجتماعات التمهيدية التي عقدت بين جورج بيدو ، وروبير شومان ، اظهرت مدى مايشعر به البرلمان من قلق على مصير شمال افريقيا اذ قرر

دعوة وزير الخارجية ليطلب من هيئة الامم المتحدة اعادة النظر في درس قضية « فزان » ولكن روبير شومان اكد المجلس ان « فزان » لم يفقد بعد ولكن هذا التأكيد قد جاء متأخراً فقد قررت هيئة الامم توحيد ليبيا بأجزائها الثلاثة برقة وطرابلس وفزان .

ولقد طلب بعض المراقبين من المسيو شومان ان يسند سلطة احمد سيف النصر سلطان برجه في مقاطعة صبحا ، ويكرروا طلبهم هذا بما منحته بريطانيا من المساعدة الى الامير السنوسي .

وتابعت الجريدة كلامها قائلة : انه رغم تحسن الموقف في تونس والجزائر ، فان الساسة البريطانيين والامريكيين لايكفون عن مساعدة الحركات الوطنية المناهضة لفرنسا تحت ستار مكافحة الشيوعية وذكرت ان الرئيس روزفلت كان قد وعد سكان مراكش باعطائهم استقلالهم ، وما قول الامير عبد الكريم المراكشي ان على بريطانيا وامريكا الضغط على فرنسا لاعطاء مراكش استقلالها غير نتاج هذا الدس الانجليزي الامريكي .

الا يجدر بفرنسا ان تكف عن سياسة الارهاب ، وتتفاهم مع شعوب افريقيا وتعيد الحرية للجزائر ومراكش وتسلم البلاد لاصحابها الشرعيين من اسرة الامير عبد القادر الجزائري الذي ناضل اعواماً طويلة في سبيل حرية هذه البلاد العربية التي مازالت حتى اليوم تقدس اسمه » أ.هـ

ولم يكن طلب جريدة المنار الدمشقية هو صورة عن رغبة المغاربة المقيمين في سوريا فحسب ، بل هو صدى لرغبة المغاربة المقيمين في شمالي افريقيا ، يؤيد ذلك ماجاء في جريدة المقطم المصرية بعددها ١٨٨٧٠ وتاريخ ٥ ديسمبر ونقلته جريدة الكفاح الجديد الدمشقية بعدد ٣٠ ـ ٢٤٢١ تاريخ ١٣ كانون اول ١٩٤٦ وذلك بعنوان : الجزائريون يحتفلون بذكرى مرور مائة عام على هجرة الامير عبد القادر ويلحون بعودة الامير سعيد لوطنه الاصلي ، والمقال هو :

« اطلعت أمس على رسالة من الجزائر إلى أحد رجالات العرب في القاهرة يتضمن وصفاً شاملا للاحتفال الكبير الذي أقامه الجزائريون في عاصمة بلادهم بمناسبة مرور مائة عام على هجرة الامير عبد القادر الجزائري الكبير الذي حارب الاستعمار الفرنسي سحابة ١٧ عاما وقد اشترك في هذا الاحتفال الحاكم الافرنسي العام للجزائر وخطب منوها بوجولة الأمير عبد القادر وبطولته . وتقدم الجزائريون المحتفلون بهذه الذكرى وهم كثر الى الحاكم العام بطلبات ملحة بوجوب اعادة افراد اسرته الى بلادهم ورد ممتلكاتهم وحقوقهم الشخصية والسياسية اليهم ومن ثم نقل رفات الامير المدفون الى جانب ضريح الشيخ محي الدين العربي المعروف فوعد بالنظر في هذه الطلبات بما تستحق من عناية واهتمام .

ويبدو ان الحكومة الفرنسية بعد الخطوة الاولى التي خطتها في السماح للامير علي باشا الجزائري نجل الامير عبد القادر ووالد سمو الامير سعيد اذ رشحه قومه الملك فسمحت له بزيارة باريس ومنها الى الجزائر لزيارة قبور آبائه واجداده في سنة ١٩١٢ وبعد ما ادركت ان قتال هذا الزعيم الجزائري لم يكن قتالا صليبيا بدليل موقفه المشرف في حماية المسيحيين أثناء ثوره سنة ١٨٦٠ في دمشق بل كان قتالا قوميا وطنيا .

وبعد ما اشترك حاكمها العام في هذا الاحتفال الاخير اشتراكا لائقا جميلا بعد هذا لابد وان تكون الحكومة الفرنسية رأت ان الاوان قد آن وخصوصاً بعد ان اعلنت هيئة الامم المتحدة استقلال ليبيا في عام ١٩٥٢ ضرورة تعديل سياستها في الجزائر لتحقيق مطالب الجزائريين في الحرية والاستقلال الذين يضمنان لفرنسا في شمال افريقيا حليفا قويا مخلصا وفيا تعتمد عليه في الشدة والرخاء والسلم والحرب.

هذا ماقاله المقطم ولا يخفى انه في سنة ١٩١٦ اجتمع المجلس الوطني الجزائري وقرر مطالبة الحكومة بتخصيص ستة ملايين فرنكا لصرفها على ترميم قصور الامير عبد القادر في ام عسكر وكان الاحتفال عظيما بوضع الحجر الاساسي في

ذلك البناء المظيم واجمع اذ ذاك جميع ذوي الحل والعقد من رؤساء واشراف وعلماء وأرباب الزوايا والتجار على كتابة رسالة للامير سعيد الجزائري يطلبون فيها قدومه الى وطن آبائه واجداده لتسنم عرش الجزائر ومن جملة ماجاء في رسالة ابن عمه الامير سهيل الذي حضر ذلك الاحتفال :

إن اسمك ياحضرة صاحب السمو سيدي ابن العم ملأ الاسماع والافواه والكل يلهج بدفاعك المجيد عن وطنك العزيز الذي رفعك بأعين الناس هنا وفي البلاد الاسلامية الى قمة السماء فلا تخيب آمالنا ، والشعب الجزائري يكن لك أعظم مودة واخلاص ومستعد بان يمدك بالمال انت وحاشيتك ويرفعوك الى عرش الآباء والجدود »

هذا بعض ماجاء بكتاب الامير سهيل المقيم اليوم في الدار البيضاء وهو ابن عم الامير المومى اليه . » أ ـ هـ

ونختم حديثنا عن جمعيتين حديثتين أسسها الامير سعيد للعمل في سبيل رفع شأن شمال افريقيا ، إحداهما : « جمعية مجاهدي افريقيا » وهي التي ذكرنا شيئاً عنها وعن ذهاب فرقة الامير عبد القادر منها الى فلسطين للعمل في بطاحها وقتال الصهاينة ، ونضيف هنا نداءها الذي وجهته الى العالم الاسلامي للعمل في سبيل فلسطين ، وان كان الحديث عن غير فلسطين ، ولكنه حديث عن الامير سعيد وروحه المخلصة التي تجيش بين جنبيه وهذا النداء نشرته الصحف العربية ومنها جريدة المنار الجديد في عدد ٣٥٣ تاريخ ٣ ربيع الاول ١٣٦٧ و ١٤ كانون الثاني ١٩٤٨ وهو :

« ياأحفاد عبد القادر ، وياأبناء المختار ، ويارفاق عز الدين ، وياحماة المغرب ، وياأبناء يعرب وقحطان .

اذكروا قول محمد ، عن رب محمد ، الذي قال في كتابه الكريم : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة » وتدبروا الآي المبين « وكان حقاً علينا

نصر المؤمنين ، فالله وعدكم النصر ووعدتموه الصبر فانجزوا له وعدكم ينجز لكم عهده .

ممنم ولا (شك) بالجرائم الدنيئة التي يقوم بها الصهيونيون ، تلك الجرائم التي يتندى لها خجلا جبين الانسانية وتشمئز منها الشعوب الشريفة ، منذ الخليقة ... فاين هذه الاعمال الدنيئة ، الغادرة البذيئة التي يقوم بها اليهود ، من الاعمال الشريفة التي يقوم بها العرب البهاليل ، حتى في ساحات القتال ، أين هذه السيارات المملوءة بالمتفجرات ، تدك بها الابنية ، فتذهب بأرواح المئات من النفوس العربية البريئة ، صادرة عن أيد أثيمة ، أيدي اليهود الذين يلقون تلك القنابل على الجماعات العربية الآمنة في الشوارع والدور والمحال العامة . ذلك لانهم لايجرأون على مقابلة العرب الاشاوس وجها لوجه فياويلهم من لؤماء غادرين فأين موقفهم هذا من موقف صلاح الدين في (حطين) وغيرها مع ريشارد « قلب الاسد » وجيوش الصليبيين .

أيها المسلمون ، أيها المسيحيون ، يا أبناء يعرب وقحطان المؤمنين بالملك الديان .

أيرضى ضميركم العربي ان تتركوا (الصخرة) المقدسة لأعدائكم الكفرة ، أيهون عليكم تسليم مهد المسيح عيسى بن مريم الذي قال الله تعالى في حقه في القرآن الكريم : إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا (أي اليهود) وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا (أي اليهود) إلى يوم القيامة فهل انتم موقنون .

القائلين اذا هم بالقنا خرجوا	من غمرة الموت في ساحاتها عودوا
عادوا فكانوا كراما لامثال لهم	عند اللقاء ولا رعش رعاديد
لاقوم أكرم منهم حين قال لها	محرض الموت عن أوطانكم زودوا

ياحماة سورية ... وياقادة المغرب !..

هاقد تأسست في دمشق (فرقة الامير عبد القادر) بقيادة حفيده ناشر هذا البيان الداعي الى الجهاد المقدس وهي تدعوكم الى اداء فريضة فرضها الله عليكم بقوله :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم .) ولا تكونوا كمن قال في حقهم : (ياايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) فهناك جمعية وطنية فرضت على نفسها الجهاد في سبيل الله وأخذت على عاتقها تزويد كل مجاهد بالسلاح والعتاد وكفالة لكل مجاهد محتاج المعونة بالانفاق على عائلته طول حياته في الجهاد حتى وبعد استشهاده : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً ..) فاليكم ياأبناء يعرب من سوري أو مغربي ، كردي او شركسي مسلم او مسيحي من أي طائفة كانت ينطق بالضاد اوجه ندائي ، فالى الجنة ايها المشتاقون اليها ؛ إلى إرضاء الله وعيسى ومحمد يامن يهمهم هذا الرضاء ؛ فليتقدم كل لتسجيل نفسه وعدد عائلته في الجناح الخاص من منزلي الكائن في شارع الملك الناصر (العفيف) يومياً الساعة التاسعة صباحا حتى الثانية عشرة اعتباراً من يوم الخميس في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٨ الموافق ٤ ربيع أول ١٣٦٨ وليكن لسان كل واحد منكم :

اذا عجمت عودي الخطوب فانني — جلود على الخطب المصيب صليب

وان ساورتني محنة إثر محنة — فليس لها الا الثبات نصيب

واني على هول المصاب ووطئه — حديد تداويه اللظى فيطيب

وفقنا الله جميعاً لما فيه الخير للوطن والعروبة وفلسطين ؟

دمشق في ١٢ كانون الثاني ١٩٤٨

جمعية مجاهدي افريقيا » أ.هـ

وثانيتها « جمعية مهاجري افريقيا » ومقرها دمشق وغايتها العمل في سبيل شمال افريقيا جميعه من برقة الى مراكش كما جاء ذلك في نداء نشرته الجمعية بتوقيع السكرتير العام محمد علي الشريف وهو :

نداء من جمعية مهاجري افريقية

الى الذين تجري في عروقهم دماء العروبة الكريمة !

الى الذين يتمسكون بدين الاسلام الحنيف !

الى الذين في قلوبهم ذرة من العدالة والانصاف والحق والنور !

الى الذين يحملون بين جنبيهم قلوباً ملأى بالرحمة والانسانية !

الى الذين يرومون إبعاد شبح الحرب الفتاكة ونشر السلام والطمأنينة بين البشر !

الى الشعوب المتمدينة والذين ينادون بحقوق الانسان ويرغبون تخفيف العذاب عنه !

في شمال افريقيا « برقه ، طرابلس الغرب ، تونس ، الجزائر ومراكش » يعيش ثلاثون مليوناً يرجع الفضل اليهم في اداء رسالة الحضارة والمدنية الحقة قروناً من الزمن الى اوربا الجاحدة ، عندما كان الجهل مخيماً عليها ، والوحشية منتشرة فيها ، والبربرية جاثمة فوق ربوعها ، قاصيها ودانيها .

لقد تغلب الأجنبي على هذا الجزء العربي بعد حروب دامية وأخضعه بقوة النار والحديد وهو لايزال منذ عشرات السنين مواصل الكفاح والنضال للتخلص من نير الاستعمار الغاشم والظلم الذي ليس له نظير في تاريخ البشرية المتمدنة .

لقد مضى على الجزائر مائة وستة عشر عاماً ، وعلى تونس خمسة وستون عاما وعلى مراكش وطرابلس الغرب وبرقة اكثر من ربع قرن ، وشعوب افريقيا تجاهد ضد الاستعمار الفرنسي والاسباني دون كلل او ملل وقد برهنوا في دفاعهم المجيد على انهم احفاد اولئك البواسل الذين حملوا الى العالم رسالة الحق ، والحرية ، والنور .

واستطاعوا ان يفهموا العالم بأسره ان الظلم مهما طال طغيه وتجبره لم يقوى ولن يقوى على خنق صوت الشعوب التي تأبى الذل والهوان . فأحفاد الادارسة ،

وابن خلدون وابن طفيل وابن رشد واضرابهم الذين بهروا العالم بانتاجهم الروحي والمادي لايموتون ولا يمكن لاي قوة فوق البسيطة ان تتغلب عليهم وتفنيهم . فاذا ذكرت الشعوب التي حاربت وجاهدت لاجل حياتها ، وكرامتها ، وحفظ كيانها والتي قدمت أعظم الضحايا من اجل ذلك كان من دون شك الشعب المغربي الباسل في الطليعة وعلى رأسه منذ قرن الامير الكبير عبد القادر الذي خلد في تاريخ الجهاد المقدس صفحات ماجدة لامعة لاتمحى أبد الدهر .

في المغرب العربي وفي هذا الجزء الغالي من الوطن العربي الكبير تمارس فرنسا واسبانيا سياستها في محق المعنويات والافقار والاذلال والتقتيل والتشريد والحرمان والفصل بين السكان وبين وجود مقوماتهم اللغوية والدينية والتاريخية .

ان مليوناً من العرب والمسلمين حاصرهم أعداء الانسانية ومنعوهم من الاتصال ببقية بلاد الدنيا ، وضربوا حولهم نطاقاً حديدياً ، خوفاً من تسرب شكواهم واسماع صوتهم الى الامم المتمدينة .

إن شعب المغرب أعزل من كل شي غير قوة الايمان ، وقد فقد كل شيء غير الشرف والكرامة ، وهو يقاوم المعتدي الاثيم الذي يحاول اكتساحه ، كما انه يحارب الداهية السوداء التي تود ابتلاعه ، وقد ابتدأت فرنسا تحت ستار « المبادىء الانسانية » تجرد هذا الشعب من قوميته بجميع الطرق ، وتسلخه من دينه المحمدي بكل الوسائل ، وأكبر دليل على سوء نية فرنسا سعيها الحثيث في مؤتمر الصلح لقبول وجهة نظرها الرامية الى ارجاع برقة وطرابلس الغرب من جديد لمخالب الاستعمار الايطالي للتعاون مع الايطاليين في استغلال واستعباد عرب افريقيا وفصلهم عن اخوانهم في الشرق .

لقد ساهم المغاربة في الحربين الكبيرين ، وقدر عدد الرجال الذين اهرقت دماؤهم في النضال الاخير بنصف مليون من الشبان الاشداء . وكانت بلاد المغرب وموارده‍ا تحت تصرف الحلفاء الذين اعترفوا بان من اكبر العوامل في النصر كانت مساعدة

الجنود المغاربة وبطشهم وبسالتهم في الساحات الحربية ، وأن أغلب معاقل اوربا تشهد ببطولة أبناء المغرب البواسل الذين نالوا الثناء العاطر كمربون لتمكنهم من الحرية والاستقلال الذين يحق هما من الحقوق المكتسبة لهم . ولكن فرنسا الجاحدة وناكرة الجميل راحت تطبق سياستها التقليدية من جديد على هذا الشعب البائس (سياسة الظلم والعسف والارهاق والعدوان) وتناست ماقاسته اثناء الاحتلال الالماني من ذل وعار عدة سنوات وراحت ترتكب أفظع الجرائم مع شعب قدم أبناءه للموت وحررها .

ان الفرنسيين الطغاة يسيئون الى المغاربة في مالهم ودينهم وكرامتهم ، فهم يقتلون عشرات آلاف ويعتقلون ويزجون في السجون أضعاف ذلك في كل صباح.

انهم لايدخرون وسعاً في العمل على سلخ عرب المغرب بناة مجد الاندلس من العالم العربي الاسلامي وادماجهم في الجنسية الفرنسية المستهترة .

فجمعية مهاجري افريقيا تؤمل من العرب والمسلمين اولا ثم من كافة الامم والشعوب المتمدينة في كل بقاع الارض ان يغيثوا المغاربة المنكوبين بنير الاستعمار وذل الاستعباد ويعملوا مافي وسعهم واستطاعتهم لانقاذهم ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

عن جمعية مهاجري افريقيا

السكرتير العام : محمد علي الشريف ، أ ـ هـ

ونشرت الجمعية ملحقاً يحث بنظامها وأهدافها قدمت له بمقدمة صغيرة وقرارات هذا الملحق كافية لتقدير غايتها وهذا هو الملحق :

مقدمة

« إن العرب والمسلمين في مشارق الارض ومغاربها مرتبطون ببعضهم البعض ، تجمعهم وحدة الغرض . وبلاد المغرب العربي ؛ برقة ، طرابلس الغرب ، تونس الجزائر ، ومراكش منحها الله كل أسباب الوحدة فدينهم ولغتهم وعاداتهم واحدة

وطبيعة بلادهم تكمل بعضها بعضا ، حتى غاصبهم واحد تقريبا ، فلهذا تجددت جمعية مهاجري افريقية في سبيل انقاذ المغرب والتعاون مع المجاهدين في ارض الوطن دون اعتبار للاقليمية الممقوتة التي يثيرها المستعمرون واذنابهم لتفريق الكلمة وتشتيت الجهود واستعباد أبناء المغرب العرب الابطال .

اهداف الجمعية

١) العمل على تحقيق حرية شعوب شمال افريقيا بصفة خاصة وبقية الشعوب الافريقية الاخرى بصفة عامة .

٢) العمل على ضم جميع الشعوب الافريقية العربية والاسلامية الى الجامعة العربية .

٣) السعي نحو ضم شعوب شمال افريقيا الى مجلس الامم المتحدة وكذلك بقية الدول الافريقية العربية والاسلامية .

٤) العمل على رفع الاضطهاد الديني والسياسي والاقتصادي الذي ترزح تحته الشعوب الافريقية بصفة عامة وشعوب شمالي افريقية بصفة خاصة .

نظام الجمعية

١) تتكون الجمعية من الاعضاء المجاهدين العاملين والاعضاء المؤازرين .

٢) تقرر عضوية المجاهد العامل او المؤازر بقرار يعرضه مجلس الادارة على الرئيس وينال موافقته .

٣) نظراً للتضحيات الجليلة التي قدمها حضرة صاحب السمو الأمير محمد سعيد عبد القادر للعالم الافريقي والعالم الاسلامي يبقى سموه رئيساً للجمعية مدى الحياة .

٤) تجدد انتخاب بقية اعضاء مجلس الادارة كل ٣ سنوات من قبل الجمعية العمومية التي يدعوها سمو الرئيس مرة كل عام على الاقل .

٥) يجوز للمجلس الاداري باقتراح من سمو الرئيس عزل اي عضو مخالف في تصرفاته اهداف الجمعية .

٦) ينعقد مجلس الادارة شهريا وكلما دعت الحالة بدعوة من السكرتير العام بعد موافقة سمو الرئيس عليها .

٧) يتكون مجلس الادارة من الرئيس ونائبه وسكرتير عام وامين صندوق وسبعة اعضاء مستشارين .

٨) جميع المخابرات والمعاملات مع الجهات الرسمية تكون بواسطة سمو الرئيس ونائب الرئيس او من يفوضه من مجلس الادارة .

٩) يحق لسمو الرئيس بناء على اقتراح يقدمه ثلاثة من اعضاء مجلس الادارة ان يمنح عضوية فخرية لكل من يقدم خدمة جليلة تتفق مع اهداف الجمعية .

١٠) ليس للجمعية ان تتدخل في الشؤون الداخلية للجمهورية السورية .

١١) مقر الجمعية الرئيسي دمشق .

١٢) للجمعية ان تكون لجانا فرعية في عواصم الدول التي يرى مجلس الادارة ضرورة تنظيم نشاط بها .

١٣) تقوم الجمعية بتوزيع نشرات وتقارير عن فظائع المستعمرين في شمال افريقيا بصفة خاصة وفي بقية الشعوب الافريقية الاخرى بصورة عامة .

١٤) يقوم اعضاء الجمعية بعمل رحلات الدعاية ضد المستعمر في جميع انحاء العالم المتمدن .

١٥ ـ تنظم الجمعية مؤتمراً سنوياً تختار له عاصمة كبرى لتقوم بحملة تهدف لتحقيق أغراضها .

١٦) ـ تصدر الجمعية موقتا مجلة شهرية تدعو فيها لتحقيق أغراضها.

مجلس ادارة الجمعية

يتكون مجلس الادارة من :

حضرة صاحب السمو الامير محمد سعيد آل عبد القادر رئيساً مدى الحياة .

٢ ـ حضرة الامير حسن آل عبد القادر نائباً للرئيس ٣ ـ الدكتور محمد علي شريف سكرتيراً عاماً ٤ ـ حضرة الامير انيس آل عبد القادر مساعد للسكرتير العام ٥ ـ السيد زهير الطيب أميناً للصندوق ٦ ـ السيد احمد محمد برغيش ٧ ـ السيد عبد الرحمن الميزاري ٨ ـ السيد علي الحاج ٩ ـ السيد علي باشا عابدية ١٠ ـ السيد محمد عمر ١١ ـ السيد مصطفى بن يخلف ١٢ السيد موسى الحاج حسين . ومدة عضوية كل من حضراتهم ثلاث سنوات يجدد نصفهم باختيار سمو الرئيس .

مالية الجمعية

تتكون مالية الجمعية من الاشتراكات والتبرعات ودخل المطبوعات والحفلات ٢ ـ رسم الانتساب للاعضاء خمسة وعشرون ليرة سورية أو مايعادلها ٣ ـ رسم الانتساب بالنسبة لأعضاء مجلس الادارة خمسون ليرة سورية ٤ ـ جميع الأموال التي تجمع تكون بايصال من سمو الرئيس أو نائب الرئيس وأمين الصندوق وتودع الأموال في البنك العربي باسم نائب الرئيس ولا يسحب منها إلا باذن من سمو الرئيس أو نائب الرئيس وأمين الصندوق ٥ ـ لاقدر الله لو حلت الجمعية او انتهت من مهمتها تصرف أموالها إلى أي جمعية تقوم بنفس الغرض أو إلى الجمعيات الخيرية التي يراها سمو الرئيس .

[انتهى]



صورة سمو الامير امام مؤتمر القدس الشريف الذي مثل فيه لجنة الدفاع عن الخط الحجازي الذي كان تحت حراسته وصرف الاموال الطائلة في سبيل تحرير الخط من الشركة الافرنسية المسيطرة عليه وبفضل جهوده الجباره تحرّر هذا الخط المقدس وأرجعه الى الاوقاف الاسلامية .

